حركة طالبان

من النشوء الى السقوط

تأليف

الدكتور محمد سرافراز



تقديم

الدكتور أحمد موصللي

استاذ العلوم السياسية في الجامعة الاميركية

حركة طالبان

من النشوء حتى السقوط

الدكتور محمد سرافراز

دار الميزان

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

دار الميزان

بيروت - لبنان




الإهداء

إلى والدي العزيز (أبو الفضل سرافراز) الذي أفنى عمره من أجل الإسلام والكلمة الطيبة، ومن أجل هدايتنا إلى هذا الطريق، وقدم شهيدين من فلذات كبده في هذا الدرب، أهدي له هذا الجهد المتواضع تقديراً وامتناناً منِّي له تغمده الله برحمته الواسعة.

محمد سرافراز




تمهيد

حركة طالبان هي حركة ميليشيوية إسلامية أفغانية وصلت إلى السلطة عام ١٩٩٤ بعد انسحاب الاتحاد السوفياتي عام ١٩٨٩، فسيطرت على المدن والمحافظات الرئيسية في أفغانستان حتى أسقط النظام عام ٢٠٠١ بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمر.

يعالج (الدكتور محمد سرافراز) في كتابه المهم ظاهرة من ظواهر الإسلام السياسي السني الحركي في كتابه: «حركة طالبان: من النشوء حتى السقوط» ويطرح الكاتب عدة إشكاليات من تشكل تلك الحركة ووقوعها في فخ الجغرافيا السياسية للدول الكبرى والدول الإقليمية القوية، إلى أيديولوجيتها المسيطرة السلفية الوهابية، إلى وقوعها في براثن الصراعات العرقية والمناطقية.

وتتميز قراءة (الدكتور سرافراز) بتعدد سياقاتها التاريخية والجغرافية، وتعدد مستويات التحليل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني.

ويحلل (سرافراز) تطور الحركة والمقدمات التي أدّت إلى نشوئها ودور الدول ذات المصالح في المنطقة كباكستان والسعودية والولايات المتحدة في إيجاد حركة سنية متشددة تكون

خطوة لمحاربة الإسلام السياسي الشيعي، ومقدمة لسيطرة الدولة العظمى، الولايات المتحدة، على مصادر الطاقة الحيوية وطرق إنتاجها وشحنها وتسفيرها، كان من المفترض أن يقوم محور سني وهابي سلفي متشدد يقف في مواجهة حركات التحرر الإسلامي، كالمجاهدين الأفغان والجمهورية الإسلامية في إيران.

ومن الواضح، كما يوضح (الدكتور سرافراز) أن قيام حركة طالبان، كحال العديد من الحركات السنية السلفية الوهابية في العالم الإسلامي، كما تمظهرت في حركة القاعدة بقيادة أسامة بن لادن، ما هي إلَّا تقاطع مصالح دول معنية واستخباراتها، كباكستان والسعودية والولايات المتحدة وغيرها. فهي توظف الدين والمذهب والعرق من أجل ضرب الحركات الإسلامية الأم، سواء كانت سنية أو شيعية، خدمة لما تعتبره مصالحها الجيوستراتيجية، وخاصة في إيجاد سدّ سني في مواجهة الدور المحوري للجمهورية الإسلامية ووقوفها في مواجهة المشروع الأميركي في العالم الإسلامي وفي الوطن العربي.

لذلك، ارتضت كل هذه الدول تشويه صورة الإسلام السياسي السني والشيعي، عبر طرح طالبان كممثل للإسلام السياسي.

ويشرح (الدكتور سرافراز) عقائد هذه الحركة ويستخلص أنها الأساس في تشويه صورة الإسلام المشرق. وهذه الحركة، على خلاف ما يعتقده الكثير من الكتّاب المسلمين وغير المسلمين، ليست حركة من حركات التحرر الإسلامي، كالإخوان المسلمين وحماس والجهاد الإسلامي وحزب الله، بل هي حركة تقوم على فكر سلفي وهابي محافظ غير إنساني ومنغلق على الآخر، حتى أنّه يكفّر المسلمين الشيعة ولا يرتضي بالمذاهب السنية الأخرى. كان لمعاملة

هذه الحركة لمواطنيها، وخاصة النساء، وتشددها في «الطهورية» فائق التأثير على صورة المسلمين في الغرب واهتمام إعلامه بها. فحركة طالبان، عقيدة ومجتمعاً، هي حركة أكثر تشويهاً للوهابية السلفية ومجتمعها المحافظ، بل أنها حركة بدائية متوحشة أساءت للمسلمين أنفسهم.

وكما يبدأ (الدكتور سرافراز) بعد عرضه التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وتشعبات السياسات الدولية والإقليمية والتواطؤ الدولي والعالمي، كانت لحماية طالبان للقاعدة بعد تنفيذها تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر، ورفض طالبان تسلميها لأسامة بن لادن الأثر الكبير في تغيير السياسات الدولية، وخاصة الولايات المتحدة، ممّا أدّى إلى غزو أفغانستان وإسقاط حكم الطالبان ومحاولة تفكيك القاعدة. لكن من المؤسف أنّ تلك الأحداث أدخلت الولايات المتحدة إلى المنطقة الإسلامية من بوابة مكافحة الإرهاب الإسلامي وسقوط مشروع الدولة الإسلامية «السنية الوهابية السلفية». كل هذه الأحداث حوّلت الإسلام السياسي، بل الإسلام نفسه، إلى العدوّ الأول للغرب، والذي قام لاحقاً بغزو العراق عام ٢٠٠٣، وبالتالي أصبح الصراع مع كل الإسلام الحركي، السني والشيعي، سواء بحماس أو الإخوان المسلمين أو حركة النهضة أو حزب الله إلى العدوّ الاستراتيجي والحضاري والديني. هذا العداء وما يستتبعه من مواجهة مع القوى الإسلامية سيكون من أبرز ملامح القرن الواحد والعشرين.

لذلك، فإنَّ قراءة كتاب (الدكتور سرافراز) حول طالبان يجب أن يكون من الكتب التي علينا قراءتها، ليست فقط لأنها تظهر تاريخ

وتطور ونهاية حركة طالبان، بل والأهم من ذلك، دراسة ظاهرة العولمة السياسية والدينية والاقتصادية وتأثيرها على صورة الإسلام ودوره ومستقبله.

الجامعة الأميركية في بيروت	الدكتور أحمد موصللي
٢٠٠٨/٦/٢٨	أستاذ العلوم السياسية

تمهيد

أفغانستان... محط أطماع القوى الدولية

أفغانستان بلد ذو طبيعة جبلية ويتمتع بموقع استراتيجي مهم. وقد تعرض لهجمات العديد من القوى الكبرى على مدى قرون، بدءاً بقوات (الإسكندر المقدوني) ومروراً بقوات (نادر شاه أفشار) ثمَّ الأمبراطورية البريطانية العظمى وبعدها الاتحاد السوفياتي. ومنذ القرن التاسع عشر الميلادي فصاعداً، تحول هذا البلد إلى منطقة حائلة بين أمبراطورية بريطانيا العظمى وأمبراطورية روسيا القيصرية ومستعمراتهما في آسيا الوسطى وشبه القارة الهندية. وكانت القوى الكبرى تتصارع فيما بينها من أجل الاستيلاء على أفغانستان أو توسيع دائرة نفوذها فيها. واستمر هذا الصراع بين القوتين العظيمتين: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي حتى انتهى الأمر بغزو الاتحاد السوفياتي لأفغانستان.

تمكن المجاهدون الأفغان ـ وبدعم من إيران وباكستان ـ من دحر قوات الاحتلال السوفياتي وحملها على الانسحاب من أفغانستان إلاَّ أنَّ فتح (كابول) بيد المجاهدين وبقيادة (أحمد شاه مسعود)

استغرق ثلاث سنوات. لكن بعض الفصائل القومية البشتونية لم تبد الارتياح من استيلاء (أحمد شاه مسعود) على (كابول) باعتباره كان من القومية الطاجيكية، ولأنَّها كانت المرَّة الأولى بعد مائتين وخمسين عاماً يخسر فيها (البشتون) سلطتهم على (كابول) العاصمة. وإثر ذلك نشب الصراع بين فصائل المجاهدين من القوميات المختلفة، ولم يستغرق الأمر طويلاً حتى ظهرت جماعة (الطالبان) التي كانت غالبية عناصرها من (البشتون) الذين انطلقوا من مدينة (قندهار) التي يشتهر أبناؤها بالصلابة والبأس وبالأواصر القبلية الرصينة فيما بينهم بالإضافة إلى تعلقهم بتراثهم التقليدي والديني.

في ١٢ تشرين الأوَّل عام ١٩٩٤م بدأت (جماعة الطالبان) التحرك من منطقة (اسبين بولداك) الواقعة على الحدود بين أفغانستان وباكستان باتجاه مدينة (قندهار). واستغرق وصولهم إلى مدينة (كابول) عامين حيث حكموا البلاد من هناك لمدة خمسة أعوام.

والاعتقاد السائد هو أنَّ ثمة عاملين ساعدا على نشوء وظهور الطالبان:

الأوَّل هو العامل الداخلي. أي انَّه بعد سقوط آخر حكومة شيوعية في أفغانستان، وتولي المجاهدين السلطة؛ أخفقت الفصائل الجهادية في إقامة حكومة وطنية شاملة، الأمر الذي أدَّى إلى دخول البلاد في أزمة جديدة تمثلت في نشوب الفوضى السياسية، ثم الحرب الأهلية التي أدَّت إلى انعدام الأمن والاستقرار، ما جعل كل فصيل من تلك الفصائل يستولي على محافظة من المحافظات الأفغانية.

في ظل تلك الظروف العصيبة، شعر الأفغان بحاجتهم الماسة

إلى حكومة تضع حدّاً للفساد، وتعيد الأمن والاستقرار إلى ربوع البلاد، وهو ما أتاح الفرصة للطالبان الاستيلاء على العاصمة وتولي مقاليد السلطة هناك.

والعامل الآخر هو العامل الخارجي الذي اعتبر الخبراء أنّه كان الأهم في ظهور (الطالبان) في الساحة الأفغانية، وحسب هؤلاء الخبراء فإنَّ (الطالبان) نشأت حصيلة لسياسات مشتركة بين: جهاز الاستخبارات العسكرية الباكستانية الـ«آي. اس. آي» وكل من المملكة العربية السعودية وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. فقادة جهاز الـ«آي. اس. آي» الذين هم من (البشتون) أيضاً، أرادوا اغتنام الفرصة عقب هزيمة القوّة العظمى الشرقية الاتحاد السوفياتي السابق في أفغانستان، لتوسيع نفوذهم في المنطقة، ولتعزيز عمق باكستان الاستراتيجي في مواجهة عدوها التقليدي (الهند) وليصبحا شريكين في طريق الترانزيت لنقل السلع والنفط من منطقة آسيا الوسطى إلى المياه الدافئة في الجنوب للحصول على أرباح طائلة من ذلك.

فمنذ بداية تشكيل حكومة المجاهدين في (كابول) شرعت (باكستان) بوضع العراقيل أمامها من خلال دفع الـ«آي. اس. آي» إلى دعم (حكمتيار) للإطاحة بهذه الحكومة الفتية، ولكن عندما أخفق (حكمتيار) في الوصول إلى الغاية المنشودة، قام جهاز الـ«آي. اس. آي» بتشكيل جماعة جديدة باسم (الطالبان). وقد تربىٰ عناصر هذه الجماعة ـ بدعم من (المولوي فضل الرَّحمٰن) ـ في المدارس الدينية بباكستان. واستطاعت (باكستان) أن تحصل على الدعم الأمريكي المتحفظ للجماعة، إضافة إلى تأمين الدعم المالي لها من جانب المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة.

وبخصوص الأسس العقائدية للطالبان لا تتوفر مصادر ومراجع يمكن الرجوع إليها للتعرف عليها، إلاَّ على نطاق ضيق جداً، بل يمكن القول إنَّها شحيحة، وزعماء الطالبان كانوا يمتنعون عن الوقوف أمام عدسات المصورين والصحفيين حتى خلال فترة توليهم السلطة في أفغانستان، وكانوا يأبون أيضاً الإدلاء بأية إيضاحات حول معتقداتهم. وأغلب هؤلاء كانوا من القرويين، ولم يقدموا على نشر أي كتاب يتضمن شرحاً لأفكارهم ومواقفهم، والأسباب التي دفعت إلى تشكيل جماعتهم. وبهذا الخصوص ليس لدى الكتَّاب الغربيين أيضاً بحوثاً وافية تستند إلى مصادر من الدرجة الأولى. وكل ما جاء في مؤلفاتهم يستند إلى آراء بعض الصحفيين وكتَّاب من باكستان.

وبما أنَّ جهاز الاستخبارات العسكرية الباكستانية هو جهاز سرّي، لذلك فإنَّه امتنع حتى الآن عن اطلاع وسائل الأعلام على ما لديه من معلومات حول نشوء (الطالبان) وسقوطها، هذا بالإضافة إلى أنَّ المصادر التي بحوزة أجهزة الاستخبارات الأمريكية والسعودية لم تتسرب إلى المراكز العلمية والخبرية أيضاً بسبب التغيير الذي طرأ على موقف البلدين تجاه الطالبان.

في هذا البحث تمت الاستعانة بعدد قليل من مراجع الدرجة الأولى التي تحدثت عن (الطالبان) بالإضافة إلى بعض المصادر الرسمية ومقابلات أجراها زعماء الطالبان مع وسائل الإعلام العربية والإذاعة البشتونية الإيرانية بصورة مباشرة وغير مباشرة.

والهدف من هذا البحث هو دراسة خلفيات وأهداف نشوء الطالبان وتبيان نتائج سقوطها.

وتكمن أهمية الموضوع في أنَّه إلى جانب الحكومة الشيعية الإيرانية، نشأت حكومة أُخرى ادعت أنَّها عازمة على تشكيل حكومة إسلامية من نوع (الإمارة الإسلامية) بيد أنَّه إلى جانب نموذج حكومة الجمهورية الإسلامية في الحكم نشأ نموذج حكم قوبل في الغالب بآراء ومواقف سلبية وإن حاولت بعض الأوساط الإعلامية إعطاء صورة إيجابية عنه.

التيار الفكري للطالبان و(العرب الأفغان) اندمج بتيار تنظيم (القاعدة) وأعطى الذريعة للولايات المتحدة للهجوم على أفغانستان. لأنَّ الاستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين ـ وفي أعقاب حادث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ـ بنيت على أساس مكافحة الإرهاب.

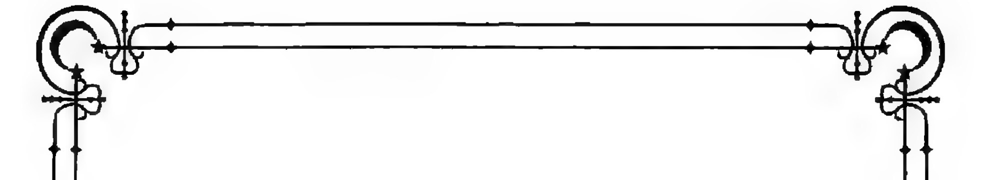
فأصبحت (الطالبان) و(القاعدة) تشكلان المصداق والهدف لهذه الاستراتيجية الأمريكية الجديدة.

فهل (الطالبان) جماعة أفغانية تبلورت فكرتها خارج البلاد، واستلهمت من الركائز الاجتماعية في الداخل؟

وهل كانت (الطالبان) جماعة هشة افتقدت الخبرات في إدارة دفة الحكم، ومهَّدت بذلك الطريق للتدخل الأجنبي في الشؤون الأفغانية؟

في هذا البحث سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال الاستعانة بالمراجع المقروءة والحوارات التي أجريت مع خبراء مؤيدين لحكومة الطالبان وآخرين معارضين لها.

* * *



الفصل التمهيدي

أفغانستان قبل ظهور الطالبان

- الخريطة الاجتماعية لبلاد الأفغان.
- تنافس القوى الكبرى على أفغانستان.
- أفغانستان من سقوط النظام الملكي حتى قيام نظام الطالبان

مدخل

الخريطة الاجتماعية لبلاد الأفغان

تحتوي بلاد الأفغان على قوميات متعددة ومتنوعة. حدد (أروين أريوال) ٥٥ قومية في (أفغانستان). ومن القوميات المهمة يمكن أن نذكر: البشتون، والطاجيك، والهزارة، والأزبك، والتركمان. والإيماق.

ومع وجود إحصائيات عديدة حول أعداد سكان هذه القوميات ونسبها، إلاَّ أنَّه لا يمكن الاعتماد على أيّ من هذه الإحصائيات بسبب الحروب المتعددة، إذ يتعذَّر إجراء إحصاء سكاني كامل في هذا البلد نظراً لانعدام الاستقرار السياسي فيه.

ورغم التفاوت في أرقام هذه الإحصاءات، إلاَّ أنَّها تجمع على أنَّ (البشتون) أكبر قومية في أفغانستان. كما هو موضح في الجدول رقم (١). وتتميز قومية البشتون من بين كل القوميات الأفغانية ببنائها ونظمها القبلية[١]، بينما ابتعدت سائر القوميات مثل: الطاجيك

---

(١) القبيلة؛ هي مجموعة من الناس تنتمي إلى أصل مشترك، أو إلى أب واحد. القبائل لا تتشكل على أساس الانتماء الثقافي، فهي لا تعتبر كتلة ذات ثقافة موحدة. وحدود القبيلة تكون على أساس النسب الشجري أو على أساس الامتداد الجغرافي في

والهزارة والإزبك، عن عاداتها وتقاليدها القبلية إثر التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها البلاد.

(البشتون):

تتكون من ثلاثة منظومات قبلية كبيرة هي: الدُّراني، والغُلزاي (غلجاني) والكرلاني، وكل واحدة من هذه القبائل تتكون من مئات القبائل الصغيرة التي تُسمَّى حسب النظام القبلي بالفخذ (خيل).

ويقع مركز ثقل وقوَّة قبائل الدُّراني في غرب أفغانستان، وقبائل (الغلزاي) في الجنوب، و(الكرلاني) في الشرق من أفغانستان. ومن بين هذه القبائل الثلاث الكبرى تعتبر قبيلة (الدُّراني) القبيلة الوحيدة التي حكمت على مدى قرن ونصف من الزمان في أفغانستان، إذ كانت مدينة قندهار قاعدة لهذه القبيلة منذ تأسيس دولة أفغانستان في عام ١٧٤٧م.

يرى السير (برسي كوكس) أنَّ أصل البشتون هو (خليط من أُصول إيرانية وتركية)[١].

لكن (أوليويه) يعتقد أنَّ منشأ القومية البشتونية غير معروف بشكل دقيق[٢] ويقول: (لا توجد قبل القرن الثامن عشر معلومات كثيرة حول البشتون).

= بعض الأحيان. فيمكن أن يكون فرد واحد عضواً في قبائل متعددة. وكل قبيلة من هذه القبائل هي جزء من القبيلة الأكبر. ويطلق على القبائل الكبيرة لقب (الزاي).

(١) فرهنك، مير محمد صدِّيق، أفغانستان في الخمسة قرون الأخيرة، دار آريانا (بيشاور باكستان ١٩٨٨م) ص٢٧.

(٢) دوا أوليويه؛ أفغانستان والإسلام السياسي التجديدي، دار الروضة الرضوية (مشهد ١٩٩٠م).

ويرى بعض الباحثين أنَّ قبيلة الغلجاني إيرانية الأصل.

أمَّا الكتَّاب البشتون، فإنَّهم في أكثر الأحيان يستندون إلى القصص الأسطورية لإثبات جذور أُصولهم. كما يعتقد بعضهم أنَّ (البشتون) من بقايا (بني إسرائيل). فكاتب (التاريخ السلطاني) كتب في هذا الإطار يقول: (لا يوجد أدنى شك في أنَّ الأفاغنة هم من بني إسرائيل)[١].

(البشتون) يقولون إنَّ أُصولهم تعود إلى شخص اسمه (أفغانة) كان يعيش في عهد النبي داود ﷺ، وحين تشتت اليهود، ذهب أبناء أفغانة إلى (جبال غور) واستقروا هناك وتكاثروا. وبعد انتشار الإسلام ووصوله إلى مناطقهم؛ اعتنق رئيس هذه الطائفة ـ في ذلك الوقت ـ الإسلام ، وكان اسمه (قيس الإسلام) كما اعتنق معه قومه الديانة الإسلامية. وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين هاجروا من (جبال سليمان) نحو (خراسان) حيث اضطرتهم هجمات (المغول) إلى هذه الهجرة الكبيرة... وهكذا بدأ (البشتون) حياتهم القبلية.

لا يوجد أي إحصاء يمكن الاعتماد عليه حول العدد الكلي لسكان أفغانستان، لكن يقدر أنَّ (البشتون) يشكلون نسبة ٤٠ ـ ٦٠٪ من الشعب الأفغاني. وأكثر البشتون هم من السُّنَّة ومن أتباع المذهب الحنفي.

المعروف عن القومية البشتونية أنَّها تولي مجلس رؤساء القبائل

---

(١) دراني سلطان محمَّد بن موسى، التاريخ السلطاني، دار محمدي (بومباي: ١٢٩٨هـ.ق) ص١١.

أهمية كبيرة، ويتكون هذا المجلس من الرؤساء وكبار السن المعروفين برأيهم السديد، ومن ذوي المراكز الاجتماعية، أو من الذين ينتمون إلى العوائل البارزة في القبيلة. وهؤلاء يعقدون الاجتماعات بين الحين والآخر لاتخاذ قرارات بشأن المسائل المهمة، أو كلَّما دعت الحاجة إلى ذلك.

وتُسمَّى مجموعة القرارات هذه (بشتونوالي) والبشتونوالي تعتبر أيديولوجية وقوانين عرفية وقوانين وضعية يلتزم أتباع القبيلة بتنفيذها، ويشرف على تطبيقها مجلس رؤساء القبائل.

لا تتمتع أغلب قبائل أفغانستان بشخصية قانونية وهوية سياسية مستقلة، لكن النظام القبلي يعمل في إطار اتحادات سياسية. وتعتبر المنظمات السياسية والروابط القبلية وروابط القرابة الأُسس الأكثر شيوعاً في هذه القبائل في مواجهة الأعداء والقوى الأجنبية.

أمَّا من حيث المكان فهناك تباين واضح بين قبائل البشتون، فالقسم الشرقي من الأراضي الأُم تقطنها قبائل الأفيريديين، أمَّا قبائل الغلزاي فهي منتشرة في أنحاء أفغانستان.

أمَّا رؤساء القبائل فإنَّهم يتولون أمر القضاء وتنفيذ قرارات (البشتونوالي) وتعيين آلية تطبيقها، وتحديد (النرخ) أو ما يعني الثمن والغرم لدى القبائل، ويشمل سن القوانين وتنفيذها وتحديد كيفية معاقبة من يخالفها.

(الطاجيك):

تعتبر الطاجيك أكبر قومية في أفغانستان بعد البشتون، وتتكلم اللغة الفارسية، وتوجد أكثرية أتباع هذه القومية في أربع محافظات

هي: كابيسا، تخار، بدخشان، وبروان، لكن يلاحظ أنَّهم موجودون أيضاً في مدن ومحافظات: بغلان، قندوز، بلخ، غزني، وكابول. والطاجيك من السُّنَّة الأحناف. وهناك عدد منهم ينتمي إلى المذهب الشيعي[1].

والذي زاد من أهمية هذه القومية هو أنَّ الأيماق والتيموريين الذين يشكلون الأكثرية في مدن (غور) و(هرات) يعتبرون من الطاجيك، وكلّ هؤلاء يتحدَّثون باللغة الفارسية.

(الهزارة):

وهي القومية الثالثة في أفغانستان بعد البشتون والطاجيك، وقد لعبت دوراً أساسياً في التطورات الداخلية التي شهدتها أفغانستان.

ويشكل أتباع هذه القومية الأكثرية في المحافظات الوسطى مثل: باميان، وردك، غزني، أرزكان. وأكثر هؤلاء هم من الشيعة الإمامية الاثني عشرية. لكن بينهم أقلية من الشيعة الإسماعيلية، وكذلك من السُّنَّة. ولهجتهم فارسية تُسمَّى بالهزاركي. والذين يسكنون منهم في المرتفعات الوسطى من البلاد يسمون بالهزارجات.

عدد كبير من الهزارة من السَّادة الذين ينتسبون إلى الرَّسول الأكرم ﷺ والذين يشكلون النخبة السياسية والرُّوحيَّة في هذه القومية. أمَّا بالنسبة لأُصول الهزارة فإنَّ المثقفين والباحثين من أبناء هذه القومية يدَّعون أنَّ أُصولهم ترجع إلى القائد المغولي (جنكيز خان).

---

(١) فرهنك، مير محمد حسين، علم الاجتماع وانتروبولوجيا الشيعة في أفغانستان، مؤسسة الإمام الخميني للتعليم والتحقيق (قم ١٣٨٠هـ.ق) ص٤٦.

تاريخياً كان (الهزارة) في صراع مستمر مع (البشتون) ويعتبر (حزب الوحدة الإسلامي) أهم تطور سياسي شهدته هذه القومية في أفغانستان، وخاض الهزارة حرباً مسلحة مع الحكومات الشيوعية التي كانت على صلة وثيقة بالاتحاد السوفياتي.

(الأزبك):

ينحدرون من أصل تركي، ويتحدَّثون لغة تركية خاصة بهم. وهم من المسلمين السُّنَّة وعلى المذهب الحنفي، ومن حيث التنظيم العشائري والقبائلي ينقسم الأزبك إلى قسمين: قسم يمثل السكان الأصليين الذين أقاموا منذ قرون في شمال أفغانستان. والقسم الآخر هم من الذين هاجروا إلى أفغانستان بعد توسع الأمبراطورية القيصرية وإلحاق آسيا الوسطى بالاتحاد السوفياتي. غير أنَّ هؤلاء الأزبك المهاجرين لم ينصهروا مع الأزبك الأفغان، بل ظلوا يشكلون مجموعة متميزة.

بعد الاعتداء السوفياتي على أفغانستان. تعاون قسم من الأزبك مع الحكومة الأفغانية المحسوبة على الروس، وشكلوا تنظيمات عسكرية تحت إسم ميليشيا (جوزجاني عبد الرشيد دوستم) أمَّا بقية الأزبك فقد انحازوا إلى جانب المجاهدين الأفغان، وانخرطوا تحت لواء (حزب حركة الثورة الإسلامية) بقيادة (المولوي محمد بن محمد البشتوني).

ورغم اختلاف لغات هذه المجموعات القومية الأربعة الكبيرة، إلاَّ أنَّها لا تختلف عن بعضها من ناحية التنظيمات العسكرية والسياسية.

وعلاوة على هذه المجموعات الأربعة، هناك مجاميع أُخرى

تسكن في أفغانستان، لكن لا تتوفر إحصاءات دقيقة عن أعدادها[1].
كما إنَّ صوتها ظلّ خافتاً لأنَّها لم تتمكن من إيجاد تشكيل لها يوضح مطالبها القومية وطموحاتها، مثلما هو الحال بالنسبة للقوميات التي مرَّ ذكرها. وما يُقال من أنَّ (البشتون) حكموا أفغانستان لأكثر من ٢٥٠ سنة، فالواقع هو أنَّ الحاكم كان من البشتون وليست سلطة الأكثرية البشتونية، لأنَّه في نفس هذه الفترات التي كان يسيطر فيها الحكَّام البشتون على السلطة، كانت تناط بعض المسؤوليات للكثير من الناطقين باللغة الفارسية.

* * *

(١) واك محمد انعام، القوميات الأفغانية، واك فونديشن، ترجمة محمد وحيد بنش (١٩٩٨م) ص١١ ـ ١٨.

جدول رقم (١)

أهم القوميات في أفغانستان ونسبها طبقاً لأهم المصادر المعتبرة

القوميات المهمة في أفغانستان	لويس دويري Louis dupree	Word Alman as	انطوان هامين Anthony-hyman	محمد انعام واك	الأمم المتحدة ١٩٧٨م
البشتون	٤٥٪	٣٨٪	٤٥٪	٦٢,٧٣٪	٤٠٪
الطاجيك	٢٥٪	٢٥٪	٢٣٪	١٣,٣٢٪	٣٠٪
الأزبك	٧٪	٦٪	٨٪	٦,١٠٪	١٠٪
الهزارة	٦٪	–	١٠٪	٩٪	٨,٣٪
الإيماق	٦٪	–	–	٢,٦٨٪	٤,٢٪
التركمان	١٪	–	–	٢,٦٨٪	٤,٢٪
البلوش	–	–	–	–	١,٧٪
النورستان	–	–	–	–	٠,٦٪

تنافس القوى الكبرى للسيطرة على أفغانستان

أفغانستان بلد جبلي، تكثر فيه السلاسل الجبلية الوعرة، ويتميز بالتنوع المناخي، موقعها الجغرافي الاستراتيجي والمهم جعلها محط أنظار القوى الكبرى على مرّ التاريخ، حيث يمكن القول إنَّ الكثير من أصحاب القوَّة والذين كانوا يريدون السيطرة على شبه القارة الهندية عبروا من أفغانستان. . . فالهنهامش الإيراني والإسكندر المقدوني والمغول وتيمور ونادر شاه الأفشاري كلهم دخلوا شبه القارة الهندية من مضيق خيبر في أفغانستان.

وفي حدود عام ١٧٤٧م استقلت أفغانستان عن إيران، وذلك بعد مقتل (نادر شاه الأفشاري) وتشكيل النظام الملكي للعائلة الأبدالية، لكن سرعان ما اهتز الاستقرار السياسي في هذه المنطقة إثر التنافس بين الروس والإنجليز عليها. واشتد هذا التنافس بين القوى الكبرى في القرن التاسع عشر ممَّا أدَّى إلى التدخل العسكري في أفغانستان.

ففي عام ١٨٣٩م أصدر اللورد (أوكلند) القائد العام الإنجليزي أوامره إلى القوات البريطانية للسيطرة على مناطق جنوب أفغانستان، حيث سيطرت هذه القوات ـ وبدعم من القوات الهندية ـ على مدن: قندهار وغزنة، وكابول. لكن الجيش الإنجليزي أجبر على الانسحاب

والتراجع من المناطق التي احتلها بعد سنتين إثر التحرك الشعبي ضد الاحتلال الأجنبي.

وأقدمت روسيا من جهتها على احتلال مناطق في آسيا الوسطى بسبب قلقها من النفوذ البريطاني في أفغانستان. وأدَّى استمرار التوتر بين الروس والإنجليز إلى التفكير بإيجاد منطقة عازلة بين الطرفين[1] وحددت المنطقة التي تفصل بين الحدود الشمالية والجنوبية لأفغانستان، كمنطقة عازلة بين الأمبراطوريتين الكبيرتين الشرقية والغربية. ولكن على الرغم من اتفاق هاتين الأمبراطوريتين على اعتبار أفغانستان منطقة عازلة تفصل بين آسيا الوسطى وشبه القارة الهندية، إلاَّ أنَّه ظلّ كلّ منهما يتربص بالآخر ويتحين الفرصة المناسبة للسيطرة على مدينة كابول. وعلى مدى ما يقارب القرنين ظلت هاتان القوتان الكبيرتان تتنازعان النفوذ والسيطرة على المنطقة من أجل الفوز بالثروات الطائلة في الهند.

حصلت أفغانستان على استقلالها عام ١٩١٩م وأصبحت عضواً في الأُمم المتحدة، حيث استمرت كدولة محايدة حتى عام ١٩٧٣م.

بعد الحرب العالمية الأولى حلَّت القوَّة الكبرى الروسية محل الأمبراطورية القيصرية. وبعد الحرب العالمية الثانية انهارت القوَّة الاستعمارية الإنجليزية. إثر ذلك وافقت على استقلال شبه القارة الهندية. ورغم هذا التغيير الذي شهدته الساحة العالمية، لم ينته صراع

---

(١) في الأعوام: ١٨٩١م، ١٨٩٥، ١٨٩٦ عقدت الاتفاقات بين روسيا وبريطانيا. وقد عينت فيها الحدود الشمالية لأفغانستان في ذلك الوقت. عينت في الجنوب أيضاً حدود ديوراند Durand باعتبارها حدوداً بين أفغانستان والهند الإنجليزية.

القوى العالمية على أفغانستان، إنَّما تغيَّرت مواقع هذا الصراع فحسب. فلقد ظهر معسكرا الرأسمالية والشيوعية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي على التوالي، وحلا محل الأمبراطوريتين الإنجليزية والقيصرية. وخلال هذه الفترة أصبحت أفغانستان منطقة تنافس وصراع بين القوى الكبرى الجديدة، بدلاً من بقائها منطقة عازلة.

ولفهم التحولات التي شهدتها بلاد الأفغان لا بدَّ من النظر إلى كيفية استقلال شبه القارة الهندية ثمَّ انقسامها إلى دولتين هما: الهند وباكستان.

المناطق التي كانت تحت سيطرة الإنجليز وتشمل مناطق: البشتون والبلوش. وكوّنتا ولايتي: سرحد وبلوشتان الباكستانية. أصبحت منشأ الخلاف الدائم بين أفغانستان وباكستان[1]. ولحدِّ الآن لم تعترف أي حكومة أفغانية بشكل رسمي بانفصال هذه المناطق عن أفغانستان[2].

وإلى الآن أيضاً يعتبر تقسيم مناطق البشتون بين باكستان وأفغانستان من الخلافات الأساسية بين الدولتين. فهذه الخلافات كانت أحد الأسباب التي دفعت بلاد الأفغان إلى الاقتراب من الاتحاد السوفياتي، حيث تطورت وتوسعت العلاقات بين الطرفين إلى الحد الذي ساعد فيه الروس الأفغان على بناء قواعد عسكرية جوية بالقرب

---

(١) بدأت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة المباحثات حول استقلال الهند وانفصال باكستان عنها. وفي عام ١٩٤٧م نشأت دولة باكستان، وضمت إليها المناطق القبلية للبشتون.

(٢) في عام ١٨٩٣م وقع الاتفاق المشهور بـ(ديوراند) بين (الأمير عبد الرَّحمٰن خان) ملك أفغانستان في ذلك الوقت وحكومة الإنجليز الاستعمارية في الهند.

من (مزار شريف) في الشمال وفي (شيندند) غرب أفغانستان وفي (باغرام) شمال العاصمة كابول.

وفي عهد رئيس الوزراء الأفغاني (داوود خان) وتحديداً في عام ١٩٦١م قطعت العلاقات بين باكستان وأفغانستان بسبب موضوع المناطق البشتونية، وعندها ازداد ميل أفغانستان نحو الاتحاد السوفياتي.

بعد فترة أجبر (داوود خان) الأحزاب الإسلامية والمعارضين له على الذهاب إلى باكستان.

وفي نفس الوقت سعى إلى تقليص صلاته بالاتحاد السوفياتي والاقتراب من الولايات المتحدة الأمريكية. وكان مهتماً أيضاً بإقامة علاقات وروابط أقوى مع إيران.

دفعت مساعي (داوود) آنفة الذِّكر حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني ـ وبدعم من الروس ـ إلى تدبير انقلاب عسكري عليه، وقع هذا الانقلاب عام ١٩٧٨م بقيادة (ببرك كارمل) وقتل (داوود) على يد الانقلابيين. ولأنَّ أكثر أعضاء حزب الشعب الديمقراطي كانوا من البشتون، لذا كانت قبائل البشتون مهيأة أكثر من باقي القبائل الأفغانية لقبول حكومة حزب الشعب الديمقراطي.

وفي نفس السنة استطاع الاتحاد السوفياتي أن يحصل على موافقة الحكومة الأفغانية للتدخل العسكري الروسي المباشر في أيّ وقت تحتاج فيه تلك الحكومة إلى المساعدة الروسية. وفعلاً دخلت القوات الروسية أفغانستان، وتورطت (موسكو) في هذا البلد.

هناك نظريات مختلفة لتفسير دوافع التدخل العسكري الروسي عام ١٩٧٩م في أفغانستان، وسبب قيام روسيا بمهاجمة هذا البلد

عسكرياً. غير أنَّ النظرية القائلة أنَّ الروس جاءوا إلى أفغانستان بهدف التمدُّد نحو الجنوب والوصول إلى المياه الدافئة، هي النظرية الأرجح والأكثر منطقية وقبولاً.

فعند سقوط نظام الشاه في إيران، واختلال التوازن السياسي في المنطقة لغير صالح أمريكا، استغل (الكرملين) هذه الفرصة وأقدم على احتلال أفغانستان عسكرياً، ويحتمل أنَّ شعور الروس بالقلق من تزايد المساعدات العسكرية الأمريكية للمجموعات الإسلامية المخالفة لموسكو، وسقوط نظام الشاه وقيام نظام الجمهورية الإسلامية في إيران، شجع (موسكو) على المضي قدماً نحو احتلال بلاد الأفغان.

بقيت القوات الروسية المحتلة في أفغانستان عقداً كاملاً من الزمان، أي حتى شباط عام ١٩٨٩م. لكن (الكرملين) صمم في النهاية على الانسحاب من هذا البلد، رغم إدراك القيادات السوفياتية يومذاك أنَّ مثل هذا الانسحاب سيعد انكساراً وهزيمة عسكرية للروس في أفغانستان، ويمكن أن يترك انعكاسات سلبية على الوضع الداخلي.

وفي تلك الفترة تولى (ميخائيل غورباتشوف) قيادة الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي إثر تفاقم المشاكل الاقتصادية في الاتحاد السوفياتي وتذمر القيادات العسكرية وذلك عام ١٩٨٥م. وبعد وصوله بدأ يخطط لفكرة إنهاء الحرب والانسحاب من أفغانستان، وأصبح التيار المؤيد للانسحاب أقوى داخل القيادة الروسية من التيار المعارض له. وتمكن (غورباتشوف) في النهاية من تحقيق هذه الفكرة عام ١٩٨٩م.

هزيمة الروس في أفغانستان وانسحابهم منها، أدَّى إلى تصدّع

نظام الكرملين نفسه أيضاً، فقد شهد تحولات مهمة عام ١٩٩١م. على أيٍّ حال بعد الانسحاب السوفياتي من أفغانستان والتحولات السياسية التي شهدها الكرملين والساحة السوفياتية بشكل عام. كلّ ذلك أدّىٰ إلى تسهيل مهمة المجاهدين في أفغانستان، وفعلاً تمكنوا من إسقاط النظام الموالي لموسكو وإقامة حكومتهم عام ١٩٩٣م.

غير أنَّ سقوط النظام الموالي لموسكو، وقيام نظام المجاهدين لم ينه مأساة الشعب الأفغاني، فقد استمر الصراع الأفغاني لكنَّه اتخذ شكلاً جديداً في هذه المرحلة. ففي هذه المرحلة وقفت كلٌّ من: أمريكا وبريطانيا وباكستان والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة في جبهة واحدة وجديدة ضد تطلعات الشعب الأفغاني، وكانت أهدافها المشتركة هي:

١ ـ عدم السماح بتشكيل حكومة مستقلة تضم قوى المجاهدين وتمثل الشعب الأفغاني.

٢ ـ إيصال البشتون إلى السلطة في أفغانستان.

٣ ـ تأمين الطريق لانتقال الطاقة من النفط والغاز من دول آسيا الوسطى عبر أفغانستان إلى المياه الدافئة في الجنوب.

ومقابل هذه الجبهة، تشكلت جبهة أُخرى، من دول: روسيا وإيران والهند. فهذه الجبهة دعمت قوات التحالف الشمالي في أفغانستان بقيادة (أحمد شاه مسعود) وكان هدف هذه الجبهة منع قيام حكومة أفغانية ذات نزعة غربية أو موالية للغرب في كابول. واستمر الصراع بين هاتين الجبهتين حتى ظهور حركة الطالبان.

* * *

أفغانستان من سقوط النظام الملكي
حتى قيام نظام الطالبان

بعد انهيار النظام الملكي وقبل قيام حكومة الطالبان مرَّت أفغانستان بثلاث فترات مهمة هي:

١ ـ فترة داوود خان، أو فترة التعصب البشتوني.

٢ ـ فترة الشيوعية والاحتلال الروسي لأفغانستان.

٣ ـ فترة حكومة المجاهدين.

نحاول التوقف عند الفترة الثالثة لإعطاء صورة عن تطوراتها وأحداثها لأنَّها شكَّلت الأرضية لبروز حركة الطالبان. أمَّا بالنسبة للفترتين الأولى والثانية فسنكتفي بإشارة سريعة لها.

تميَّزت الفترة الأولى بمحاولات (داوود خان) إلغاء هوية وثقافة باقي قوميات الشعب الأفغاني من غير البشتون، وفرض عليها ثقافة وتقاليد البشتون، بهدف تحويلها إلى توابع للبشتون مقلدة لهم، فقد كان يتبنى فكرة تحويل أفغانستان إلى قلعة للبشتون. على أنَّ أحلام (داوود خان) انهارت بسقوطه على أيدي الشيوعيين حلفاء الروس، إذ دبَّر له الروس انقلاباً عسكرياً عندما أشاح بوجهه عنهم، واقتنعوا بأنَّه غيَّر ولائه لغيرهم.

وبسقوطه بدأت فترة الحكم الشيوعي في هذا البلد، وهي حقبة استمرت طويلاً، وتميَّزت بعدم الاستقرار السياسي نتيجة للتحرك الشعبي ضد الحكم الشيوعي بسبب موالاته للسوفيات وبعده عن الشعب. وهو الأمر الذي اضطر (الكرملين) إلى تغيير وجوه النظام في (كابول) أكثر من مرَّة، فقد شهدت هذه الفترة تعاقب أربعة وجوه على الحكم هم: طرقي وأمين وكارمل ونجيب الله.

وفي عام ١٩٩٢م تولَّت حكومة المجاهدين السلطة في أفغانستان، وكانت القاعدة قبل مجيء هذه الحكومة هي احتكار البشتون للسلطة، فطيلة تلك الفترة لم تخرج مقاليد الحكم من أيديهم، لكن حكومة المجاهدين كسرت هذا الاحتكار، فحينما سقط نظام (نجيب الله) إثر دخول قوات (أحمد شاه مسعود) العاصمة كابول، كانت القيادات السياسية لأحزاب المجاهدين في مدينة بيشاور الباكستانية، وكان واضحاً أنَّ كلّ واحدة من هذه القيادات غير قادرة على حكم أفغانستان بمفردها، بل يحتاج الأمر إلى إيجاد ائتلاف بين المجاهدين، وفي الاتفاقية التي توصلت إليها القيادات المقيمة في (بيشاور) في ٢٤ نيسان ١٩٩٢م، وضعت الأطر الأولى لإقامة حكومة مؤقتة في أفغانستان. واتفقت هذه القيادات في هذه الاتفاقية على أن يكون (صبغة الله مجددي) البشتوني رئيساً للحكومة المؤقتة لمدة شهرين، ثمَّ يتولى رئاستها من بعده (برهان الدِّين رباني) وهو من الطاجيك لمدة أربعة أشهر. بعد ذلك يجب تشكيل مجلس من أهل الحل والعقد أو ما يُسمَّى بـ(اللويا جرغا) يتولى بدوره تشكيل حكومة مؤقتة لمدة (١٨) شهراً تهيىء لإجراء انتخابات في البلد.

لكن (رباني) استمر في رئاسة الحكومة المؤقتة فترة أطول، وقرر

مجلس أهل الحل والعقد ـ بسبب الظروف التي أوجدتها معارضة بعض الفصائل البشتونية مثل مجموعة (حكمتيار) ـ تمديد حكم (رباني) إلى سنتين في جلسته التي عقدها في كابول العاصمة.

حكومة المجاهدين مرَّت بفترتين مهمتين هما:

أ ـ استقرار السلطة في كابول:

كان متوقعاً إخفاق المجاهدين في تشكيل حكومة ائتلافية، لأنَّ تركيبة المجاهدين لم تكن تركيبة موحدة ومتجانسة، إنَّما كانت تمثل خليطاً غير متجانس، فخلال فترة الجهاد ضد الاحتلال السوفياتي تشكلت المجموعات الجهادية بحيث أنَّ كلّ منها يمثل أو ينتسب إلى شريحة من شرائح المجتمع الأفغاني، تختلف عن بعضها البعض من ناحية الانتماء القومي واللغة والمنطقة. وكانت هذه المجموعات قد اتخذت من: باكستان وإيران مقراً لها قبل ذهابها إلى (كابول). المجموعات السنيَّة كانت في (باكستان) والمجموعات الشيعيَّة كانت في (إيران).

وحينما شارفت حكومة (نجيب الله) الشيوعية على السقوط أكد الشيعة على مشاركتهم بنسبة ٢٥٪ في حكومة المجاهدين، علماً أنَّ المجموعات الشيعيَّة الثمانية كانت قد توحدت في حزب واحد بعد فترة من الصراع والاقتتال فيما بينها، وهو (حزب الوحدة). وهذه أوَّل مرَّة في تاريخ أفغانستان يتمكن فيها الشيعة الأفغان من تشكيل مجموعة واحدة تضمهم جميعاً ويعملون في إطارها وتحت عنوانها. على أنَّ الشيعة لم يتمكنوا من التوصل إلى صيغة تفاهم مع

المجموعات الجهادية السنيَّة المتعددة ـ التي تمثل أكثرية المجتمع الأفغاني ـ حول مطالب الشيعة.

حكومة المجاهدين منحت الشيعة عدداً من الوزارات، لكن جناحاً من حزب الوحدة بقيادة الشهيد (علي مزاري) لم يقبل بهذه الحصة، واتخذ موقفاً معارضاً للحكومة، واستقر في إحدى جهات العاصمة.

المجموعات الجهادية التي تنتمي إلى قومية (الهزارة) والتي طالبت بقيادة (مزاري) لم تعترف بالشيعة الذين شاركوا في حكومة المجاهدين كممثلين عن (الهزارة).

وعلاوة على ذلك فإنَّ (الأزبك) بدورهم لم يعترفوا بشرعية تلك الحكومة إطلاقاً.

بعض المجموعات القومية الصغيرة مثل: الإيماق. شاركت في هذه الحكومة من أجل تأكيد حضورها في المشهد السياسي الأفغاني.

عندما استقرت حكومة المجاهدين في (كابول) حظيت بدعم وتأييد أكثرية الشعب الأفغاني قياساً بالفترة التاريخية السابقة لأفغانستان، فالحكومات التي تعاقبت على حكم أفغانستان مثل: الحكومات الملكية والقومية والشيوعية. استندت إلى تأييد ودعم أقلية من الشعب الأفغاني. بينما حكومة المجاهدين هذه كانت حصيلة وثمرة جهاد ومعاناة أكثر أبناء الشعب الأفغاني في هذا الصراع التأريخي مع الاحتلال السوفياتي لأفغانستان.

خلال فترة حكومة المجاهدين اتخذت الحكومة خطوتان أساسيتان لتكريس شرعية النظام في أفغانستان:

الأولى: تشكيل مجلس أهل الحل والعقد (اللويا جرغا) وقد شكل هذا المجلس على أساس آراء الناس.

الثانية: تشكيل المجلس الكبير لهرات، ويتكون من ممثلي الشرائح المختلفة في المجتمع الأفغاني. وقد بحث هؤلاء كيفية انتقال السلطة إلى ممثلي المنظمات والمحافظات (الولايات).

ب ـ أفول حكومة المجاهدين وخروجهم من كابول:

على الرغم من أنَّ حكومة المجاهدين كانت تحظى بالتأييد والدعم الشعبي، إلاَّ أنَّها ـ بسبب اختلافات المجموعات الجهادية القومية والسياسية ـ لم تتمكن من وضع برنامج سياسي مشترك لإدارة الدولة. فالمجموعات السنيَّة السبعة لم تكن متفاهمة على رأي واحد، وكذلك المجموعات الشيعيَّة الثمانية. فعلى الرغم من أنَّهم توحدوا في حزب الوحدة بمساعدة إيران، إلاَّ أنَّهم لم يتخلوا عن خلافاتهم، فبعض أجنحة (حزب الوحدة) بزعامة (أكبري) تعاونت مع حكومة المجاهدين، أمَّا البعض الآخر بقيادة (علي مزاري) فقد امتنع عن التعاون مع هذه الحكومة.

وعليه واجهت حكومة المجاهدين ـ التي كانت ترفض أن تكون أداة بيد باكستان ـ مشاكل كثيرة. فالحزب الإسلامي بقيادة (قلب الدِّين حكمتيار) الذي كان يعتبر نفسه ممثلاً عن (البشتون) أمطر العاصمة كابول بالصواريخ. كما إنَّ الأجهزة الأمنية الباكستانية ـ وبالتعاون مع أمريكا والمملكة العربية السعودية ـ وظفت كل قدراتها وإمكاناتها من أجل دفع هذه الحكومة إلى الانهيار من الداخل. ورغم أنَّ (صبغة الله مجددي) كان أوَّل رئيس جمهورية لأفغانستان، إلاَّ أنَّ بقاء (رباني)

مدة طويلة في هذا المنصب بعد (مجددي) كان في نظر (البشتون) أمراً مرفوضاً. فحكمتيار الذي كان مقرراً أن يصبح رئيساً للوزراء امتنع عن تولي هذا المنصب، واقترح شخصاً طاجيكياً اسمه (عبد الصبور فريد) لتولي هذا المنصب مكانه، وبهذا العمل أصبحت حكومة المجاهدين حكومة تفتقر لوجود عناصر بشتونية من الوزن الثقيل، لأنَّ (حكمتيار) لم يعترف بسائر البشتون مثل (عبد الرسول سياف) و(مولوي محمدي) الذين تعاونوا مع الحكومة، ولم يعتبرهم ممثلين عن البشتون. وكانت حملاته الصاروخية على (كابول) أكبر وأشد الضربات التي تلقتها حكومة المجاهدين. ويتوقع البعض أنَّ (حكمتيار) كان يريد نسف كل الاتفاقات التي توصل إليها مع حكومة المجاهدين ودوسها بأقدامه، وفرض اتفاقات ومطالب جديدة عليها.

ورغم أنَّ (حكمتيار) كان قد اتهم الحكومة بالتعاون مع الشيوعيين أمثال (دوستم) لكنَّه شكَّل بنفسه في كانون الثاني عام ١٩٩٤م ائتلافاً مع (مجددي) و(عبد الرشيد دوستم) وشدَّد إثر ذلك حملاته الصاروخية على العاصمة، فحولها إلى خراب، لكن القصف الصاروخي المتواصل لم يحمل الناس في العاصمة على التسليم لأنَّهم اعتادوا على أجواء الحرب.

وعندما لاحظت (باكستان) أنَّ الحملات الصاروخية فقدت أهميتها وتأثيرها، فكرت بإنشاء وتشكيل قوَّة جديدة لمواجهة المجاهدين، وهذه القوَّة الجديدة عرفت بحركة الطالبان.

ومع ظهور (حركة الطالبان) فقد (حكمتيار) موقعه وأهميته، ومرَّة أُخرى التحق بحكومة المجاهدين، وأصبح رئيساً للوزراء في كانون الثاني عام ١٩٩٤م.

وسعى (حكمتيار) إلى أن يكون هو الحل الوحيد لأفغانستان، وأراد أن يوصل المجاهدين والطالبان إلى طريق مسدود حتى يقبله الجميع باعتباره الحل الوحيد. لكنَّه لم يوفق في هذه السياسة، واضطرت حكومة (رباني) إلى الخروج من (كابول) والانسحاب إلى طخار) إثر استمرار ضغوط (حركة الطالبان) عليها.

* * *

أسئلة التحقيق وفرضياته

الفرضية الأساسية لهذا التحقيق هي إلى أيّ حدّ كان دور القوى المحلية والعالمية في ظهور (حركة الطالبان) وتمكينها من السيطرة على السلطة في كابول؟

بالاستفادة من المصادر من داخل أفغانستان وخارجها نحاول معرفة دور كل من اللاعبين الأصليين الإقليميين والدوليين في تشكيل (حركة الطالبان) وأهدافهم من ذلك.

(حركة الطالبان) ظهرت في مقطع زمني خاص، كان يفترض فيه نهاية التنافس بين القوى الكبرى بعد انتهاء الحرب الباردة، وتشهد (أفغانستان) السلام والاستقرار. غير أنَّ صراع هذه القوى وتدخلاتها في (أفغانستان) لم تنته في أيِّ وقت. ولعبت القوى الإقليمية دوراً خاصاً في هذا الإطار.

لقد أقامت (حركة الطالبان) نظاماً قبلياً متعصباً، ولم يستطع الحصول على شرعية دولية. فقد كان أساس وجودها هو التخلص من حكومة المجاهدين وإسقاطها، وليس من أجل إيجاد استقرار طويل الأمد.

ومنذ إعلان حركة الطالبان (الإمارة الإسلامية) في أفغانستان لم

تعترف بها سوى: باكستان والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة. ولكن بعد حادثة الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ وتغيير السياسة الأمريكية؛ فقدت (حركة الطالبان) حماتها الأصليين بسرعة وانهارت خلال مدة قصيرة.

الفرضية البديلة يمكن أن تطرح بهذا الشكل: إنَّ حركة الطالبان هي حصيلة الظروف الداخلية والصراعات القومية وإخفاق حكومة المجاهدين في تثبيت الأمن بعد سقوط الحكومة الشيوعية. وعلى أساس هذا الافتراض تطرح الأسئلة التالية حول ظهور حركة الطالبان وسقوطها:

١ ـ كيف استطاعت حركة الطالبان ـ خلال مدة قصيرة ـ السيطرة على حوالي ٩٠٪ من أراضي أفغانستان؟

٢ ـ ما هي الأسباب الداخلية التي ساهمت في ظهور حركة الطالبان؟

٣ ـ ما هي أهداف ومحفزات حماة الطالبان الخارجيين من تقديم هذه الحماية والدعم للحركة؟

٤ ـ هل الطالبان من صنع القوى الخارجية بشكل كامل، أم أنَّ الظروف الداخلية كان لها دور في ظهور حركة الطالبان واستقوائها؟

٥ ـ الشعار الأصلي لحركة الطالبان كان إقرار السلام ونزع أسلحة الأطراف المتحاربة وأسلحة المجاهدين، إلى أيّ حدّ نجحت هذه الحركة في تحقيق تلك الأهداف؟

٦ ـ حركة الطالبان ادعت أنَّها ستقيم حكومة إسلامية طبق نموذج الخلفاء الراشدين، فهل كان عمل الحركة مطابقاً لهذا الادعاء؟

٧ ـ هل إنَّ (حركة الطالبان) كانت متأثرة بالمسائل القومية للبشتون؟ أم أنَّها كانت تحت تأثير التعاليم الدِّينيَّة؟ أم أنَّ سلوكها ناشىء من التأثير المركب للمسائل القومية والتعاليم الدينية؟

٨ ـ هل انتهى الفكر الطالباني بسقوط الطالبان في أفغانستان؟ أم أنَّ فكر الحركة سيظل موجوداً في هذا البلد؟

الأسلوب الذي أُختير في هذا البحث هو الأسلوب الوثائقي، مع الاستفادة من المطالب المكتوبة كالكتاب والمقالة والأحاديث والتحقيق في المستندات والأدلة الموجودة.

تحليل المسائل المتعلقة بظهور حركة الطالبان وسقوطها سيكون بالتحقيق في وجهات النظر المختلفة حول هذه القضية، وبطريقة تحليلية أيضاً.

في الواقع إنَّ البحث الذي يرتبط بحركة الطالبان يصطدم بشحة المعلومات عن هذه الحركة، لأنَّها حركة قلّما تستعرض أفكارها وآرائها أمام الرأي العام، فعلى سبيل المثال لا توجد أية مقابلة تلفزيونية للملا عمر.

كما إنَّ الحماة الخارجيين لحركة الطالبان يقومون بدعم هذه الحركة عن طريق الأجهزة الأمنية، لذلك فإنَّهم لا يبدون وجهة نظرهم حول هذه الحركة ممَّا جعل الأحكام الصادرة بحقِّ هذه الحركة متضاربة.

في الفصل القادم سنتعرض إلى العوامل الداخلية لنشوء (حركة الطالبان) لأنَّ هذه العوامل شكّلت الأرضية المناسبة لبروز هذه الحركة.

* * *

الفصل الأول

العوامل الداخلية لظهور حركة الطالبان

- الحرب على السلطة بين الفصائل الجهادية ودورها في تهيئة الأرضية لنشوء حركة الطالبان
- إخفاق القوى الجهادية في تشكيل حكومة وطنية بعد سيطرتها على كابول
- دور المدارس الدينية التي درس فيها المهاجرون الأفغان

مدخل

الظهور المفاجئ لحركة الطالبان في المشهد السياسي والعسكري الأفغاني بعد فترة طويلة من الحرب الداخلية واللااستقرار أثار استغراب المراقبين السياسيين؛ لأنَّ السياق الطبيعي لظهور مثل هذه الحركة يتطلب فترة زمنية، وقبولاً من الجماهير الأفغانية لأفكارها وطروحاتها قبل أن تبدأ بتنفيذ وتطبيق طروحاتها على أرض الواقع، وهو ما لم يحصل في حال هذه الحركة الطلابية، حيث إنَّها ظهرت بشكل مفاجئ وخلال فترة قصيرة جداً، واستقطبت قطاعات وشرائح كثيرة من أبناء الشعب الأفغاني، وحققت انتصارات عسكرية سريعة ومذهلة، وبسطت سيطرتها على أغلب أجزاء البلاد خلال فترة محدودة، ممَّا أثار تساؤلات كثيرة حول ظروف نشوء هذه الحركة.

(حركة الطالبان) تنتمي إلى قومية البشتون التي تعتبر من المنطلق السكاني أكبر قومية في أفغانستان. كما إنَّها على عكس القوميات الأفغانية الأخرى حافظت على بنائها القبلي وعلى تقاليدها. ومن الناحية السياسية تتمتع هذه القومية بتاريخ سياسي عريق، إذ إنَّها قد حكمت البلاد لمدة ٢٥٠ سنة باستثناء فترات محدودة.

عندما سيطرت المجموعات الجهادية غير البشتونية على السلطة في أفغانستان، وفَّر ذلك الأرضية المناسبة لتشكيل قوَّة للبشتون. وقد

وصلت هذه المجموعات الجهادية إلى السلطة بعد فترة طويلة من الاحتلال الروسي لأفغانستان، وحققت هذا الانتصار الكبير برفعها شعار الجهاد والشهادة مقابل القوَّة الأجنبية المحتلة.

بعد هذا الإنجاز أصبح المجاهدون قوَّة كبيرة لا يمكن معها تصور أنَّ قوَّة أُخرى يمكن أن تلحق الهزيمة بها، ما لم تكن أكثر التزاماً من الناحية الدينية، وبنائها الداخلي والتنظيمي أكثر انسجاماً وتماسكاً من الناحية السياسية. فهل كانت (حركة الطالبان) تتمتع بمثل هذه الخصائص؟

ظهرت (حركة الطالبان) في ظروف انشغال المجاهدين بحرب السيطرة والتنافس على السلطة، وفي وقت كان فيه الناس قد أنهكتهم الحرب وأرهقتهم، وكانوا يبحثون عن مخلص لهم، حتى التجار الذين فقدوا مصالحهم التجارية وخسروها كانوا مستعدين لقبول قوَّة تسيطر على الوضع وتتمكن من نزع أسلحة المجموعات المسلحة وتجريدها منها، وقادرة على إقامة حكومة مقتدرة في العاصمة كابول.

عند ظهور (حركة الطالبان) في صيف ١٩٩٤م دخلت الأزمة الأفغانية مرحلة جديدة، فهل استطاعت تغيير معادلة القوَّة في أفغانستان لصالحها؟ وما هي المتغيرات التي طرأت على الساحة الأفغانية، وأدَّت إلى تشكيل حركة الطالبان؟

هناك ثلاث عوامل مطروحة حول الظروف الداخلية لظهور (حركة الطالبان) وهي:

١ ـ الحرب على السلطة بين الفصائل الأفغانية هيأت الأرضية لظهور حركة الطالبان.

٢ ـ إخفاق القوى الجهادية في تشكيل حكومة وطنية بعد سيطرتها على السلطة.

٣ ـ المدارس الدينية التي درس فيها المهاجرون الأفغان.

* * *

نظرية أنَّ صراع الفصائل الأفغانية على السلطة هيىء الأرضية لظهور حركة الطالبان

يعتبر دخول (صبغة الله مجددي) إلى العاصمة الأفغانية ـ كأوَّل رئيس جمهورية بعد سيطرة المجاهدين على السلطة ـ تحولاً جدياً في التاريخ السياسي لأفغانستان. فأكثرية الناس ـ وعلى مدى ما يقارب الأربعة عشرة سنة ـ حاربوا القوات الروسية المحتلة ومعها أيضاً الحكومة الأفغانية التي نصَّبتها (موسكو) على رؤوس الأفغان. ولذلك كان الناس يتطلعون بعد سقوط النظام الموالي لـ(موسكو) إلى: الاستقرار، وانتهاء الحرب، وإعادة إعمار ما خرَّبته الحرب، وعودة المشرّدين والمهاجرين. لكن مجريات الأحداث سارت باتجاه آخر، فلم يمض شهر واحد على رئاسة (مجدّدي) للجمهورية حتى بدأت الحرب على السلطة بين قيادات المجاهدين، وظلت تتصاعد ويشتدّ أوارها يوماً بعد يوم.

ومع مجيء حكومة (برهان الدِّين رباني) اتخذت الحرب الداخلية أبعاداً أكثر خطورة. ونتيجة لهذه الحرب ولعدم الاستقرار السياسي لم يستطع المجاهدون تشكيل حكومة موسعة ووطنية ومستقرة. وإثر هذه الحرب الداخلية ـ التي استمرت حوالي أربع سنوات ـ فقد المجاهدون شرعيتهم السياسية يوماً بعد آخر، فالفصائل الجهادية التي تجمعت في (أفغانستان) أخفقت في التوصل إلى اتفاق على تقسيم السلطة بينها،

وبات كلٌّ منها يطالب بنصيب أكبر من السلطة. على أنَّ الاختلاف بين هذه الفصائل اتخذ مساراً أشدّ وأخطر بين: الحزب الإسلامي بقيادة (قلب الدِّين حكمتيار) والجمعية الإسلامية بقيادة (برهان الدِّين رباني) والرجل القوي في هذا الحزب (أحمد شاه مسعود).

وقد وصل الصراع على السلطة حداً أصبحت فيه النخب السياسية في هذه الفصائل على استعداد لإصدار أحكام الجهاد ضد بعضها البعض الآخر من أجل الحصول على حصة أكبر في الحكومة.

أمَّا رؤساء هذه الفصائل فبدلاً من احتكامهم إلى العقل والمنطق وحلّ الخلافات بالحوار والنقاش والتفاهم السياسي، لجأوا إلى استخدام نفس الأسلوب الذي استخدموه في مواجهتهم للروس، أي لغة الرصاص والمدافع والقتل في مواجهة بعضهم البعض.

(قاسم دانش بختياري) مؤلف كتاب (جذور الأزمة وطريق التنمية السياسية في أفغانستان) يقول في هذا الإطار ما يلي: (قبل أن يكون ظهور حركة الطالبان نتيجة فعل وتخطيط قوى خارجية؛ كان نتيجة التحزُّب والفئوية والانقسام القومي، والاختلافات الداخلية والممارسات غير اللائقة للقوات الجهادية بعد انتقال السلطة إليها)[1].

(دانش بختياري) ذكر في هذا الإطار ثلاثة عوامل ساهمت في إيجاد الأرضية المناسبة لظهور الحركة الطلابية نلخصها بما يلي:

١ ـ ضعف أكثرية قيادات المجاهدين من الناحية التنظيمية ومن ناحية التشكيلات السياسية، ما أدَّى إلى التعددية والانشقاقات، وظهور

---

(١) دانش بختياري، قاسم، جذور الأزمة وطريق التنمية السياسية، مؤسسة نور للبحوث والنشر (١٩٩٦م) ص٤.

أحزاب ومجموعات جديدة، ممَّا أطلق العنان للتصرفات الفردية واتخاذ القرارات الارتجالية غير المدروسة.

٢ ـ إنعدام التنسيق بين القيادات السياسية للمجاهدين، وعدم وجود برنامج سياسي محدد ومدوَّن لتداول السلطة بعد انتقال الحكم إلى المجاهدين. ممَّا أدَّى إلى إثارة أزمة كبيرة هزَّت بنيان البلد من الأساس.

٣ ـ إنعدام المرونة اللازمة عند بعض الأحزاب، وإصرارها الشديد على إقامة حكومة مثالية تشمل الكل ولا تنحصر في فئة أو حزب معين... ممَّا عمَّق الأزمة وأدَّى إلى ترجيح قيادات هذه الأحزاب مصالحها الشخصية والفئوية على المصلحة الوطنية العامة.

الدكتور (جنكيز بهلوان) ـ الخبير الإيراني في الشؤون السياسية الأفغانية ـ يعتقد أيضاً: (أنَّ المجاهدين الذين استقروا في كابول بعد سقوط النظام الماركسي، لم تكن لديهم تجربة في الحكم وإدارة الدولة، ما أدَّى إلى إيجاد الأزمة التي شهدتها البلاد. فعندما أخفق المجاهدون في إقامة حكومة إسلامية مقبولة، وفي توحيد القوى الداخلية؛ وضعت خطة أُخرى، تقضي بخندقة وتوحيد الشعب الأفغاني في مواجهة حكومة كابول، باسم الإسلام وباستغلال المشاعر الدينية والمعايير التي كانت سائدة في عصر الجهاد)[1].

* * *

---

(١) جنكيز، بهلوان، أفغانستان تحت حكم المجاهدين وحتى مجيء الطالبان، دار قطرة (طهران: ١٩٩٩م) ص١٩.

نظرية إخفاق القوى الجهادية في تشكيل حكومة وطنية بعد سيطرتها على كابول

عندما سيطر المجاهدون على زمام السلطة في كابول، أخفقوا في تشكيل حكومة يتقاسمون فيها السلطة والحكم بشكل عادل، بل سعىٰ كل طرف منهم إلى الاستئثار بسهم أكبر من السلطة والنفوذ لنفسه، وبدلاً من أن يفكروا بمصالح الناس وبمعاناتهم وحرمانهم؛ كانوا يفكرون بمصالحهم الحزبية والشخصية فقط.

الجماعات الجهادية هذه لم تكن تفكر بالمستقبل، ولم تكن تتصور أبداً أنَّ الناس سوف ترفضها وتبتعد عنها وتنفر منها، ولم تكن تتوقع أنَّها ستفقد السلطة والحكم!!

وحسب رأي بعض الخبراء والسياسيين: فإنَّ الإخفاقات المتلاحقة لحكومة المجاهدين، والاختلافات التي ظهرت بينهم، كانت سبباً أساسياً في توفير الأجواء والمناخات لظهور حركة الطالبان، سيَّما الاختلاف الحزبي والشخصي بين حزب الجمعية الإسلامية بقيادة (برهان الدِّين رباني) و(أحمد شاه مسعود) من جهة، والحزب الإسلامي بقيادة (قلب الدِّين حكمتيار) من جهة أُخرى، فحكمتيار ـ ونظراً للحساسية والعداوة التي كان يكنّها لأحمد شاه مسعود ـ لم يتحمَّل وجود هذا الأخير على رأس حكومة المجاهدين.

طمع (حكمتيار) في الحكم جعله ينقلب حتى على اتفاقية بيشاور[1] التي وقعها هو بنفسه، وأراد ألاَّ يكون منصب رئيس الوزراء ـ الذي تقلده ـ تحت إشراف رئيس الجمهورية، كما أراد أيضاً أن يكون منصب وزير الدفاع الذي أسند إلى (أحمد شاه مسعود) تحت إشراف واختيار رئيس الوزراء. أمَّا (شاه مسعود) فكان يعتبر تطبيق (اتفاقية بيشاور) أفضل وأحسن الطرق لتقاسم السلطة.

في البداية عيَّن (حكمتيار) أحد مساعديه ويدعى (عبد الصبور فريد) في منصب رئيس الوزراء، وامتنع هو عن دخول العاصمة كابول. وكان مستعداً للقيام بأيّ عمل من أجل إضعاف حكومة (برهان الدِّين رباني)[2] فحينما حصل على صواريخ (أرض ـ أرض)

---

(1) في ٢٤ نيسان ١٩٩٢م اجتمع قادة المجاهدين ـ الذين يتخذون من باكستان مقراً لهم ـ اجتمعوا في مدينة بيشاور الباكستانية، وتوصلوا إلى اتفاقية صادقوا عليها ـ بتدخل من رئيس الوزراء الباكستاني يومذاك نواز شريف ـ الهدف من هذه الاتفاقية كان تحديد الإطار لتشكيل حكومة مؤقتة بمرحلتين:
المرحلة الأولى: وتشمل ذهاب (صبغة الله مجددي) قائد أحد المجموعات البشتونية إلى (كابول) لإجراء مصالحة مع حكومة (نجيب الله) السابقة، وتشكيل حكومة مؤقتة لمدة شهرين.
المرحلة الثانية: وتشمل تشكيل حكومة مؤقتة برئاسة (برهان الدِّين رباني) لمدة أربعة أشهر، ثم تشكيل شورىٰ من أهل الحل والعقد (لوياجركه) لكي يتم بعد ذلك تشكيل حكومة مؤقتة لمدة ١٨ شهراً، تهيىء الأرضية لإجراء الانتخابات. هذه الشورىٰ عقدت في أواخر ١٩٩٢م اجتماعاً مجدداً قررت فيه تمديد فترة حكومة (رباني) إلى ١٨ شهراً.

(2) في أوائل شهر آب ١٩٩٢م بدأ (حكمتيار) حملة صاروخية شديدة على كابول، أدَّت إلى قتل الآلاف من الناس العزل. وحتى نهاية عام ١٩٩٤م كان (حكمتيار) قد هدم بحملاته الصاروخية على المدينة نصف العاصمة، وقتل حوالي ٢٥ ألف مواطن من أهالي كابول.

دكَّ بها العاصمة كابول، وكان يرمي من وراء استخدام هذه الصواريخ ـ التي زوده بها الجيش الباكستاني ـ تحقيق هدفين هما:

١ ـ منع تشكيل حكومة قوية مقتدرة بواسطة (رباني ومسعود) اللذين ينتميان إلى القومية الطاجيكية.

٢ ـ جعل العاصمة كابول منطقة غير آمنة لأهالي المدينة ولممثلي الأمم المتحدة حتى لا تصل المساعدات الدولية إلى هذه المنطقة.

وعلى الرغم من المجازر الكبيرة التي ارتكبها (حكمتيار) في مدينة كابول، إلاَّ أنَّه لم يتمكن ـ باعتباره يمثل إحدى القوى البشتونية ـ من فتح العاصمة والسيطرة عليها، ما جعل حماة (حكمتيار) يفكرون بتشكيل قوَّة جديدة من أجل إقامة حكومة بشتونية في كابول.

وعلى الرغم من حضور البشتون في حكومة المجاهدين، إلاَّ أنَّهم انزووا بالتدريج أو وقفوا بوجه حكومة الطاجيك، مثل مجموعة حكمتيار.. ذلك لأنَّ البشتون يريدون الإمساك بزمام السلطة ومفاصلها الأساسية لتصبح بيدهم، أمَّا (أحمد شاه مسعود) الذي كان له الدور الأساس في كسر الجيش الأحمر وإلحاق الهزيمة به وبالحكومة الأفغانية المرتبطة به، فقد رفض التخلي عن وزارة الدفاع التي أسندت إليه.

وعليه يمكن الاستنتاج أنَّ أياً من الحكومات الشيوعية لم تتمكن من إقامة سلطة شرعية ووطنية، وعندما جاء المجاهدون ظلوا بدورهم متفرقين ومتناحرين بسبب خلافاتهم القومية والقبلية وبسبب تخندقهم

عند مصالحهم الحزبية والشخصية. وإخفاق حكومة المجاهدين في إقامة حكومة موسعة ووطنية، ثمَّ حبّ السيطرة عند البشتون[1]، كل تلك الأسباب مهّدت الأرضية لظهور (حركة الطالبان) التي كانت تحمل راية البشتونية الجديدة (بشتونيزم) في أفغانستان.

* * *

(١) (وليم ميلي) أستاذ العلوم السياسية في الجامعات الإنجليزية يعتقد أنَّ التطرف القومي للبشتون ترك طعماً مرّاً في أفواه الكثير من غير البشتون، فتعصب هؤلاء يعني أنَّهم يعتبرون أنفسهم أفضل من بقية القوميات.

المدارس الدينية التي درس فيها المهاجرون الأفغان

عام (١٧٤٧م) ذهب (أحمد خان أبدالي) إلى (قندهار) وبعد مراسم تتويجه أسس أوَّل حكومة للبشتون في أفغانستان، ومنذ ذلك الوقت استمر حكم البشتون وتربعهم على السلطة مدة ٢٦٠ عاماً، باستثناء فترتين قصيرتين[1]. حتى أنَّ تفردهم بقيادة أفغانستان جعلهم يعتقدون بأنَّ القيادة يجب أن تكون لهم ومحصورة فيهم وتظل بأيديهم مهما كان الثمن وبأية وسيلة ممكنة.

الاستعمار الإنجليزي لشبه القارة الهندية دفع المسلمين هناك إلى تشكيل حركات مقاومة إسلامية لمواجهته، ففي أوائل القرن التاسع عشر قام (السيِّد أحمد باريليفي) ـ وهو من أهالي الشمال الشرقي للهند ـ بدعوة الناس إلى الجهاد لإخراج الإنجليز من الهند. . وقد

---

(١) عام ١٩٢٩م عُزل (أمان الله خان البشتوني) عن الحكم، إذ كان يريد إجبار المجتمع الأفغاني على الانفتاح على الثقافة والقيم الغربية. . وقد عُزل بتمرد قاده شخص طاجيكي اسمه (ابن السقا). لكن هذا الأخير عزل عن السلطة بعد ٩ أشهر على يد أحد أفراد البشتون ويدعى (محمد نادر خان) وكان من قيادات (أمان الله خان).
وفي عام ١٩٩٢م استولت حكومة المجاهدين على السلطة في (كابول) بعد انهيار النظام الشيوعي فيها، وبالتدريج حكم الطاجيك في أفغانستان. أمَّا في عام ١٩٩٦م فقد استطاعت حركة الطالبان ـ وهي من البشتون ـ إسقاط هذه الحكومة والسيطرة على السلطة في كابول.

استفاد من مصطلح (الجماعة) بدل الحركة، وأسس أوَّل حزب سياسي إسلامي لمواجهة البريطانيين.

وبعد ذلك تأسست مدرسة الدراسات الإسلامية (ديوبند) بالقرب من (دلهي). وقد تلقى الكثير من علماء أفغانستان علومهم فيها.

وعندما انفصلت (باكستان) عن (الهند) أسس (عبد الأعلى المودودي) حزب الجماعة الإسلامية. وكان لذلك الأثر في انتشار المدارس الدينية في باكستان. وبعد هجوم الاتحاد السوفياتي على أفغانستان استقر الكثير من اللاجئين الأفغان في ولايتي بلوشستان وسرحد الباكستانيتين، وتأثروا بالمحيط القبلي السائد هناك، حيث وقعوا تحت أوَّل تأثير مذهبي وأيديولوجي من قبل (جمعية علماء الإسلام) وهذه المجموعة لم يسجل لها أي دور في الجهاد ضد الاحتلال السوفياتي.

(جمعية علماء الإسلام) هي منظمة دينية باكستانية يقودها (المولوي فضل الرَّحمٰن) وهو من (البشتون الداراني). تولت هذه الجمعية عمليات إغاثة اللاجئين الأفغان في المخيمات التي أعدت لهم في باكستان. وبموازاة ذلك كانت تمدّ فصيل الجماعة الإسلامية بقيادة (تافي حسين أحمد) بالمساعدات العسكرية كي تكون تحت تصرف المقاتلين البشتون الغلجاني[1]. ولهذا السبب كانت علاقة (جمعية علماء الإسلام) بالجماعات الثورية والجهادية الأفغانية قوية، ولها جذور تاريخية.

---

(١) في الساحة السياسية الباكستانية، كان هناك خطان أو اتجاهان سياسيان هما: جماعة العلماء الإسلامية، والجماعة الإسلامية. وكانا في حالة تنافس دائم. وكانت نظرة مولانا المودودي للإسلام معاصرة أكثر، ولهذا السبب كان معرضاً لانتقاد علماء الديوبند.

الأفغان الذين لم ينخرطوا في صفوف المقاتلين ذهبوا إلى المدارس التابعة لهذه الجمعية، وانشغلوا بدراسة القرآن وتعلم الأحكام الإسلامية بصورة مجانية. ولا يوجد أدنى شك في حقيقة أنَّ (الطالبان) درسوا في هذه المدارس الدينية. ولا تتبع هذه المدارس ـ المنتشرة في أفغانستان وباكستان ـ نظام التعليم الرسمي، لكنَّها متأثرة بالمذهب (الديوبندي) الذي يميل نسبياً إلى التعصب القبلي للبشتون. كما إنَّها نمت وتكاثرت بشكل سريع في ولاية سرحد الباكستانية بعد هجوم الاتحاد السوفياتي على أفغانستان. وكان للمساعدات المالية المقدمة لهذه المدارس من السعودية والإمارات العربية المتحدة دور مؤثر في نموها وتكاثرها بسرعة. إلى جانب المساعدات التي كانت تتلقاها من الناس أيضاً.

ولا شكَّ أنَّ أحد أهم أسباب ازدهار هذه المدارس هو وجود الكثير من الشبان الأفغان العاطلين عن العمل بعد أن تركوا مدارسهم في المناطق التي هجروها، ذلك لأنَّ الاحتلال الروسي لأفغانستان تسبب في تشريد الملايين من الأفغان، حيث انتهى بهم الأمر إلى مخيمات اللاجئين في ولايتي بلوشستان وسرحد الباكستانيتين، وكانت النساء الأرامل والأطفال اليتامى الذين قتل آباؤهم في الحرب يشكلون نسبة كبيرة من هؤلاء اللاجئين.

فالأُمَّهات اللواتي فقدن أزواجهنَّ ويعشن على المساعدات المحدودة التي تقدمها المؤسسات الخيرية الأجنبية والمنظمات الدولية كنَّ يرجحن إرسال أبنائهنَّ إلى هذه المدارس الدينية، سيَّما وأنَّ هذه المدارس كانت مرغوبة من المهجرين الأفغان وقريبة إلى نفوسهم لأنَّها تستخدم لغتهم، وينتمي المدرِّسون فيها إلى القومية والقبائل التي ينتمي

إليها هؤلاء المهجرون. وكانت طريقة التعليم في هذه المدارس تقوم على نهج دراسي خاص، بحيث أنَّ الدارس فيها يتخرج منها متعصباً دينياً بشكل واضح. ويتعامل مع أي فكرة تخالف عقيدته وأفكاره بأساليب قمعية، ويعتبر ذلك نوعاً من الجهاد. لأنَّ مفهوم الجهاد من وجهة نظر هؤلاء لا يعني قتال المسلمين لغير المسلمين فقط، بل يعني أيضاً قتال كل فكرة مخالفة لعقائدهم لأنَّها ـ تعتبر بنظرهم ـ كفراً.

ولهذا كان (الطالبان) يعتبرون الحرب مع قوات حكومة (برهان الدِّين) نوعاً من الجهاد. ولنفس هذا السبب تورَّط طلاَّب المدارس الدينية البشتون في باكستان ـ وعلى أعلى مستوى ـ في الحروب الفئوية.



خلاصة البحث

بعد سقوط آخر حكومة شيوعية أواخر عام (١٩٩٢م) وانتقال السلطة إلى المجاهدين، لم يتمكن المجاهدون من تشكيل حكومة شرعية وموسعة ومستقرة في كابول. فزيادة طمع أحزاب المجاهدين في السلطة، وقلّة تجربة هؤلاء المجاهدين في الحكم، وعدم وجود برنامج لديهم لإدارة الدولة، وعدم تربية كادر سياسي لهذا الأمر، والأكثر من ذلك إنفصال القوّة البشتونية القوية بقيادة (حكمتيار) عن قوات المجاهدين الطاجيك؛ كل ذلك أدّى إلى عدم الاستقرار في أفغانستان، وإضعاف حكومة المجاهدين.

على أنَّ السياسة التي اتبعها (حكمتيار) تعتبر أكبر ضربة موجعة تلقتها حكومة المجاهدين، فحكمتيار كان له حضور داخل الحكومة عبر بعض الأشخاص الذين ساهموا بشكل فاعل في إضعاف الحكومة، وكان في الوقت نفسه يمارس ضغطاً عسكرياً على الحكومة.

هذه الوضعية المعقدة، وإخفاق (حكمتيار) في إسقاط حكومة المجاهدين، أدَّى إلى تبنِّي فكرة (حركة الطالبان) وتنفيذها فعلاً. فعندما فشل المجاهدون في فرض كلمتهم وحمل مخالفيهم على قبول الطرق السلمية والقانونية لحل الأزمة، ومع فقدان (حكمتيار) لشرعيته؛

نفَّذت خطة جمع العناصر المهزومة والمشتتة من (البشتون) وبالتالي تشكيل النواة الأصلية لحركة الطالبان. وحتى يتمكن هؤلاء الطلاب من مواجهة المجاهدين كان لا بدَّ من أن يظهروا إسلاماً جديداً من مزاياه: الأصالة والمحافظة على التقاليد الإسلامية عميقة الجذور في الواقع الأفغاني، حتى يقف بوجه إسلام المجاهدين المسالم والمعتدل.

ولأسباب مختلفة لم يوفق المجاهدون في حكومتهم، ولعلَّ من أسباب ذلك أنَّهم كانوا على هيئة مجموعات عسكرية تشكلت من أجل تحقيق أهداف عسكرية، وقد فشلت في تربية كوادر سياسية ذات كفاءة قادرة على إدارة شؤون الدولة كما يحصل في الأحزاب السياسية. ولهذ السبب عندما وصلت قوى المجاهدين إلى السلطة، لم تكن تملك كفاءات منظمة تتولى إدارة الدولة.

وبالنتيجة جرىٰ تقاسم السلطة في حكومة المجاهدين بصورة غير متجانسة، فرئيس الحكومة كان يمنح كل مجموعة وحزب عدداً من المناصب، وهؤلاء يرفضون ذلك ولا يسمحون لأحد الإشراف على عملهم، بل كانوا يتصرَّفون طبقاً لبرامج أحزابهم أو المجموعات التي ينتمون إليها، لا طبق برنامج الحكومة. وبالنتيجة تحولت الحكومة ـ من حكومة قوية وموحدة ومتماسكة في العهد الشيوعي ـ إلى حكومة ممزَّقة وغير منسجمة ومكونة من مراكز قوى متصارعة فيما بينها، في عهد المجاهدين!!

وعلاوة على ذلك فإنَّ بعض فصائل المجاهدين كانت غير مستعدة لاستخدام قواتها العسكرية في الدفاع عن هذه الحكومة وحمايتها وتقويتها.

فبعض القوى الشيعيَّة بقيادة (مزاري) استقرت في زاوية من العاصمة، وبدأت تناطح الحكومة من أجل الحفاظ على مواقعها.

و(حكمتيار) الذي كان يحاول بلعبه السياسية وأساليبه العسكرية العنيفة وضع جهاز الحكومة تحت سيطرته بشكل كامل، كان يغيِّر مواقفه السياسية في كل يوم، واستقر في النهاية مع قواته على أبواب العاصمة كابول، وأخذ يمطرها بالصواريخ.

و(عبد الرشيد دوستم الأزبكي) سيطر على عدد من محافظات الشمال واستقر فيها، وظل يهدِّد حكومة كابول بشكل دائم.

وفي ظل هذا الوضع استشرت حالة انعدام الأمن والفوضىٰ، وراحت تزداد مظاهر السرقة والاعتداء على أموال الناس وأعراضهم من قبل بعض الجماعات شبه العسكرية المحسوبة على المجاهدين. كما إنَّ الحكَّام المحليين يفرضون بالقوَّة ضرائب عالية على الناس في المناطق التي تقع تحت سيطرتهم. والوضع الاقتصادي والتجاري للبلد ازداد تدهوراً وسوءاً.

وبالنتيجة فإنَّ هذه الظروف كلها هيأت للعوامل والأسباب التي مهَّدت بدورها لتطور ونمو حركة الطالبان، ويمكن إدراج هذه العوامل بالنقاط التالية:

١ ـ عدم وجود حكومة مقتدرة وذات تجربة في كابول.

٢ ـ إحتدام الحرب الطويلة بين المجموعات الجهادية، وانعدام أمن العاصمة كابول بسبب استمرار الحملات الصاروخية.

٣ ـ وجود مشاكل أمنية كثيرة يعاني منها الناس وعدم اتباع رجال الحكومة للقوانين والمقررات الوطنية.

الفصل الثاني

الأسباب الخارجية
لظهور حركة الطالبان

- دور باكستان في ظهور حركة الطالبان
- دور الولايات المتحدة الأمريكية
- دور المملكة العربية السعودية

مدخل

إنَّ أهمية أفغانستان باعتبارها معبراً لباكستان نحو آسيا الوسطى معروفة ولا تخفىٰ على أحد، فهي تربط المنطقة بطريقين بريين، أحدهما يمرُّ من (قندهار) نحو الجنوب الغربي، والآخر يمرُّ من (كابول) نحو الشمال، وكلا الطريقين يبدءان من باكستان وينتهيان بآسيا الوسطى بعدما يقطعان الأراضي الأفغانية.

الغرب وباكستان كانوا يريدون فتح هذه الطرق وتفعيلها، لكنَّهم على ما يبدو لا يريدون أن ينتفع الشعب الأفغاني بالأرباح المالية لعوائد هذه الطرق! ولذلك كانوا يخططون لإقامة حكومة أفغانية ضعيفة غير قادرة على العمل بشكل مستقل والاستغناء عنهم.

فرضيتنا في هذا الفصل، هي أنَّ دولاً مثل: أمريكا وبريطانيا وباكستان والعربية السعودية والإمارات التقت جميعها عند هدف مشترك، ولكل منها دوافعها الخاصة بها، والهدف هو زعزعة استقرار حكومة المجاهدين في أفغانستان، فلم يكن وجود دولة إسلامية مستقلة لها أهداف ومحفزات ثورية إلى جانب الجمهورية الإسلامية في إيران قابلاً للتحمل لأي من هذه الدول التي ذكرناها. ولهذا فكرت القوى الكبرى وبعض الدول العربية في المنطقة بمشروع جديد تتمكن فيه من كسر شوكة المجاهدين وإلحاق الهزيمة بهم. لكن تحقيق ذلك ليس

بالأمر الهيِّن، لأنَّ هؤلاء ألحقوا الهزيمة بأكبر قوَّة عالمية على وجه الأرض، وهي الاتحاد السوفياتي، لذلك وضع المخططون لهذا المشروع الجديد في حسابهم أنَّ هذه القوَّة ـ حتَّى تكون قادرة على إلحاق الهزيمة بالمجاهدين ـ لا بدَّ أن تتوفر فيها صفات مميزة، ومنها يجب أن تكون ـ في الظاهر ـ أكثر إسلامية من المجاهدين وأكثر ثورية منهم.

(بي نظير بوتو) رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة ـ التي ظهرت حركة الطالبان في عهدها ـ صرَّحت لإذاعة الـ«بي. بي. سي» البريطانية في هذا الإطار قائلة: (باكستان لم تكن المدافعة عن حركة الطالبان فقط، بل كانت المنفذة لكل السياسات الأمريكية والبريطانية..) وأضافت: (الإنجليز هم المبتكرون والمخططون الأصليون لحركة الطالبان، وباكستان أعدت ونظمت هذه القوَّة بعدما تولت أمريكا والعربية السعودية تسليحها ومدَّها بالأموال الطائلة من الدولارات»[1].

وفي هذا الإطار توجد وجهتا نظر:

الأولى: وهي ما يعتقده البعض من الخبراء والمحللين السياسيين الأفغان أنَّ (حركة الطالبان) هي حركة شعبية نشأت كردَّة فعل على الفوضىٰ الداخلية التي عمَّت البلاد في عهد (حكومة المجاهدين). وما أن ظهرت هذه الحركة حتَّى قامت باكستان وبقية الدول التي تدعمها، بحمايتها ومساعدتها مالياً وعسكرياً، ودعمها سياسياً ولوجستياً. فأصحاب هذه الرؤية كانوا يعتبرون أنَّ سفر الرجل الثاني في حركة

---

(١) من مقابلة أجرتها إذاعة الـ(B.B.C) مع (بي نظير بوتو) في ١٤ تشرين الأول عام ١٩٩٦م.

الطالبان (الملا رباني) إلى العاصمة كابول ولقائه ببرهان الدِّين رباني رئيس حكومة المجاهدين محاولة كان الهدف منها الحصول على الدعم المالي والعسكري لحركة الطالبان من الحكومة الأفغانية[١].

(رباني) تمكن بعد سفره إلى (كابول) من كسب دعم حكومة المجاهدين وتأييدها لحركة الطالبان، لأنَّ رئيس جمهورية المجاهدين (برهان الدِّين رباني) كان يعتقد أنَّه لا بدَّ من دعم ومساعدة مجموعة جديدة للبشتون مقابل مجموعة (حكمتيار) لأنَّ (حكمتيار) كان يشكل تهديداً جدياً لحكومة كابول[٢].

وطبقاً لوجهة النظر هذه، لم تساهم أية قوَّة خارجية في نشوء الحركة قبل ظهورها. وحينما سيطرت الطالبان على مدينة قندهار، كانت توقعات جهاز الأمن في الجيش الباكستاني (الآي. اس. آي) بأنَّ هذه الحركة سوف لا توفق في مهمتها. ولذلك في الوقت الذي كانت فيه (جمعية العلماء الباكستانية) تمارس الضغوط على جهاز (الآي. اس. آي) من أجل تقديم الدعم والمساعدة لحركة الطالبان، كانت الـ«آي. اس. آي» ترجح أن تقف خلف الكواليس كمراقب على أن تدعم الطالبان عسكرياً[٣].

الثانية: ترى أنَّ دولة باكستان عندما يئست من إمكانية سيطرة

---

(١) أنطوني ديفيز قام بسفرات متعددة إلى أفغانستان، وهو عضو مؤسسة التحقيق Macarthar يعتقد أنَّ حركة الطالبان كانت تتكون في بداية التأسيس من ٣٠ شخصاً وكان منهم ١٤ شخصاً مسلحين، وكانوا يتلقون المساعدات الأولية من عناصر في داخل أفغانستان.

(٢) انطوني، ديفيز، تشكيل حركة الطالبان كقوَّة عسكرية (أفغانستان والطالبان والسياسات العالمية) ص٦٨.

(٣) رشيد، أحمد، باكستان وطالبان (أفغانستان والطالبان والسياسات العالمية) ص١٢٩.

التيار البشتوني ـ وخصوصاً الحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار ـ على السلطة في كابول، فكرت في إنشاء تيار بشتوني جديد كي تتمكن من إسقاط حكومة المجاهدين والسيطرة على كل أفغانستان. . وبالتالي نجحت (باكستان) في كسب تأييد بعض الدول العربية في المنطقة والولايات المتحدة وبريطانيا لتحقيق هذه الفكرة.

وحسب وجهة النظر هذه فإنَّ منظمة الأمن في الجيش الباكستاني الـ«آي. اس. آي» هي التي قامت بإنشاء هذه الحركة، لأنَّ هذه المنظمة كانت ترتبط بشبكات من الأفغان لها امتدادات تنتشر في النسيج الاجتماعي للشعب الأفغاني في مدينة قندهار داخل أفغانستان. وعبر هذا الطريق انتخبت الـ«آي. اس. آي» مجموعة من الأفغان وأرسلتهم إلى مدارس (جماعة علماء الإسلام) في بلوشستان الباكستانية[1]. وقائد هذه الجماعة (مولوي فضل الرَّحمٰن) كان قد خدم في وزارة (بي نظير بوتو) كما كان على صلة بوزير الداخلية (نصر الله بابر) وتربطهما علاقات تعاون في بعض المجالات أيضاً.

وفي الحقيقة إنَّ (حركة الطالبان) كانت حصيلة تظافر جهود وتعاون بين (جماعة العلماء في باكستان) ووزير الداخلية (نصر الله بابر) ومنظمة الأمن في الجيش «الآي. اس. آي» ووزارة الخارجية الباكستانية، فكل هذه الجهات تعاونت فيما بينها وأنشأت تياراً عسكرياً باسم (حركة الطالبان) في الساحة الأفغانية.

* * *

(١) ديفيز، انطوني، تشكيل حركة الطالبان كقوّة عسكرية (أفغانستان والطالبان والسياسات العالمية) ص٦٩.

دور باكستان في قيام حركة طالبان

١ ـ الجغرافيا السياسية:

تعتبر (باكستان) من الناحية الجغرافية في معرض الخطر الهندي والعاصمة الباكستانية (إسلام آباد) تقع بالقرب من الحدود الباكستانية الهندية، ما يجعل العاصمة في مرمىٰ الخطر الهندي عند نشوب أي حرب بين الدولتين. ولهذا فإنَّ (باكستان) ترى نفسها بحاجة إلى العمق الأفغاني ليكون عمقاً استراتيجياً ولوجستياً لها في حال نشوب حرب واسعة النطاق مع (الهند).

جذور هذه القضية تعود إلى فترة الاستعمار البريطاني لشبه القارة الهندية، فعندما خرج البريطانيون من المنطقة حدَّدوا (خط ديوراند) كحد قانوني بين أفغانستان وباكستان[1]. ولحدِّ الآن لم تعترف أية حكومة

(١) (ديه كو كوردوز) وسيط هيئة الأُمم المتحدة والواضع لمباحثات جنيف التي انتهت بقرار انسحاب الجيش الأحمر الروسي السابق من أفغانستان، تعرَّض إلى مسألة (خط ديوراند) تحت عنوان (مشكلة تاريخية) في كتابه (أفغانستان خلف الكواليس) وممَّا جاء في كتابه بهذا الشأن: (جذور المشكلة تعود إلى عام ١٨٩٣م ففي ذلك الوقت وقَّع الملك الأفغاني (أمير عبد الرحمن خان) مع (السير مورتيمر ديوراند) ممثل الهند البريطانية معاهدة تتضمن تعيين الحدود بين الدولتين. فالحكومة الملكية البريطانية تعتبر أنَّ باكستان ـ من ناحية القوانين الدولية ـ من الممتلكات القانونية للحكومة الهندية السابقة ولدولة بريطانيا. وعلى هذا الأساس يعتبر (خط ديوراند) =

أفغانية بهذا الخط كحدود رسمية بين البلدين. بل حتى قبائل البشتون لم تعترف بهذا الخط أيضاً لأنَّه يقسّم كلاً من: البلوش والبشتون إلى قسمين.

اهتم بعض المحللين بخط ديوراند في دراسة التنافس بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، فهم يعتقدون أنَّ قبول الولايات المتحدة[1] (خط ديوراند) كحدود معترف بها دولياً بين باكستان وأفغانستان دفع أفغانستان إلى اللجوء إلى موسكو، وقد استفاد الاتحاد السوفياتي من هذه الفرصة فوسَّع نفوذه في أفغانستان.

وإذا سلمنا بهذه النظرة يمكن القول إنَّ أحد أسباب ودوافع احتلال الاتحاد السوفياتي لأفغانستان يعود إلى مخالفة الحكومات الأفغانية في (كابول) الولايات المتحدة وباكستان لاعتبارهما (خط ديوراند) حدوداً دولية بين باكستان وأفغانستان. ففي (مباحثات جنيف) التي انتهت بخروج الجيش الروسي من أفغانستان، أثار الباكستانيون مرَّات عديدة مسألة (خط ديوراند) وتسبب ذلك في جرّ المباحثات إلى الطريق المسدود. غير أنَّ المباحثات تضمَّنت في النهاية إشارة إلى التزام الموقعين عليها بضرورة احترام الحدود المتعارف عليها دولياً بين باكستان وأفغانستان[2].

حدوداً دولية بين باكستان وأفغانستان. لكن أفغانستان تؤكد دائماً أنَّها لا تعترف بخط ديوراند كحدود دولية بينها وبين باكستان، كما تؤكد دائماً على أنَّ معاهدة عام ١٨٩٣م غير قانونية لأنَّ الملك الأفغاني وقعها بالإكراه مجبراً ولم يكن راضياً أبداً).

(١) في الخامس من آيار عام ١٩٥٦م أعلنت الولايات المتحدة ـ إثر تطور العلاقات بينها وبين باكستان، عسكرياً وسياسياً ـ أنَّ الحدود القانونية بين باكستان وأفغانستان هي (خط ديوراند) وهي حدود مقبولة ومحترمة من قبل الجميع.

(٢) (ديه كو كوردوز) من الزحف حتى السقوط. أفغانستان وراء الكواليس، ترجمة إسلام شفائي، دار المهدي الدولية (طهران ١٩٩٠م) ص١٤٠.

بعد هذه الاختلافات قررت باكستان المجيء بحكومة عميلة لها في أفغانستان حتى تقبل بالحدود الحالية وتعترف بها، وحسب ما تراه (إسلام آباد) بهذا الشأن، وبالتالي يمكن أن يتحرك الباكستانيون في هذه المناطق بحرية واطمئنان، ولذلك يتضح أنَّ كل مساعي باكستان المرتبطة بأفغانستان على مدى أكثر من نصف القرن الماضي تدخل في هذا الإطار. أي أنَّ باكستان كانت تطمح ـ من خلال السيطرة على أفغانستان ـ إلى حل انفصال أو تقسيم ولاية بلوشستان وولاية سرحد (بشتونستان) إلى قسمين.

٢ ـ العوامل الاقتصادية:

تكمن أهمية باكستان بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية في ارتباطها بآسيا الوسطى عن طريق أفغانستان، فهذا الطريق يؤمن انتقال الطاقة من آسيا الوسطى إلى المحيط الهندي، وبالعكس يؤمن هذا الطريق تصدير المواد الأولية إلى آسيا الوسطى، وفي كلا الحالتين تكون باكستان هي المستفيدة من ضرائب انتقال الطاقة وتصدير المواد الأولية من وإلى دول آسيا الوسطى. فباكستان كانت تبحث عن فرصة، تمكنها من إحياء طريق الترانزيت: (چمن ـ قندهار ـ هرات ـ تركمانستان) وأيضاً إنشاء خط أنابيب نقل الوقود من آسيا الوسطى عبر أفغانستان، لتأمين الطاقة لها، ولتستفيد من العائدات المالية لهذه المشاريع أيضاً.

وعلاوة على ذلك أرادت (باكستان) من خلال إيجاد خط الترانزيت وتشكيل حكومة أفغانية تحت حمايتها وبرعايتها في أفغانستان، أن تصبح قوَّة إقليمية كبيرة في المنطقة وفي العالم، وبالتالي تضعف الدور الإيراني في تلك المنطقة.

قدمت باكستان في أواخر أيَّام (الجنرال ضياء الحق) خطة من أجل الوصول إلى آسيا الوسطى والنفوذ إليها، فضياء الحق كان يعتقد أنَّ (باكستان) تتمتع بموقع تاريخي يمكنها من مساعدة أفغانستان ودول آسيا الوسطى كي تبقى جزءاً من العالم الإسلامي، ويخلصها من السوفيات الكفار بإخراجهم من هذه المنطقة.

سياسة (ضياء الحق) هذه استرعت اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية[١] باعتبار أنَّ الاتحاد السوفياتي كان يمثل قوّة عظمى في ذلك الوقت ينافس أمريكا. وبالطبع فإنَّ (ضياء الحق) لم يبق حياً ليرى انهيار الاتحاد السوفياتي. ولكن اعتقاده بانتصار المجاهدين يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار. الاهتمام الباكستاني بأفغانستان كان وما يزال من الأهمية بمكان بحيث أنَّ كل الحكومات الباكستانية اللاحقة مثل: حكومة (بي نظير بوتو) و(نواز شريف) و(برويز مشرف) تابعت تلك السياسية إزاء هذا البلد.

---

(١) (سيل اس هارسيون) المحقق والباحث الأمريكي ينقل في ذكرياته من مقابلته مع (الجنرال ضياء الحق) أجراها معه قبل موته المثير للشك بسبب سقوط طائرته بقليل.. وممَّا جاء في هذه الذكريات: (حدثني ضياء الحق قبل موته بقليل، أنَّ هدفه من إشعاله الحرب في أفغانستان هو القضاء على الشيوعية من الأساس وكذلك النظام المرتبط بها في أفغانستان، وتهيئة الأرضية لتشكيل نوع من التحالف الاستراتيجي في جنوب آسيا. وكان قد أعلن أنَّ من حقنا أن يكون لنا نظام صديق في كابول. نحن باعتبارنا دولة في الخط الأمامي اشترينا الخطر بأرواحنا ولذلك لا نسمح ببقاء نظام في كابول تحت نفوذ روسيا والهند في أفغانستان ويطالب بجزء من أراضينا.. يجب أن تأتي حكومة إسلامية تشكل جزءاً من الحركة الإسلامية، فهذه الحركة ستشمل يوماً من الأيَّام المسلمين في الاتحاد السوفياتي وترون ذلك أنتم).

٣ ـ الدعم الخاص لحركة الطالبان:

بعد انتصار المجاهدين في أفغانستان على القوّة العسكرية السوفياتية والنظام التابع لموسكو في كابول، غيَّرت الدولة الباكستانية سياسة دعمها لهؤلاء المجاهدين بالتدريج، فقصرت هذه المساعدات على البشتون، ثمَّ على (الحزب الإسلامي) بقيادة (حكمتيار) من بين البشتون. إذ كانت باكستان تراهن على (حكمتيار) في إسقاط حكومة المجاهدين، لكنَّه لم يتمكن في حربه التي خاضها ضد كابول من إلحاق الهزيمة بحكومة المجاهدين وإسقاطها.

وفي مثل هذا الوضع أصبحت باكستان أمام ثلاث خيارات هي:

١ ـ زيادة الدعم العسكري لحكمتيار لدرجة تمكينه من إسقاط حكومة رباني، وإقامة حكومة جديدة في كابول[١].

٢ ـ قيام القوات العسكرية الباكستانية بالتدخل المباشر في أفغانستان مستغلة الفراغ العسكري الذي تعاني منه أفغانستان.

٣ ـ إيجاد تيار جديد من (البشتون) قادر من الناحية الدينية على إلحاق الهزيمة بالمجموعات التي تحارب باسم الجهاد في سبيل الله، وتتمكن بالتالي من تأمين أهم شيء للناس وهو الأمن.

---

(١) على مدىً عقد من الزمان كانت الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها سياسة باكستان هي ارتباط (الآي. اس. آي) مع (الجماعة الإسلامية) بزعامة (قاضي أحمد) ومع (الحزب الإسلامي) بقيادة (حكمتيار) وهذا ما أدّى إلى وقوع الأسلحة المرسلة من الولايات المتحدة والدول العربية بيد المحاربين من (الغلجاني) الذين يسكنون في شمال شرق أفغانستان أما (البشتون الدراني) فلم يحظوا باهتمام (الآي. اس. آي) ووكالة الاستخبارات الأمريكية (السي. آي. أي).

الخيار الأول: لم يحظ بموافقة العناصر السياسية والعسكرية في باكستان. لأنَّ باكستان قدمت على مدى سنتين بعد سقوط حكومة (نجيب الله) كل أشكال الدعم لحكمتيار، لكنَّه لم يتمكن من السيطرة على العاصمة كابول، ولم يستطع حتى من توحيد (البشتون الغلجاني) ضد دولة المجاهدين في كابول.

الخيار الثاني: هو الآخر كان خياراً لا يوصل إلى نتيجة بنظر المخططين الباكستانيين لأنَّ الناس في أفغانستان تخلَّصوا حديثاً من سلطات الاحتلال الروسي، ولا يقبلون بسلطة احتلال جديدة. لذلك تبنَّى الباكستانيون الخيار الثالث.

الخيار الثالث: هذه المرة قامت باكستان بدعم (البشتون الدراني).

بداية هذا العمل كان بالدعم السياسي لجمعية علماء الإسلام، فهذه المجموعة ظلت منذ عام ١٩٨٨م إلى عام ١٩٩٣م في حالة انزواء كامل من الناحية السياسية. وفي عام ١٩٩٣م اتحد هذا الحزب مع (حزب الشعب الباكستاني) بقيادة (بي نظير بوتو) وأصبح جزءاً من الائتلاف الحاكم. بعد هذا الاتحاد أصبح (مولانا فضل الرَّحمن) رئيساً للجنة الدائمة للمجلس الوطني الباكستاني الخاصة بشؤون السياسة الخارجية.

وصول (جمعية علماء الإسلام) إلى الحكم يسَّر لها أمر الارتباط بالجيش الباكستاني وبـ«الآي. اس. آي» ووزارة الخارجية، وبشخص (نصر الله بابر) وزير الداخلية الذي يعتبر من أصدقاء (عائلة بوتو الأوفياء[1].

---

(١) (نصر الله بابر) كان صديقاً ومستشاراً لعائلة بوتو في فترة حكم الأب وابنته. وكان له

وفي ظل هذا الوضع استطاعت (جمعية علماء الإسلام) أن تغيِّر نظر الحكومة المركزية في باكستان إزاء (البشتون الدراني) والطالبان. ومن هنا يتضح الدور البارز جداً لمولانا فضل الرحمن في تأمين الدعم المالي والعسكري والسياسي للطالبان[١].

هذه الظروف وفَّرت للطالبان الفرصة لبناء علاقات واتصالات وروابط وثيقة جداً مع الكثير من المؤسسات الحكومية والأحزاب السياسية والمجموعات التجارية في باكستان[٢] ولذلك لم يحصر (الطالبان) علاقاتهم مع جهة واحدة في الحكومة الباكستانية، في حين كان لقلب الدِّين حكمتيار وكل القادة المجاهدين الأفغان ـ في عقد الثمانينات ـ علاقات خاصة مع جهاز الأمن العسكري الـ«آي. اس. آي» والجماعات الإسلامية. وكانت علاقاتهم

الدور الأساس في بيان سياسات الأفغان لذو الفقار علي بوتو والد (بي نظير بوتو) و(بابر) هذا كان من البشتون ويمتلك معلومات واسعة جداً حول العمليات الجبهوية والأمنية. ولذلك وضع المجاهدون الذين أبعدوا إلى باكستان تحت إشراف (بابر) وتلقوا التدريبات العسكرية بصورة سرية.

(١) الكثير من أعضاء (حركة الطالبان) كانوا يحملون الجواز الباكستاني لأنَّهم عاشوا سنين طويلة في مخيمات اللاجئين في باكستان، وتزوجوا من باكستانيات، وأنجبوا أطفالاً في باكستان. وهؤلاء صوتوا لصالح (حزب جمعية علماء الإسلام) في انتخابات عام ١٩٩٧م في بلوشستان.

(٢) (الطالبان) جزء من الجهاز الحكومي الباكستاني لجلب الأموال، فهؤلاء كانت لهم روابط عميقة مع القبائل الحدودية ومع الشخصيات المتنفذة في معسكرات اللاجئين ومع مافيا النقل. كما بنوا علاقات وطيدة مع (آصف علي زرداري) زوج (بي نظير بوتو) وحصلوا على إجازات تصدير الوقود لأفغانستان. ومع توسع الماكنة الحربية لحركة الطالبان أصبحت إجازات تسويق الوقود من باكستان إلى أفغانستان مصدراً مالياً ضخماً يدرُّ على السياسيين الباكستانيين والطالبان أرباحاً وفيرة. ولذلك فإنَّ لتقوية الطالبان منافع اقتصادية بالنسبة للسياسيين في باكستان.

ضعيفة جداً مع الجماعات السياسية والاقتصادية القوية في السلطة الباكستانية.

وعلاوة على ذلك يرىٰ بعض المحللين أنَّ (حركة الطالبان) تشكلت على خلفية تنافس خفي بين وزارة الداخلية الباكستانية و(نصر الله بابر) من جهة وجهاز الأمن العسكري من جهة أُخرى، فأحمد رشيد (الصحفي الباكستاني) الذي له تحقيقات وبحوث كثيرة حول الطالبان يعتقد أنَّ: (الجنرال نصر الله بابر وزير الداخلية المتقاعد أوجد حركة الطالبان خلال الفترة الثانية ١٩٩٣ ـ ١٩٩٦م من رئاسة الوزراء لـ(بي نظير بوتو)[١]. إذ كان يريد إخراج السياسة الباكستانية إزاء أفغانستان من أيدي «الآي .اس. آي»).

تأثير العلاقات الباكستانية السعودية في نشر الوهابية:

وفَّرت الأوضاع الاجتماعية والسياسية في باكستان أرضية خصبة لتنامي أفكار ومعتقدات متشددة مثل (الوهابية) في هذا البلد. حيث توجه دعاة الوهابية الأوائل إلى شبه القارة الهندية في القرن التاسع عشر الميلاد وحتى ما قبل تأسيس الدولة الباكستانية، وشرعوا بنشر الوهابية هناك. وجاء ذلك متزامناً مع نشوء تنظيمات عقائدية أُخرى مثل الـ(ديوبندية) التي أصبحت فيما بعد انطلاقة للعديد من الحركات السياسية المتطرفة في تلك المنطقة. غير أنَّ (الوهابية) باتت تطرح في المجتمع الباكستاني كقوَّة سياسية وعقائدية ملفتة للاهتمام مع تنامي

---

(١) أحمد رشيد، الطالبان، الإسلام والنفط واللعبة الكبرى، ترجمة إسلام شفائي وصادق باقري دار دانش هستي (طهران ٢٠٠٠م) ص٢٨٧.

وتطور العلاقات بين باكستان والمملكة العربية السعودية، وحرص السعودية على نشر الفكر الوهابي في باكستان.

في هذه الفقرة سنبيّن تأثير العلاقات السعودية ـ الباكستانية على انتشار الوهابية في هذا البلد:

أ ـ عوائق تطوير العلاقات السعودية ـ الباكستانية:

قبل ذلك نتطرق إلى ثلاثة عوائق واجهتها العلاقات بين المملكة العربية السعودية وباكستان وهي:

١ ـ غالبية الدول العربية بما فيها المملكة العربية السعودية اعتبرت أنَّ تأسيس الدولة الباكستانية جاء انطلاقاً من السياسة الاستعمارية الرامية لتضعيف الهند، وكذلك انطلاقاً من السياسة القديمة (فرق تسد)[١] وعليه فإنَّ هذه الدول اعتبرت تأسيس الدولة الباكستانية خطوة استعمارية. الأمر الذي أدَّى إلى حدوث فتور في العلاقات بين باكستان والدول العربية.

٢ ـ دعم باكستان المتزايد للاتجاهات والتطلعات الإسلامية وتأكيدها على الوحدة الإسلامية أثار الشكوك لدى الدول العربية في أنَّ باكستان ـ نظراً لزيادة تعداد سكَّانها ـ قد تتطلع مستقبلاً إلى قيادة الأمَّة الإسلامية. الأمر الذي أزعج المملكة العربية السعودية تحديداً[٢].

(١) نس زايرنيك وس. م بورك، تاريخ العلاقات الخارجية الباكستانية، ترجمة إيرج وفايي، دار كوير (طهران ١٩٩٨م) ص٧٧.

(٢) نفس المصدر، ص٧٨.

٣ ـ العلاقات الاستراتيجية والودية بين باكستان وإيران وتركيا، لم تنل رضى المملكة العربية السعودية، لا بل أثرت سلباً في علاقاتها مع باكستان.

وعليه فإنَّ العلاقات بين المملكة العربية السعودية وباكستان بدأت في ظل أجواء من عدم الثقة. كما إنَّ العلاقات بين البلدين انحسرت بشكل أوضح منذ عام ١٩٥٤م حيث اقتربت باكستان أكثر فأكثر من الولايات المتحدة بصفة خاصة ومن البلدان الغربية بصفة عامة، على حساب علاقاتها مع العالم العربي. وتعكَّرت أجواء العلاقات بشدَّة بين المملكة العربية السعودية وباكستان إثر انضمام (باكستان) إلى (حلف بغداد) الذي ضمَّ أيضاً كلاً من: تركيا وإيران. وجاء كدلالة على التقارب بين باكستان وهاتين الدولتين بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. وبعد الإعلان عن انضمام (باكستان) إلى الحلف أقدمت السفارة السعودية في (إسلام آباد) على إجراء غير مألوف للدلالة على غضب السعودية الشديد، حيث نشرت بياناً صحفياً دعت فيه (باكستان) إلى سحب عضويتها من الحلف، والعودة إلى الصراط السوي. معتبرة القرار الباكستاني بالانضمام إلى (حلف بغداد) خنجراً في قلب العرب والبلدان الإسلامية، ومدعاة للدهشة والاستغراب[١].

وقد اتخذ التوتر في العلاقات السعودية ـ الباكستانية طابعاً جديداً في أعقاب تطور العلاقات بين المملكة العربية السعودية والهند. فبينما كانت (باكستان) تبدي معارضتها للضغوط التي كانت تمارسها (الهند)

---

(١) نفس المصدر، ص٢٢٠.

على المسلمين الهنود؛ كانت (السعودية) ـ ورغم ادعائها تولي الأماكن الإسلامية المقدَّسة ـ تثني بالمديح على الحكومة الهندية[1].

ومنذ تولي (الجنرال أيُّوب خان) السلطة الباكستانية عام ١٩٥٨م أبدت (إسلام آباد) عدم ارتياحها من مستوى علاقات التعاون بينها وبين البلدان الغربية والولايات المتحدة، ولم تعتبر الانضمام إلى (حلف السنتو) كافياً لتحسين الأوضاع السياسية والاقتصادية في باكستان، وللدفاع بشكل أفضل عن باكستان أمام الهند. ولذلك بذل (أيُّوب خان) جهوداً أكبر للارتقاء بمستوى العلاقات بين بلاده والعالم الإسلامي، ولا سيَّما بينها وبين الدول العربية. وقد دخلت هذه الجهود مرحلة جديدة عام ١٩٦٣م عرفت بمرحلة إعادة النظر في السياسة الخارجية الباكستانية، خصوصاً بعد تنمية العلاقات بين أمريكا والهند، وزيادة التقارب بينهما بسبب مخاوف البلدين من توسع الشيوعية آنذاك.

ب ـ إعادة النظر في العلاقات السعودية ـ الباكستانية:

قامت (المملكة العربية السعودية) بإعادة النظر في علاقاتها مع (باكستان) في محاولة للارتقاء بمستوى هذه العلاقات لعدَّة أسباب وهي:

١ ـ علاقات الصداقة بين الهند وإسرائيل، ودعم (باكستان) المتزايد

(١) في أيلول عام ١٩٥٥م قام رئيس وزراء الهند (جواهر لآل نهرو) بزيارة إلى السعودية، واستقبل هناك بحفاوة بالغة تحت شعار (مرحباً يا رسول الإسلام) الأمر الذي أثار بشدَّة غضب الشعب الباكستاني إزاء المسؤولين السعوديين، وأدَّى إلى فتور أكبر في العلاقات بين البلدين.

لموقف الدول العربية حيال القضية الفلسطينية، أوصل الدول العربية ـ وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية ـ إلى القناعة بأنَّ باكستان يمكن أن تكون صديقاً مناسباً لها في المجتمع الدولي.

٢ ـ عقب تولي (جمال عبد الناصر) الحكومة في مصر، ودعمه لفكرة القومية العربية، واشتداد المنافسة بين مصر والسعودية على قيادة الأُمَّة العربية، ما دفع بالحكومة السعودية إلى التقارب مع (إيران) التي كانت تقف بوجه (مصر) آنذاك من منطلق العداء لها. وبذلك وقف البلدان إلى جانب بعضهما أمام عدو مشترك[1]. وهذا ما ساعد على تطوير العلاقات بين السعودية وإيران التي كانت حليفة لباكستان.

٣ ـ في الستينات قامت المملكة العربية السعودية ـ ومن منطلق مكانتها على مستوى العالم الإسلامي ـ بتطوير علاقاتها مع مختلف البلدان الإسلامية. وكانت (باكستان) تحظى بأهمية أكبر للمملكة العربية السعودية بسبب زيادة سكانها وموقعها الاستراتيجي. وبذلك تطورت العلاقات بين البلدين بشكل مضطرد في الستينات. ومع ذلك لم يكن للسعودية نفوذ في (باكستان) على مستوى نفوذها في (إيران) أو حتى في (تركيا) إلى حين تولي (ذو الفقار علي بوتو) السلطة في باكستان، حيث دخلت العلاقات السعودية ـ الباكستانية مرحلة جديدة إثر انتهاج (بوتو) سياسة جديدة تمثلت في تنمية العلاقات بين بلاده والعالم الإسلامي.

---

(١) المحقق، علي، وثائق العلاقات الإيرانية ـ السعودية، مؤسسة وثائق تاريخ العلاقات الدبلوماسية في وزارة الخارجية الإيرانية، طهران. ص٤٢.

في ظل حكومة (ذو الفقار علي بوتو) في باكستان، فتحت صفحة جديدة من السياسة الخارجية الباكستانية. إذ بادر (بوتو) إلى تقليص موالاة بلاده للدول الغربية ـ ولا سيَّما للولايات المتحدة الأمريكية ـ وسعى بالمقابل من أجل زيادة التقارب بين باكستان والعالم الإسلامي[1].

وفي هذا السياق حظيت (المملكة العربية السعودية) باهتمام أكبر، وأخذ (بوتو) يولي اهتماماً خاصاً بتنمية العلاقات بين بلاده والمملكة العربية السعودية.

ج ـ حكم ضياء الحق... فترة نشر الوهابية في باكستان:

الانقلاب العسكري في باكستان عام (١٩٧٧م) كان بداية لحكم ديكتاتوري عسكري قاده جنرال سنّي اسمه (ضياء الحق) وجاءت حكومة ضياء الحق تزامناً مع وقوع أحداث وتطورات كبيرة مثل: الثورة الإسلامية في إيران، والغزو السوفياتي لأفغانستان، ونشوب الحرب الإيرانية ـ العراقية. وفي خضم تلك الأحداث، زاد التقارب بين الحكومتين الباكستانية والسعودية يوماً بعد آخر. وتوسعت الخطوات على طريق تنمية العلاقات بين البلدين خاصة بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

---

(١) ألقى (ذو الفقار علي بوتو) كلمة أعرب فيها عن مدى حبّه للمملكة العربية السعودية حيث قال: (باكستان دولة شرق أوسطية، وإنّ شعبها وجد هويته ومراده في رمال شبه الجزيرة العربية).
وزار (بوتو)السعودية أربع مرّات خلال فترة حكمه التي استمرت ست سنوات. ورحبت السعودية بهذه السياسة الباكستانية، وقام (الملك خالد) بزيارة (إسلام آباد) عام ١٩٧٦م.

العوامل التي ساعدت على التقارب المستمر بين باكستان والمملكة العربية السعودية:

١ ـ إنَّ (الجنرال ضياء الحق) كان سنياً متعصباً ومتأثراً بحزب (الجماعة الإسلامية). وكانت حكومته تعتبر حكومة حزبية ذات ارتباط بحزب الجماعة الإسلامية. كما إنَّ النفوذ الواسع لهذا الحزب في حكومة ضياء الحق، وموالاة هذا الأخير لرجال الدِّين السعوديين وفَّرت الأرضية لتقارب الحكومة الباكستانية مع زعماء آل سعود الوهابيين.

٢ ـ كان (الجنرال ضياء الحق) يميل أيضاً نحو أعداء الشيعة مثل: الـ(ديوبنديين) بسبب أنَّ الشيعة كانوا يدعمون (ذو الفقار علي بوتو) وهذه النزعة العدائية للشيعة من جانب الرئيس الباكستاني ضياء الحق، شجعت على تعزيز الصداقة أكثر فأكثر بين الحكومة الباكستانية وحكومة آل سعود التي كانت تضمر عداءاً تاريخياً للشيعة.

٣ ـ نظراً للأجواء السياسية التي كانت سائدة آنذاك، مهَّد (الجنرال ضياء الحق) للتدخل في أفغانستان. والأهم أنَّ الأجواء التي أدَّت إلى زعزعة مكانة الاتحاد السوفياتي في منطقة آسيا الوسطى، حثَّت (الجنرال ضياء الحق) على التفكير في تأسيس حلف إسلامي سنِّي من باكستان وأفغانستان ودول آسيا الوسطى[١]. الأمر الذي نال اهتمام المملكة العربية السعودية باعتبار أنَّها

---

(١) رشيد، أحمد، طالبان (الإسلام، النفط واللعبة الكبرى) ترجمة أسد الله شفايي وصادق باقري، دار دانش هستي. (طهران: ٢٠٠٠م) ص٣٠٣.

كانت تدّعي زعامتها للعالم الإسلامي، وأنَّ لها نفوذاً كبيراً لدى الحكومة الباكستانية، وهذا ما شجعها على إقامة علاقات أوثق وأقرب مع حكومة (ضياء الحق) العسكرية.

٤ ـ منذ بداية استقلال باكستان، كانت إيران تقف بقوَّة إلى جانب هذه الدولة بوجه التهديدات الهندية والسوفياتية. لكن بعد انتصار الثورة الإسلامية انحسرت مكانة إيران بسبب التبعات الطبيعية للثورة الإسلامية، ولم تعد باكستان تعتمد عليها كحليف قوي يدافع عنها أمام تهديد الأجانب.

وتلك الظروف دفعت بباكستان إلى إعادة النظر في سياستها الخارجية بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، إلى البحث عن حليف جديد. فوقع اختيارها على (المملكة العربية السعودية) بسبب مكانتها السياسية والاقتصادية المهمة، وكانت القيادة الباكستانية تعتقد أنَّ السعودية ستساهم في دعم باكستان على مسرح السياسية الدولية.

٥ ـ بعد انتصار الثورة الإسلامية تحولت (إيران) من حليف استراتيجي لأمريكا إلى قوَّة معارضة لسياسات الولايات المتحدة الأمريكية. (باكستان) كانت حتى ذلك الحين تتسلم المساعدات الأمريكية عن طريق إيران، وكانت أيضاً واثقة من أنَّ (إيران) وبالتعاون مع أمريكا ستبادر إلى الدفاع عنها إذا ما واجهت تهديداً، لكنَّها سرعان ما بدأت بالبحث عن أحد الحلفاء الإقليميين للولايات المتحدة لتقيم معه علاقات صداقة أوثق في أعقاب توتر العلاقات بين إيران وأمريكا.

وكانت (المملكة العربية السعودية) قد تصدَّرت الأولوية في هذا المنحى، ورحبت الولايات المتحدة ـ بدورها ـ بتطوير العلاقات السياسية بين هذين البلدين باعتبار أنَّ كلاً من باكستان والسعودية كانتا تقيمان علاقات حميمة معها، خاصة أنَّ الغزو السوفياتي لأفغانستان كان يقتضي إقامة تنسيق أوسع بين حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة.

٦ ـ أدَّت الثورة الإسلامية في إيران إلى تحريك الشيعة في أقاصي العالم، ووفَّرت أرضية خصبة لنهضة سياسية شيعية في مختلف البلدان. ولم تمض إلاَّ فترة قصيرة على الثورة الإسلامية في إيران حتى قام الشيعة في منطقتي الاحساء والقطيف شرق السعودية بانتفاضة على حكومة آل سعود في محرَّم عام ١٣٩٩[١] هـ. الأمر الذي دفع بالحكومة السعودية إلى قمع الشيعة على نطاق أوسع في شتى بقاع العالم بما فيها باكستان، كما أدَّى إلى زيادة التقارب بين السعودية وحكومة (ضياء الحق) في باكستان.

٧ ـ في عهد حكومة (ذو الفقار علي بوتو) أرسلت وحدات من القوات العسكرية الباكستانية إلى المملكة العربية السعودية لدعمها. وتمَّت الاستعانة بالقوات الباكستانية على نطاق أوسع بعد تولي (الجنرال ضياء الحق) السلطة في (إسلام آباد) وكذلك في أعقاب استيلاء جماعة (جهيمان العتيبي) على المسجد الحرام عام ١٩٧٩م والتي كانت تشكل تهديداً للحكومة السعودية. وكانت ترابط في المملكة العربية السعودية قوَّة

---

(١) مسجد جامعي، زهراء، نظرة إلى تاريخ الوهابية، دار دانش (طهران: ٢٠٠١م) ص١٠٥.

عسكرية باكستانية قوامها عشرة آلاف جندي قبل اندلاع الحركة العتيبية، وكانت الحكومة السعودية تأخذ على عاتقها تسديد كافة نفقات هذه القوَّة، بالإضافة إلى تقديمها مساعدات مالية للحكومة الباكستانية لشراء أسلحة ومعدات عسكرية متطورة من الولايات المتحدة والبلدان الأوروبية[١].

وبعد الحركة العتيبية تطور التعاون العسكري بين السعودية وباكستان بشكل أوسع، وازداد عدد أفراد القوَّة العسكرية الباكستانية المرابطة في السعودية بصورة مستمرة حتى بلغ أكثر من مائة ألف جندي. والاستعانة بالقوات الباكستانية هذه ساعدت من جهة على تعزيز القدرات العسكرية السعودية، ووفَّرت الأرضية المناسبة لنشر العقيدة الوهابية بين أفراد تلك القوات من جهة أُخرى. والتعاون العسكري بين البلدين كان يحظى باهتمام كبير من جانب (باكستان) أيضاً. لأنَّ الحكومة الباكستانية كانت تعاني من أزمة اقتصادية خانقة، وكانت تستلم مبالغ لا يُستهان بها من الحكومة السعودية إزاء إرسال قواتها إلى هناك. وقد بلغ حجم الأموال التي حصلت عليها باكستان من السعودية أكثر من عشرة مليارات دولار خلال الفترة بين عام ١٩٧٥ و١٩٨٧م[٢]. وساعدت هذه الأموال على دفع العجلة الاقتصادية الباكستانية إلى الأمام.

واستناداً إلى ما مرَّ يمكن الاستنتاج بأنَّ التعاون العسكري والأمني

---

(١) فرزين نيا، زيبا، باكستان، مركز الدراسات السياسية والدولية لوزارة الخارجية الإيرانية (طهران: ٢٠٠١م) ص٢٢٩.

(٢) بسنديده، أبو الفضل، دراسة حول الوهابية ونفوذها في شبه القارة الهندية، رسالة بكالوريوس (طهران: ١٩٩٥م).

بين باكستان والمملكة العربية السعودية لعب دوراً مهماً جداً في الارتقاء بمستوى العلاقات بين البلدين.

٨ ـ لم تمرّ (باكستان) مرور الكرام على الغزو السوفياتي لأفغانستان. بل تحولت (باكستان) إلى مركز معارض لاحتلال هذه الدولة. والمملكة العربية السعودية أيضاً لم تبد اللامبالاة إزاء هذه القضية. فالحكومة السعودية استغلت فرصة التصدي للعدوان السوفياتي لإثبات أنَّها تهتم بمشاكل المجتمعات الإسلامية. وعليه سعت من خلال مساهمتها الفاعلة في جهاد الأفغان للإيحاء بأنَّها تشكل المحور الرئيس في العالم الإسلامي.

كما أنَّها انتهزت هذه الفرصة لنشر العقيدة الوهابية، وتوسيع دائرة نفوذها في باكستان وأفغانستان وحتى في آسيا الوسطى، علاوة على تعزيز تعاونها مع أمريكا في مكافحة الشيوعية.

٩ ـ الوضع الاقتصادي المناسب للسعودية وعائداتها النفطية الهائلة، ساعدا (حكومة آل سعود) على الاستثمار في مختلف أنحاء العالم بهدف نشر العقيدة الوهابية. وكانت باكستان مؤهلة أكثر من غيرها لقبول هذه العقيدة، لذلك أقدمت السعودية على استثمارات أكبر في باكستان.

الأسباب والدلائل آنفة الذكر، أدَّت إلى نمو مستمر في العلاقات بين المملكة العربية السعودية وباكستان في ظل حكومة (ضياء الحق). فارتقت العلاقات بين البلدين إلى أعلى مستوى لها.

١٠ ـ بعد عامين من وفاة (ضياء الحق) والغزو العراقي للكويت

أصبحت (المملكة العربية السعودية) أيضاً معرضة للخطر. ولأجل درء الخطر عنها عقدت الحكومة السعودية الآمال على (باكستان) وعلى الجماعات السياسية الوهابية في هذا البلد. فالحكومة الباكستانية تعاونت مع أمريكا ومع بلدان الخليج الفارسي في مواجهة الغزو العراقي للكويت. حيث أرسلت (باكستان) في أول مرحلة (٢٠٠٠) جندي، وفي المرحلة الثانية (٣٠٠٠) جندي معززين بالآليات العسكرية إلى المملكة العربية السعودية. وأثناء نشوب الحرب بين قوات التحالف والقوات العراقية، أرسلت باكستان (٥٠٠٠) جندي آخر إلى المملكة العربية السعودية للدفاع عنها أمام تهديد محتمل من جانب العراق[١]. غير أنَّ موقف الجماعات الوهابية الباكستانية جاء على نقيض من الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الباكستانية بهذا الخصوص. إذ أنَّها أدهشت المسؤولين في الحكومتين السعودية والباكستانية بإعلان دعمها لصدام حسين، وامتناعها عن مساعدة المملكة العربية السعودية[٢].

هذا الموقف المناويء للسعودية الذي اتخذته الجماعات الوهابية خاصة بعد رفض السعودية اقتراح (ابن لادن) بالاستفادة من العرب الأفغان في الحرب على العراق، ودخول نحو (٥٤٠٠٠٠) جندي أمريكي إلى الأراضي السعودية للهجوم على العراق، اتخذ طابعاً أكثر تشدداً، عندما قامت الجماعات الوهابية المتطرفة بمفاجأة العالم

(١) فرزين نيا، زيبا، باكستان، مركز الدراسات السياسية والدولية لوزارة الخارجية الإيرانية (طهران: ٢٠٠١م) ص٢٣٠.
(٢) رشيد، أحمد، نفس المصدر، ص٣٠٩.

بتنظيم مظاهرات عارمة ومتتالية في (باكستان) لصالح (صدام حسين) وضد الولايات المتحدة وحليفتها المملكة العربية السعودية. الأمر الذي برهن على فشل السياسة الخارجية السعودية، وهدر الأموال الضخمة التي أنفقتها السعودية لدعم تلك الجماعات الوهابية.

على أية حال بعد انتهاء الحرب وتحرير الكويت، تمَّ رأب الصدع في العلاقات بين الحكومة السعودية وأغلب هذه الجماعات. كما أنهت الجماعات المتشددة دعمها لصدام حسين. فيما كانت العلاقات بين المملكة العربية السعودية وباكستان أوثق بالنظر إلى الدعم الذي كانت تقدمه باكستان للمملكة العربية السعودية أثناء الحرب على العراق، حتى أنَّ هذه العلاقات كانت تتوسع يوماً بعد آخر.

وبعد سقوط حكومة (نجيب الله) في أفغانستان، وانهيار الاتحاد السوفياتي، دخلت العلاقات السعودية ـ الباكستانية مرحلة جديدة جرَّاء السياسة المشتركة بين البلدين في ما يتعلق بتشكيل حكومة موالية لهما في أفغانستان، وتوسيع دائرة نفوذهما في منطقة آسيا الوسطى عن طريق إنشاء تيارات وهابية متشددة في هذه المنطقة.

التعاون بين المملكة العربية السعودية وباكستان بشأن أفغانستان مرَّ بثلاث فترات هي:

١ ـ الفترة بين عام ١٩٩٢م وعام ١٩٩٤م: خلال هذه الفترة قامت السعودية وباكستان وعبر التعاون المشترك بينهما بدعم الحزب الإسلامي الذي كان يقوده (قلب الدِّين حكمتيار) وكان البلدان

يحرصان على فوز هذا الحزب في الصراعات التي كانت تدور في أفغانستان.

٢ ـ بعد الانقلاب العسكري الذي قاده (برويز مشرف) في ١٢ تشرين الأول عام ١٩٩٩م تواصلت العلاقات بين المملكة العربية السعودية وباكستان.

٣ ـ في حزيران عام ٢٠٠٠م قام (برويز مشرف) بزيارة إلى السعودية. كما قام بزيارة أُخرى للسعودية في آذار عام ٢٠٠١م. ما دلَّ على أنَّ العلاقات حميمة بين البلدين.

وخلال فترة حكومة الجنرال مشرف، تطورت العلاقات الاقتصادية والعسكرية بين البلدين وكان من نتائجها التوقيع على اتفاقية تجارية في حزيران عام ٢٠٠٠م ومشاركة السعودية في معرض الأسلحة الدفاعية في كراتشي في ١٤ ـ ١٦ تشرين الثاني عام ٢٠٠٠م وتوافق الطرفين على إنجاز مشروع مشترك لصنع (دبابة خالد). وفي شباط عام ٢٠٠١م قام البلدان بمناورات عسكرية مشتركة في المياه الباكستانية.

وعلاوة على التعاون الاقتصادي والعسكري، وافق (الجنرال مشرف) على طلب الحكومة السعودية نفي رئيس الوزراء الباكستاني (نواز شريف) إلى المملكة العربية السعودية بعد أن أطاح به مشرف، وهو دليل آخر على العلاقات الوطيدة بين البلدين[١].

* * *

---

(١) فرزين نيا، المصدر السابق، ص٢٣١.

دور الولايات المتحدة الأمريكية

التدخل الفعَّال لوكالة الاستخبارات الأمريكية الـ(سي. آي. أي) في أفغانستان أصبح جدّياً عندما دخل السوفيات بقواتهم إلى (كابول) لحماية النظام الشيوعي هناك. فالأمريكان كانوا يأملون بأنَّ الحرب الأفغانية سوف تدفع السوفيات بالتدريج إلى سحب قواتهم إلى الأراضي السوفياتية في آسيا الوسطى.

وفي أوائل الثمانينات تشكل ائتلاف في الكونغرس الأمريكي سمّي بقوات الضربة الأفغانية، وكان الهدف من إنشاء هذه القوات هو الثأر من السوفيات والانتقام منهم على ما فعلوه في (فيتنام) حيث كانوا قد دعموا ثوار الفيتكونغ الذين ألحقوا الهزيمة بالقوات الأمريكية وكبَّدوها خسائر فادحة في الأرواح والمعدات. وحسب وجهة نظر الأمريكيين فإنَّ أفغانستان تعد نموذجاً للثأر من الشيوعيين[1].

هذا الأمر جعل الكونغرس الأمريكي يضاعف مساعداته لأفغانستان في الثمانينات. لكن الأوضاع في التسعينات اختلفت كلياً بعد انتصار المجاهدين ودخولهم العاصمة (كابول) فاتحين. وذلك لأسباب اقتصادية وسياسية متعددة منها:

---

(١) ديه كوكوردوز، سليك اس هاريون، أفغانستان وراء الكواليس، ترجمة أسد الله شفائي، دار المهدي العالمية (طهران: ٢٠٠٠م) ص١٩٨.

١ ـ العوامل الاقتصادية:

الأهداف الأمريكية الاقتصادية في أفغانستان في التسعينات كانت أكثر ارتباطاً بالطاقة، فمع وجود ذخائر معدنية في أفغانستان، إلاً أنَّ أمريكا كانت وراء فكرة مشروع نقل الطاقة النفطية التي بحوزة دول بحر قزوين وآسيا الوسطى عن طريق أفغانستان. وبعد استقلال دول آسيا الوسطى عن الاتحاد السوفياتي توفَّرت إحصاءات جيدة حول احتياطات النفط والغاز في دول هذه المنطقة. لكن هناك باحث إيراني أعلن أرقاماً معدلة لهذه الإحصاءات يعتبر هذه الاحتياطات على جانب كبير من الأهمية[١]. على أنَّ الأهم من هذه الاحتياطات النفطية والغازية في هذه المنطقة هو تأمين الطرق لانتقالها إلى الأسواق العالمية، فمن بين الدول المجاورة لآسيا الوسطى، يعتبر خط (الصين) غير اقتصادي لانتقال الطاقة. أما (روسيا) فقد حذفتها أمريكا من قاموسها لأسباب سياسية.

وطريق القفقاز وقرقيزستان يعتبر من الناحية الاقتصادية باهظ الثمن ومكلف جداً، ومن الناحية الأمنية غير مأمون وينطوي على مشاكل كثيرة.

---

(١) (قراكوزلو) كتب في مجلة المعلومات والسياسة الاقتصادية الشهرية العدد ١٧٤ مقالة تحت عنوان (أفغانستان نهاية مشهد التطرف) جاء فيها: (على الرغم من توقعات المحافل الغربية في السنين الأولى بعد انهيار الاتحاد السوفياتي بأنَّ احتياطات النفط لدول بحر قزوين وآسيا الوسطى بحدود ٢٠٠ مليار برميل نفط و٢٧٩ تريلون متر مكعب من الغاز، إلاً أنَّ التحقيقات العلمية تقدر الاحتياطات في هذه المنطقة بين ١٥ ـ ٢٩ مليار برميل نفط، وفي هذه الحالة فإنَّ احتياطات دول بحر قزوين يمكن مقارنتها مع بحر الشمال الذي يقدر احتياطيه بـ ١٧ مليار برميل نفط، ومع أمريكا التي يقدر احتياطيها النفطي بـ ٢٩,٨ مليار برميل فقط. كما تقدر احتياطات هذه المنطقة من الغاز أيضاً بين ٧٠٥,٥ إلى ١٠٠٨,٣ مليار متر مكعب.

وعلى الرغم من أنَّ طريق (إيران) أكثر الطرق جدوى من الناحية الاقتصادية والأمنية، وأقربها أيضاً لانتقال الطاقة، لكن أمريكا تعتبر أنَّ أفغانستان تمثل موقعاً ممتازاً في هذا المجال.

حتى قيل إنَّ أحد الأهداف الرئيسية لتشكيل أمريكا وباكستان (حركة الطالبان) هو تحديد (أفغانستان) باعتبارها البلد الذي يمكن نقل نفط وغاز آسيا الوسطى عبره إلى موانىء ومحطات الشحن في البحار.

وفي الخامس من شهر نيسان عام ١٩٩٥م شكلت وزارة الخارجية الأمريكية ومجلس الأمن القومي والـ(سي. آي. أي) فريقاً مشتركاً للتحقيق في مقادير النفط والغاز في دول بحر قزوين وآسيا الوسطى.

وفي هذه الأثناء بدأ المسؤولون في (تركمنستان) محادثات أولية مع شركة (يونيكال) الأمريكية حول مدّ خط أنابيب لنقل الغاز من (تركمنستان) إلى (باكستان) عبر (أفغانستان)[١]. غير أنَّ إجراء هذا المشروع كانت تواجهه عقبتان تقفان في طريق تحقيقه، أحدهما وجود حكومة المجاهدين في كابول، والأُخرى انعدام الأمن في مسير خط أنابيب الغاز في أفغانستان[٢].

وفي نفس الوقت كان (نصر الله بابر) وزير الداخلية الباكستاني قد قدم مشروعه للأمريكيين، ذلك أنَّ (بابر) كان يقول إنَّ طلاب

(١) الأنصاري، خواجه بشير أحمد، أفغانستان في حريق النفط، دار ميوند (كابول ٢٠٠٣م) ص٥٦.

(٢) في ١٦ آذار ١٩٩٥م وقع (صفر مراد نيازوف) رئيس جمهورية تركمنستان و(بي نظير بوتو) رئيسة وزراء باكستان اتفاقية مدّ خط أنابيب نقل الغاز من تركمنستان إلى باكستان.

المدارس الدينية الباكستانية غير الرسمية الذين يربو عددهم على ثلاثين ألف طالب يمكن أن يشكّلوا قوّة عسكرية وسياسية جديدة يحسب لها حسابها. وأنَّ هذه القوّة جاهزة وغير مرتبطة بأحد.

وفي ٢٥ تشرين الأول عام ١٩٩٩م وقعت (تركمنستان) وشركة (يونيكال) النفطية الأمريكية وشركة (الدلتا) النفطية السعودية عقداً مشتركاً لمدّ خط أنابيب نقل الغاز من (تركمنستان) إلى (باكستان) عبر (أفغانستان)، وكان من المقرر مدّ أنابيب الغاز بملياري دولار، وكلفة مدّ خط أنابيب النفط بأربعة مليارات دولار. لكن توقيع مثل هذه الاتفاقيات مع انعدام الأمن في (أفغانستان) لا معنى له، لأنَّ خط الأنابيب وأي طريق ترانزيت يحتاج إلى جيش يحرسه ويحميه.

(حركة الطالبان) هي القوّة الوحيدة التي حظيت بتأييد ورضا الـ(آي. اس. آي) الباكستانية ووكالة الاستخبارات الأمريكية، وشركتي (يونيكال) الأمريكية و(دلتا) النفطية السعودية[١].

وبعد سيطرة (الطالبان) على (كابول) في ٢٦ أيلول ١٩٩٦م طلب (كريس تاكريت) أحد المسؤولين في شركة (يوينكال) من الحكومة الأمريكية أن تعترف رسمياً بحكومة الطالبان[٢].

وبعد ذلك قال (رابين رافائيل) معاون وزير الخارجية الأمريكي

---

(١) The Vz and the taliban under a done deal Lemonde Diplomatiqu january 5.2005 Financial Times. London. October 3.1996

(٢) الأنصاري، خواجه أحمد، أفغانستان في حريق النفط، دار ميوند (كابول ٢٠٠٣م) ص٦٥.

لشؤون آسيا: (يجب أن يُعترف بالطالبان رسمياً باعتبارها حركة شعبية وكقوَّة أثبتت استقامتها)[1].

يرى بعض المحللين أنَّ (زلماي خليل زاده) الأفغاني الأصل، والذي أصبح فيما بعد المبعوث الخاص للرئيس الأمريكي وسفير أمريكا في أفغانستان، كان له دور خاص في تشكيل (جماعة الطالبان) وفي انتصاراتها في أفغانستان.

(خليل زاده) الذي كان يعمل في أواسط التسعينات في الشركة كمبرج مختص بالبحث والتحري عن النفط، أجرى تحقيقاً لشركة يوينكال النفطية الأمريكية، تضمن مشروعاً لتأسيس خط أنابيب بطول (٨٩٠) ميلاً وبكلفة (٢) مليار دولار، لنقل (١,٩) مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي من (تركمنستان) إلى (باكستان). كما إنَّ (خليل زاده) كان قد اصطحب الوفد الطالباني الذي جاء في زيارة إلى أمريكا، اصطحبه إلى (تكساس). وكان يسعى إلى تحقيق مشروع شركة (يونيكال) النفطية[2].

٢ ـ العوامل السياسية:

إذا أخذنا بنظر الاعتبار التدخلات الأمريكية السابقة في الشأن الأفغاني الداخلي، يُطرح السؤال التالي نفسه، وهو:

---

(١) نفس المصدر، ص١٧٥.

(٢) (بيتر مارزان) في كتابه: (الطالبان والحرب والمذاهب والنظم الجديدة في أفغانستان) كتب ما يلي: (من الأدلة الأخرى على الدعم الأمريكي المحتمل لحركة الطالبان، هو مخالفة هذه الحركة لإيران؛ لأنَّ أمريكا كانت في قلق دائم من الحضور الإيراني كطرف محوري وفعَّال في قضية نفط آسيا الوسطى، ومن هنا فإنَّ الدافع الأساس لدور الولايات المتحدة في دعم حركة الطالبان هو المصالح الضخمة التي ستحصل عليها وتكون من نصيبها.

كيف تحول هذا الدعم الأمريكي من الفصائل الجهادية التي سيطرت على السلطة في كابول إلى (حركة الطالبان) التي كانت معارضة لحكومة (برهان الدِّين رباني)؟

وللإجابة على هذا السؤال نشير إلى أنَّ الولايات المتحدة وباكستان كانتا تنسّقان سياساتهما في ذلك الوقت إزاء أفغانستان، وكليهما تريدان إضعاف نفوذ الجمهورية الإسلامية الإيرانية في أفغانستان؛ لأنَّ (برهان الدِّين رباني) و(أحمد شاه مسعود) كانا من الطاجيك الذين يتكلمون اللغة الفارسية. ثمَّ إنَّ مجموعتين من المجاهدين ترتبطتان بعلاقات جيدة مع إيران، وتتمتعان بنفوذ كبير في حكومة كابول هما: الطاجيك وبعض الفصائل الشيعية، وهذا الوضع لم يرق للولايات المتحدة وباكستان والعربية السعودية، ولذلك أقدمت هذه الدول على رصد الأموال الطائلة من أجل إيجاد تيار جديد يمكن أن يتحرك ضد هذا الوضع، ويخالف إيران من الناحية المذهبية والقومية واللغوية.

ومن هذه الزاوية يجب التسليم بأنَّ (الطالبان) كانت حصيلة جهد واسع وموجه بهدف احتواء نفوذ الجمهورية الإسلامية الإيرانية في أفغانستان وآسيا الوسطى.

وعلاوة على خبراء المنطقة، فإنَّ بعض المحللين الغربيين أيضاً يؤيدون هذه النظرية[١].

ورغم أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية تدافع كثيراً عن (حركة

---

(١) السجادي، سيِّد عبد القيُّوم، علم الاجتماع السياسي في أفغانستان القومية والمذهب والحكومة، مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية في قم (قم ٢٠٠١م) ص٢٦٢.

الطالبان) وراء الكواليس، إلاَّ أنَّها لم تكن تريد أن تعدّ شريكة في الممارسات المتطرفة لهذه الحركة، خصوصاً تجاه: انتهاكها لحقوق الإنسان، وسحقها للمرأة الأفغانية، واضطهادها لحقوقها.

ولذلك كانت تنتقد ظاهرياً التصرفات التعسفية لحركة الطالبان مع الشعب الأفغاني. لكن هذه السياسة المزدوجة لا يمكن أن تغطي على علاقة أمريكا بهذه الحركة، ودورها في تقويتها ودعمها لها. وواضح أنَّ الدافع الأساس لإخفاء هذه العلاقة هو تجنّب مواجهة الرأي العام الغربي في حال علم أنَّها شريكة في جرائم (حركة الطالبان) بخصوص: انتهاك حقوق الإنسان ومصادرة الحريات.

وفي حقيقة الأمر إنَّ (الولايات المتحدة) كانت تأمل في أن تلحق (الطالبان) الهزيمة بالمجاهدين، وتسيطر على كافة الأراضي الأفغانية. وبالتالي تشوه الوجه الحقيقي للإسلام بواسطة هذه الجماعة بشعاراتها الإسلامية المتطرفة والمنحرفة، وإلحاق الهزيمة بالفصائل الثورية التي ترتبط بعلاقات جيدة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومن ثم تقليص النفوذ الإيراني في هذا البلد.

* * *

دور المملكة العربية السعودية

بعد الانسحاب الكامل للقوات العسكرية السوفياتية من أفغانستان، تبدد قلق المملكة العربية السعودية من انتشار الفكر الشيوعي فيها، ولذلك يمكن الاستنتاج أنَّ التدخلات السعودية في الشؤون الأفغانية منذ ذلك الوقت فصاعداً كانت قائمة على أساس السياسة الهجومية. فعندما وصل المجاهدون الأفغان إلى السلطة في كابول، دعمت السعودية بداية الحزب الإسلامي بزعامة (قلب الدِّين حكمتيار) على أمل أن يتمكن من إسقاط حكومة المجاهدين. لكن الدعم السعودي العلني الذي استمر طيلة عام ١٩٩٢م لحكمتيار لم يؤدِّ إلى نتيجة.

وفي هذا الإطار كتبت مجلة الشرق الأوسط (Middle east) في عدد شهر حزيران: (أنفقت السعودية على مدى السنة الماضية ملياري دولار. كانت حصة الأسد منها لحكمتيار).

بعد تغيير أمريكا وباكستان سياستهما إزاء أفغانستان وحمايتهما لحركة الطالبان غيَّرت الحكومة السعودية معهما سياستها أيضاً. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو:

لماذا دعمت الحكومة السعودية حركة الطالبان؟

١ ـ الدافع المذهبي:

تعتبر الأهداف أو الدوافع الأيديولوجية لحكومة السعودية أكثر أهمية من الدوافع السياسية لدعم حركة الطالبان. فالتدخلات السعودية في الشؤون الأفغانية لا يمكن فهمها دون الأخذ بنظر الاعتبار دور هذه الدولة وادعاءاتها القائمة على أساس المحورية في العالم الإسلامي.

ولما كانت الأيديولوجية الحاكمة في المملكة العربية السعودية هي (الوهابية) وهي مخالفة للمذاهب السنية الأربعة أي: الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية، كما إنَّها متضادَّة مع المذهب الشيعي. ولما كانت كذلك فإنَّها واجهت مشكلة جدية من ناحية انتشارها في العالم الإسلامي، حيث لم تجد قبولاً من المسلمين إلاَّ على نطاق ضيق جداً.

ولأنَّ الحكومة السعودية لديها إمكانات مالية هائلة ناشئة من الثروة النفطية؛ فإنَّها تمكنت من تحقيق بعض التقدم بخصوص طموحاتها تلك. ومن الواضح أنَّ الملوك والأمراء السعوديون لم يكونوا قادرين على القيام بدور تشكيل (حركة الطالبان) دون دعم علماء الدِّين الوهابيين. فمجلس العلماء السعوديين كان يعي تماماً الموقف المضاد لحركة الطالبان من التشيع ومن إيران. غير أنَّه في الوقت الذي أظهر فيه الأمراء السعوديون انحيازهم لحركة الطالبان؛ دعم هذا المجلس تلك السياسة.

إذا أخذنا بنظر الاعتبار ميل المملكة العربية السعودية للحضور المؤثر أيديولوجيا في (أفغانستان) ندرك التنافس السعودي الخفي مع إيران الشيعية، أي أنَّ التصدِّي للمذهب الشيعي كان من دوافع

الحضور السعودي في أفغانستان. ومن هنا يمكن الاستنتاج أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان استعانتا بالأيديولوجية الوهابية السعودية لمنع نمو واتساع الأيديولوجية الثورية الشيعية في إيران. فالعربية السعودية تعتبر نفسها أُم القرى للعالم الإسلامي، لكن انتصار الثورة الإسلامية في إيران وضع أُمّ القرى السعودية أمام تساؤلات وعلامات استفهام كثيرة.

وخلال فترة حكم المحتلين السوفيات في أفغانستان لم يكن هناك خلاف جدي بين إيران والمملكة العربية السعودية، فكلا الدولتين كانتا تدعمان المجاهدين في مواجهة الاحتلال السوفياتي الشيوعي من أجل تحرير أفغانستان.

لكن الخلاف بدأ عندما أصبحت (كابول) تحت سيطرة حكومة المجاهدين. فإذا كانت الحرب مع السوفيات يمكن تسويقها بأنَّها جهاد المسلمين ضد الكفار، فإنَّ الحرب الأفغانية الداخلية لم تكن تتمتع بهذه الخاصية، ولذا يتوقع البعض أنَّ هذه الحرب قد تمَّ توجيهها من الناحية الأيديولوجية بهذ الشكل وهو:

إنَّ حكومة أفغانستان بيد مجموعة من القومية الطاجيكية التي تتكلم اللغة الفارسية، والشيعة من الهزارة يتمتعون بنفوذ كبير في هذه الحكومة، وتدعمهم دول مثل: روسيا وإيران والهند. لذلك لا بدَّ من الجهاد ضد هؤلاء.

وكان واضحاً من الناحية الأيديولوجية أنَّ مثل هذا الفهم للجهاد ـ الذي لقي رواجاً ـ لا يحظىٰ بتأييد علماء السُّنَّة من الذين يحترمون أنفسهم من ذوي الدرجات العلمية الرفيعة.

على أيِّ حال، ساهم هذا الأمر في تشكيل جبهات إقليمية ودولية إزاء قضايا أفغانستان، حيث تمكن مشاهدة دور هذه الجبهات في نشوء (حركة الطالبان) والدعم الخارجي لها بوضوح.

٢ ـ دعم المدارس الدينية الباكستانية مالياً:

يعتبر الدعم المالي السعودي للمدارس الدينية إحدى الطرق للنفوذ السعودي في العالم الإسلامي، واستقطاب مجموعات كثيرة من علماء الدِّين إلى جانبها. وقد نجحت المملكة العربية السعودية ـ من خلال بذل الأموال الضخمة في باكستان ـ في تأسيس مدارس دينية وبناء مساجد في هذا البلد.

ومن الطبيعي أنَّ السعودية لا تبدي رغبة للكشف عن معلومات موثقة بشأن الأموال التي تصرفها في هذه المجالات.

الطلاب الأفغان الذين درسوا في هذه المدارس الدينية الباكستانية التي أنشأتها السعودية بأموالها، أصبحوا تياراً سياسياً يعرف بالطالبان، وحتى بعد ظهور الطالبان، استمر الدعم المالي السعودي، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح.

وكتب أحد المحققين الأفغان بهذ الشأن ما يلي:

(... بتعاون الجيش الباكستاني، خصوصاً جهازه الأمني الـ«آي. اس. آي» وبمشورة المملكة العربية السعودية، وبمركزية الـ«سي. آي. أي» وبالدعم المالي الإماراتي، نشأت حركة الطالبان في عام ١٩٩٤م، حيث اجتمعت كل هذه الأطراف وبحثت مسألة إنشاء تشكيل أفغاني قوي بقيادة (الملا عمر) وإطلاقه في الساحة

السياسية والعسكرية الأفغانية. وقامت الإدارة الأمريكية من خلال الـ«سي. آي. أي» بتقسيم أدوار العمل بين حلفائها الاستراتيجيين في المنطقة من أجل إنشاء وتقوية حركة الطالبان، فمسؤولية تنظيم وإمداد حركة الطالبان بالأسلحة وتقوية بنيتها العسكرية أنيطت بباكستان، ومسؤولية الدعم المالي وتأمين المبالغ الاقتصادية للحركة أنيطت بالعربية السعودية والإمارات العربية المتحدة)[١].

(السيِّدة بي نظير بوتو) التي ظهرت (حركة الطالبان) للوجود في عهد رئاستها للوزراء، عندما تعرضت إلى انتقادات شديدة من قبل الأوساط السياسية والإعلامية في باكستان، كشفت ـ في معرض الدفاع عن نفسها ـ خفايا تعاون بقية الدول في تشكيل وإنشاء (حركة الطالبان) وقالت بهذا الشأن:

(ساهم في تشكيل وإنشاء حركة الطالبان كل من: باكستان وأمريكا وبريطانيا والعربية السعودية، وبصورة مشتركة)[٢].

وتشكل هذه الاعترافات من الشخص الأول في الحكومة الباكستانية دليلاً قوياً على اشتراك هذه الدول الأربعة ودورها في تنظيم وتشكيل وإنشاء حركة الطالبان.

(أحمد رشيد) المحقق والصحفي الباكستاني كان هو الآخر يعتقد هكذا، فبعد اللقاء السرّي للأمير (تركي الفيصل) رئيس جهاز الأمن

---

(١) السجادي، سيِّد عبد القيُّوم، علم الاجتماع السياسي في أفغانستان القومية والدِّين والحكومة، مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية في قم (قم ٢٠٠١م) ص٢٦٢.
(٢) رشيد أحمد، باكستان وطالبان (أفغانستان والطالبان والسياسات العالمية) ترجمة عبد الغفار محقق، دار ترانه (مشهد: ١٩٩٦م) ص١١٥.

السعودي ولقائه في باكستان مع مسؤولين باكستانيين في حزيران ١٩٩٦م تحولت السعودية إلى أهم داعم مالي لحركة الطالبان[١].

٣ـ الدافع السياسي للمملكة العربية السعودية:

يعتبر بعض المحللين أنَّ السعودية هي العامل الأساس في إيجاد التنظيمات السياسية والعسكرية العربية والتي بلغت فعالياتها ونشاطاتها ذروتها في باكستان وأفغانستان. وأهم هذه التنظيمات هي: (مكتب الخدمة) و(القاعدة) اللتان تمكنتا من إيجاد التيار السياسي والعسكري للعرب الأفغان. حيث يعتبر هذا التيار الظهير الأساس لحركة الطالبان.

و(مكتب الخدمة) هي منظمة وهابية أسست في ثمانينات القرن العشرين من أجل نشر وترويج الفكر الوهابي والوهابية في باكستان، وتقدم هذه المنظمة الخدمات والتسهيلات للمحاربين الأفغان، وللتنظيمات العربية التي تريد الذهاب إلى أفغانستان لمحاربة النظام الشيوعي في كابول، وقد تأسست بقيادة شخص فلسطيني اسمه الشيخ عبد الله عزَّام. وكان مديراً لمكاتب (مركز رابطة العالم الإسلامي) و(الإخوان المسلمين) في مدينة (بيشاور) الباكستانية أيضاً. ويجلب المساعدات المهداة من جهاز الأمن السعودي، والهلال الأحمر السعودي، والمساعدات التي تقدِّمها المساجد، وقد تحول (مكتب الخدمة) إلى تنظيم قوي يمتلك رصيداً مالياً مناسباً. وبعد مقتل (عبد الله عزَّام) إثر انفجار قنبلة في عام ١٩٨٩م في مدينة بيشاور،

(١) من مقابلة أجرتها إذاعة (بي. بي سي) في ١٤ تشرين الأول ١٩٩٦م.

واصل (مكتب الخدمة) نشاطاته تحت حماية ودعم (أسامة بن لادن)[1] وهو صديق (عزّام) قائد تنظيم القاعدة.

حضور العديد من أتباع المملكة العربية السعودية في ميدان الجهاد ضد الاتحاد السوفياتي، وكذلك حضور بقية سائر القوات من الأصول العربية طرح ضرورة تعيين قائد لهذه القوات من المقربين للعائلة السعودية. وعلى هذا الأساس طلبت منظمة الـ(آي. اس. آي) الباكستانية من (الأمير تركي الفيصل) رئيس وكالة المخابرات السعودية أن يعين أحد الأفراد من العائلة السعودية كقائد للقوات العسكرية السعودية في أفغانستان، لكن (الأمير تركي) لم يتمكن من إجبار أحد الأمراء السعوديين على الذهاب إلى أفغانستان والمشاركة في جبهات القتال هناك، غير أنَّه نجح في دعوة (أسامة بن لادن) من كبار أثرياء السعودية والمقرب من العائلة السعودية يومذاك إلى باكستان، وتنصيبه قائداً للقوات العسكرية العربية في أفغانستان[2].

(بن لادن) وبعد تسلمه هذه المهمة أسس تنظيم (القاعدة الأنصار)[3] من أجل مساعدة الشباب العرب الذين يريدون الذهاب إلى أفغانستان للمشاركة في الحرب ضد السوفيات.

---

(١) (أسامة بن لادن) كان يعتبر (عبد الله عزَّام) قائده العقائدي، عن طريقه تعرف على المجاهدين الأفغان وأرسل لهم المساعدات الكثيرة جداً.

(٢) أحمد رشيد، الطالبان الإسلام، النفط، واللعبة الكبرى، ترجمة أسد الله شفائي وصادق باقري، دار دانش هستي (طهران: الطبعة الأولى ٢٠٠٠م) ص٢٠٦.

(٣) تنظيم (قاعدة الأنصار) أسس مراكز عديدة لاستقبال العرب وتدريبهم عسكرياً ثم إرسالهم إلى أفغانستان ومن هذه المراكز (بيت الأنصار) و(بيت المجاهدين) و(بيت الشباب). وتعدّ هذه من المراكز العسكرية القيادية التي تقوم بإعداد المقاتلين وإرسالهم إلى أفغانستان.

وفي الفترة الممتدة بين (١٩٩٠ ـ ١٩٩٦م) غادر (بن لادن) باكستان إلى المملكة العربية السعودية ومن هناك إلى (السودان). ولكن بعد أن طرد من (السودان) عاد ثانيةً بمساعدة منظمة أمن الجيش الباكستاني الـ(آي. اس. آي) إلى باكستان، وانتقل في النهاية إلى أفغانستان.

وبعد عودته إلى (أفغانستان) واستقراره في مدينة (جلال آباد) جمع المقاتلين العرب الذين شاركوا في الحرب ضد الشيوعية وحشدهم لمساعدة الطالبان، حيث شاركوا في حرب الطالبان ضد المجاهدين. ولم تقتصر مساعدة (بن لادن) للطالبان على ذلك؛ إنَّما قام بدور كبير في شراء القيادات العسكرية والسياسية في صفوف المجاهدين، بإغداق الأموال الطائلة، ما ساهم في التقدُّم السريع لحركة الطالبان على حساب خصومها. فكان وجود (بن لادن) إلى جانب الطالبان يحقق مصلحة لباكستان، لأنَّه بالإضافة إلى تأمينه جزءاً من كلفة حرب الطالبان، كان يساعد باكستان في إظهارها وكأنَّها دولة لا تتدخل في أُمور أفغانستان الداخلية.

وجود المجاهدين العرب في أفغانستان يشير إلى مخالفة اتجاهاتهم العقائدية للجبهة الشمالية في أفغانستان. وقد وقف (بن لادن)[1] إلى جانب الطالبان في احتلالهم لجلال آباد في أيلول ١٩٩٦م وكان له الدور الأساس في الإعداد العقائدي والسياسي، وفي الدعم المالي لهذه الحركة تحت إشراف باكستان.

* * *

(١) عبد القيُّوم، فردوس، أسامة بن لادن والأحداث، دار مفاخر (كابول، الطبعة الأولى) ص٤٣.

الخلاصة

يعود تاريخ التدخل الأجنبي في أفغانستان إلى حقب زمنية قديمة في تاريخ هذا البلد. فالقوى الكبرى لم تتوقف في أية فترة تاريخية عن المنافسة لتوسيع نفوذها فيها. وعندما كانت شبه القارة الهندية خاضعة للاستعمار البريطاني، تسببت المعارك بين البريطانيين والأفغان بتغيير الجغرافيا السياسية لهذه المنطقة. ومن جرّائها أيضاً انقسمت (قبائل البشتون) إلى قسمين، استقر القسم الأول في (مدينة بيشاور) الباكستانية تحت سيطرة الهند وبريطانيا، وبقي القسم الثاني في أفغانستان. وبتأسيس دولة باكستان تحولت قضية البشتون إلى أزمة ساخنة بين البلدين، وأصبحت سبباً للعديد من المشاكل بينهما.

ومن الأسباب التي دعت (باكستان) للتدخل في (أفغانستان): السعي للوقوف بوجه المحاولات الرامية لعزل مناطق تجمع البشتون عن باكستان. فقبائل (دراني) الموجودة في مناطق على خط (ديوراند) الحدودي لم تعترف إطلاقاً بهذا الخط الحدودي. وما يهم باكستان هو ألاّ تسيطر القوى الوطنية في (أفغانستان) على السلطة، وألاّ تستغل (البشتون) كورقة ضاغطة، أو أن تتحول إلى تهديد ضدها. فضلاً عن أنَّ (باكستان) تخطط للحفاظ على (أفغانستان) كحليف استراتيجي لها مقابل الخطر الهندي، ولجعلها عمقاً استراتيجياً لها.

وبما أنَّ (أفغانستان) تعتبر ممراً رئيسياً للوصول إلى أسواق آسيا الوسطى ولانتقال الطاقة عبر أراضيها إلى المياه الجنوبية، لذلك تفكر الحكومة الباكستانية في الأرباح التي تدرُّ عليها من هذا الطريق، ومن المشاريع الاقتصادية ذات الصلة بها. لكن الآمال الباكستانية في تحقيق هذه الأهداف تبدَّدت عندما سيطرت قوات المجاهدين على أفغانستان، وحينها قامت (باكستان) بالتخطيط لبلورة تيار جديد يمكِّنها من تحقيق ما تصبو إليه، فجاء تشكيل (حركة طالبان) تحت إشراف المخابرات العسكرية الباكستانية (الآي. اس. آي).

تمكنت تلك الحركة من اجتياح الساحة الأفغانية، والسيطرة على العاصمة، وإقامة حكومتها بدعم من وزير الداخلية الباكستاني (نصر الله بابر). وإلى ما قبل نزول (طالبان) إلى الساحة الأفغانية، وسيطرتها على العاصمة؛ شهدت المنطقة تنسيقاً وتعاوناً بين (نصر الله بابر) ورئيس المخابرات السعودي (تركي الفيصل) حيث تركزت اهتمامات الدولتين (باكستان والسعودية) على الطريق التجاري بين (كويته وتركمنستان) عبر مدينتي (قندهار وهرات). وآنذاك قام (الملا عمر) بقيادة وحراسة أول قافلة تجارية باكستانية إلى تركمنستان. وبعد ذلك تمكنت (طالبان) من السيطرة على مدينة قندهار، وهذا ما جعل الجيش الباكستاني يتيقن من أنَّ (طالبان) هي التحدي الأساس لحكومة المجاهدين في كابول.

سياسة (المملكة العربية السعودية) كانت تنطوي على مصالح أيديولوجية وسياسية. وكانت الحكومة السعودية تعتبر بلادها أُمّ القرى للعالم الإسلامي، وتعتبر (أفغانستان) قاعدة تنطلق منها للترويج للمذهب الوهابي ونشره في دول آسيا الوسطى. ولهذا الغرض أقدمت

على تأسيس المدارس الدينية في (باكستان) ودعمها مالياً، ومن خلال هذه المدارس عززت (الحكومة السعودية) نفوذها السياسي والعقائدي في باكستان.

وكانت عناصر (طالبان) تدرس في هذه المدارس تحت إشراف أحزاب (جمعية العلماء) و(الجماعة الإسلامية) فتخرجت منها مجموعة من علماء الدِّين الوهابيين الذين كانوا يعتبرون (السعودية) مهداً للإسلام، والملك السعودي هو الداعم الأساس للحركات الإسلامية.

وبعد تجربة تأسيس ودعم المدارس الدينية في (باكستان) خطت (السعودية) خطوتها الثانية باعتماد سياسة مشابهة في الدول الإسلامية في آسيا الوسطى لتوسيع نفوذها فيها عبر أفغانستان.

ويُشار إلى أنَّه في الفترة التي أعلنت فيها الدول الإسلامية في آسيا الوسطى استقلالها، اعتمدت باكستان وأمريكا والسعودية سياسة مشتركة للنفوذ إليها، وكانت هذه الدول تدعم النفوذ الوهابي هناك.

كما لا يخفى أنَّ كل دولة من هذه الدول الثلاث كانت تضع مصالحها الخاصة في سلم الأولويات. فأمريكا كانت تخطط لإيجاد طريق آمن وسهل للوصول إلى مصادر الطاقة في آسيا الوسطى بمساعدة باكستان والسعودية، ولذلك فكرت (أمريكا) بتقديم الدعم لطالبان للوقوف بوجه حكومة المجاهدين في أفغانستان، فضلاً عن أنَّ أمريكا كانت بحاجة إلى أدوات للوقوف بوجه الثورة الإسلامية في إيران ونظامها الإسلامي. فراحت تدعم بلورة وتشكيل حركة سنيَّة متطرفة على الجهة الثانية في حدود إيران الشرقية لإثارة الأزمات المذهبية. وكانت نقطة البداية لهذه المهمة هي الحيلولة دون تشكيل

حكومة صديقة لإيران ومشابهة لنظامها الإسلامي في أفغانستان، يمكن أن ترسّخ جذورها ويشتدّ عودها في هذا البلد بعد ذلك. والسعي لإبدالها بحكومة معادية لإيران.

وهذه هي السياسة نفسها التي اعتمدتها أمريكا في العراق عندما راحت تقدم الدعم لصدام في حربه التي فرضها على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، إلاّ أنَّه وبعد أن بان الضعف على نظام صدام أصيبت هذه السياسة الأمريكية بالوهن والإخفاق.

وأمّا في (أفغانستان) فإنَّ (أمريكا) لم تقدم الدعم لطالبان بصورة مباشرة، إذ أنَّ ذلك كان يتعارض والموقف الأمريكي المعلن، فالمسؤولون الأمريكيون لم يعترفوا بدعمهم لطالبان، ولم يعترفوا بنظام طالبان بصورة رسمية. إلاّ أنَّ الأمريكيين أيدوا المفاوضات بين شركة (يونيكال) و(طالبان) التي أسفرت عن إبرام عدد من الاتفاقيات مع طالبان.

وكانت أمريكا تخطط منذ انهيار الاتحاد السوفياتي السابق لتعزيز نفوذها في آسيا الوسطى، وتوصلت إلى نتيجة مفادها أنَّ أهدافها لا تتحقق إلاّ بدعم من الحكومة الباكستانية.

وفي تلك المرحلة كانت جماعات المجاهدين في أفغانستان قد دخلت في صراعات ونزاعات فيما بينها للاستيلاء على السلطة في كابول، حيث كان (حكمتيار) في الجبهة المقابلة لحكومة (رباني) في أفغانستان، وانتهزت (أمريكا) هذا الصراع للتخطيط لسيطرة (حركة طالبان) بصفتها قوّة ثالثة من شأنها أن تخدم الجبهة (الأمريكية ـ الباكستانية ـ السعودية) مقابل الجبهة (الإيرانية ـ الروسية).

* * *

الفصل الثالث

فترة حكم الطالبان

- المرتكزات العقائدية للطالبان
- تركيبة المؤسسات في حكومة الطالبان
- الأداء الثقافي والاجتماعي لحركة الطالبان
- الأداء العسكري لحركة الطالبان
- الأداء السياسي لحركة الطالبان
- الملا عمر.. قائد حركة الطالبان

مدخل

النشأة الدينية والعسكرية لحركة الطالبان، ثم الانتصارات التي حققتها في (أفغانستان) تركت آثاراً مهمة وتحولات كبيرة على الساحة الأفغانية على الصعيدين السياسي والثقافي. وسواءاً أعتبرنا أنَّ سرَّ نجاح (الطالبان) يكمن في الأخطاء والاختلافات التي ارتكبتها (حكومة المجاهدين) أو اعتبرنا أنَّ أمريكا وباكستان هما سبب قوَّة بروز هذه الجماعة، فإنَّه يجب دراسة وبحث الخصائص الفكرية والممارسات العملية لهذه الحركة في مثل تلك الظروف.

فعندما ظهرت (حركة الطالبان) على الساحة السياسية لأفغانستان لم يتعامل معها زعماء التنظيمات الجهادية والحزبية بجدية، ولم يعيروها أهمية، إذ إنَّهم كانوا لا يصدقون أنَّها ستحقق كل هذه النجاحات.

على أنَّ الخلافات السياسية التي كانت تعصف بمدينة قندهار، وما كانت تعانيه من عدم استقرار وتدهور في الوضع الأمني، كل ذلك سهَّل دخول (الحركة الطلابية) إلى المدينة، ومكَّنها من السيطرة عليها، وحينها تصور الناس هناك أنَّ الشباب الأفغاني قد تعب من استمرار الاشتباكات والحروب بين المجاهدين، فظهرت هذه الحركة

تلقائياً من أجل السيطرة على الأوضاع وإعادة الأُمور إلى مجاريها الطبيعية في البلاد.

وقبل تشرين الثاني عام ١٩٩٤م حين ظهرت جماعة الطالبان، لم يكن يعرفها أحد في هذه الدُّنيا، لكنَّها سيطرت على مدينة قندهار كما أشرنا، ثم استولت على مدن مهمة أُخرى مثل: هرات وجلال آباد. وخلال سنتين فقط تمكنت من الاستيلاء على العاصمة كابول. ويمكن اعتبار هذه العملية أسرع عملية تتم فيها انتقال السلطة في أفغانستان.

بيد أنَّ (حركة الطالبان) لم تعر القوانين والأعراف الدولية أي اهتمام أو اعتبار، لكنَّها فرضت على أهالي العاصمة ـ بعد استيلائها عليها ـ حكماً جائراً وقوانين قاسية، حيث قبضت على الرئيس الشيوعي المخلوع (نجيب الله) الذي كان قد لجأ إلى (مقر الأُمم المتحدة) في (كابول) وأعدمته في إحدى ساحات المدينة، كما فرَّ زعماء الحركات الجهادية من العاصمة خوفاً من بطش الحركة الطلابية. فالحكومة التي شكلها (الملا عمر) زعيم الطالبان من ستة أشخاص، وأناط رئاستها إلى (الملا محمد رباني) قامت خلال يومين فقط بقتل أعداد كبيرة من أبناء العاصمة. كما أصدرت القيادة الجديدة تعليمات وأوامر تتعلق بالوضع الاجتماعي للشعب الأفغاني، وتفرض واقعاً اجتماعياً جديداً على المجتمع، فلم يسمح للمرأة بعد ذلك بالخروج دون ارتداء البرقع، وعلى الرجال إطلاق اللحى وعدم حلقها، وإلى غير ذلك من التعليمات التي تفرض قيوداً على حياة المجتمع الأفغاني.

عندما سيطرت (حركة الطالبان) على (كابول) كانت المجموعات الجهادية تعاني من ضعف شديد وانهيارات متتالية. ولو استطاع زعماء

الطالبان السيطرة على خامس أهم ولاية في أفغانستان أي ولاية (مزار شريف) لزعموا أنَّهم يسيطرون على كل أفغانستان.

وفي أيار عام ١٩٩٧م شنت (الطالبان) هجوماً عنيفاً على مدينة (مزار الشريف) واحتلتها لفترة وجيزة، الأمر الذي مهَّد للحكومة الباكستانية بالتعجيل في الاعتراف رسمياً بحكم الحركة على أفغانستان، لكن سرعان ما فقدت السيطرة على مدينة (مزار الشريف) إثر هجوم مضاد لقوى المجاهدين والقوى المدافعة عن هذه المدينة، تكبدت فيه (الطالبان) خسائر فادحة، واضطرها إلى الانسحاب من جبهة الشمال.

يرى بعض الباحثين أنَّ (حركة الطالبان) لم تكن نسيجاً واحداً منسجماً تماماً، إنَّما كانت خليطاً غير متجانس من عدة اتجاهات وانتماءات، فبالإضافة إلى طلاب العلوم الدينية كانت الحركة تضم عناصر من (حزب الشعب الشيوعي) ومن (البشتون) الباكستانيين.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو:

حركة الطالبان هل هي حركة عسكرية مدعومة من الخارج؟ أم إنَّها حركة سياسية؟ أم حركة عقائدية؟

في هذا الفصل سنحاول الإجابة على هذه التساؤلات من خلال التطرق إلى تشكيلة الحركة ودراسة أبعادها العسكرية والسياسية والثقافية.

* * *

المرتكزات العقائدية لحركة الطالبان

إذا أردنا دراسة العقائد والميول الدينية لحركة الطالبان، علينا التعرف أولاً على الأفكار الدينية التي تدرّس في المدارس الدينية في باكستان؛ لأنَّ (الطالبان) هم من خريجي هذه المدارس. فكلمة «طالبان» باللغة البشتونية والدرّية، هي جمع لكلمة طالب، والطالب هو الشخص الذي يبدأ دراسته في المدارس الدينية، حيث يتدرج في هذه المدارس فيصبح (ملاًّ) أو (الأخوند) ورغم أنَّ الطالب في هذه المرحلة يطوي عدداً من السنين في دراسته، إلاَّ أنَّه لا يستكمل دراسته بعد. أمّا (مولوي) فهو الشخص الذي أكمل دراسة كتب الحديث، وحصل على إجازاة تدريس العلوم الدينية.

وفيما يخص أُصول الأفكار لحركة الطالبان توجد أربعة آراء هي:

١ ـ أفكار الطالبان الدينية تقوم على الشريعة الإسلامية، وتنتهج سيرة الخلفاء الراشدين.

٢ ـ أفكار الطالبان الدينية مستلّة من تعليمات المدرسة (الديوبندية).

٣ ـ أفكار الطالبان الدينية مستقاة من الوهابية.

٤ ـ الأفكار الدينية للطالبان ناشئة من معتقداتهم القومية والقبلية التي تُسمَّى بالبشتونوالي.

نتوقف عند هذه الآراء الأربعة لمعرفة أي منها يطابق الحقيقة:

١ ـ الأفكار الدينية للطالبان تقوم على الشريعة الإسلامية، وتنتهج سيرة الخلفاء الراشدين:

كان الطالبان يعتقدون أنَّ حكومتهم تقوم على الشريعة الإسلامية المحمدية، ويقولون إنَّهم بدأوا حركتهم لتطبيق الشريعة، لأنَّ حكومة المجاهدين بنظرهم تعتبر العامل الأساس في الابتعاد عن الشريعة الإسلامية، وبالتالي فإنَّ (الطالبان) يرون مقارعة هذه الحكومة أمراً شرعياً.

وكانت الحركة قد أعلنت تفاصيل استراتيجيتها خلال برنامج أذيع من إذاعتها (صوت الشريعة) في الخامس من تشرين الأول عام ١٩٩٦م حيث قالت:

«إنَّ مجموعة الطالبان هي مجموعة انبثقت من صميم الشعب، وتريد تخليص المواطنين من العذاب والمشقة التي عانوا منها عقوداً من الزمن، وتريد أيضاً استتباب الأمن والسلام في كافة أرجاء البلاد، وذلك من خلال نزع السلاح، وعزل الإقطاعيين المتسلطين على رقاب الناس، واستبدالهم بحكومة إسلامية مقتدرة في أفغانستان».

وأضافت إذاعة طالبان:

«إنَّ نداء أمير المؤمنين المجاهد (الملاَّ عمر) لمسؤولي الحركة وكافة أعضاء طالبان في كابول هو أن يوفروا الهدوء والأمن لسكان

العاصمة الذين طالما عانوا من انعدام الأمن، وأن يتجنبوا أي فعل يهدِّد أمن المواطنين، ويجب أن تكون كل الإجراءات والأعمال التي يقدمون عليها مطابقة للشريعة والدِّين».

وإلى ذلك كانت (حركة الطالبان) قد نشرت أفكارها في كراس وزَّعته أبان سيطرتها على مدينة قندهار، كتب هذا الكراس الدكتور (شير علي شاه) أستاذ الحديث والتفسير في جامعة (منبع العلوم) الباكستانية التابعة لجماعة العلماء الباكستانية، في هذا الكراس تمَّ التأكيد على أنَّ (حكومة الطالبان) بنيت على أساس الشريعة الإسلامية، وتعمل وفق نهج الخلفاء الراشدين[1].

---

(١) أشار هذا الكراس إلى الأمور التالية:
١ ـ الدِّين الرسمي للبلاد هو الإسلام.
٢ ـ نظام الدولة يقوم على الشريعة الإسلامية وفقاً لسيرة الخلفاء الراشدين.
٣ ـ تقسيم مسؤوليات الدولة الإسلامية بين الأحزاب وبشكل متساوٍ.
٤ ـ اجتثاث كل العصبيات القومية واللغوية، واحترام نسيج الشعب الأفغاني وفق ما تؤكده الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.
٥ ـ حماية أرواح وأموال سكان أفغانستان المسلمين، وتوفير الأمن والأمان لهم.
٦ ـ الحكومة ستؤكد وتهتم برعاية الحجاب الإسلامي والحفاظ عليه.
٧ ـ ستقوم الحكومة بالتصدي لكل التصرفات والأعمال المشينة وغير الأخلاقية بما فيها: توفير وانتاج المخدرات والمشروبات الروحية (المسكرات). كما ستتصدى الحكومة لتوزيع أو عرض الصور الخلاعية والمبتذلة المثيرة للغرائز.
٨ ـ ستعمل لجنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل قواها في البلاد.
٩ ـ ستكون محكمة الاحتساب (وزارة الأمن والمخابرات) مهيمنة ومسيطرة على بقية دوائر الدولة.
١٠ ـ سيكون التعليم في المدارس الابتدائية والمتوسطة باللغات المحلية، أما التعليم في المراحل العليا فسيكون باللغة العربية؛ لأنَّها لغة القرآن والسُّنَّة.
١١ ـ سيقضي القضاة وفق تعاليم القرآن والسُّنَّة، وستناط هذه المناصب بالأشخاص الذين يتمتعون بالإيمان والعدالة.

كما أعلن (الملا سيف الدِّين) أحد قيادات الحركة.. قبل سيطرتها على العاصمة كابول.. أنَّ الحركة ستشكّل مجلساً من العلماء والفضلاء وأصحاب الرأي لاختيار خليفة أفغانستان وقائدها المقبل، أو لاتخاذ الخطوات العملية والجادة لإقامة حكومة إسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية في كافة أرجاء أفغانستان[١].

لكن (حركة الطالبان) ما أن سيطرت على مدينة كابول، حتى تخلَّت عن تشكيل مجلس أهل الحل والعقد (لوياجرغة) ومنحت (الملاً عمر) الذي استقر في مدينة قندهار لقب (أمير المؤمنين) واعتبرت أوامره فوق كل قاعدة وقانون وملزمة للجميع. كما غيَّرت (طالبان) اسم جمهورية أفغانستان إلى (إمارة أفغانستان) وغيَّرت (الطالبان) أيضاً مواقفها خلافاً لما كانت قد نصَّت عليه المطبوعة التي وزعتها في بداية ظهورها، وضربت بوعودها للأحزاب الجهادية عرض الحائط، وطالبتهم بنزع أسلحتهم بدون أي اعتراض أو استفسار عن مصيرهم وحجم ودور مشاركتهم في الحكومة الطلابية. فهذه الحركة

---

١٢ ـ توزيع المناصب والمسؤوليات يتمّ على أساس أهلية الأشخاص في المسائل الشرعية.

١٣ ـ ترويج العلوم الإسلامية في المدارس والجامعات، وتدريس العلوم العصرية بطريقة لا تزرع الرعب في نفوس الشباب وتخوفهم من الكفار، بل ترسّخ في قلوبهم عظمة الإسلام والقرآن، وتجعل منهم دعاة ومجاهدين في سبيل الله.

١٤ ـ زيادة عديد القوات العسكرية المدربة على كافة الفنون الحربية وتجهيزها بالأسلحة الحديثة والمتطورة لحماية الحكومة الإسلامية في أفغانستان من هجوم الأعداء.

١٥ ـ لكي يتمتع الشعب الأفغاني بالأمن والرخاء والكرامة يتمّ اختيار رجال الأمن من بين الأفراد المؤمنين والمتقين.

(١) من تصريحات (الملا سيف الدِّين) أحد قيادات طالبان في لقاء أجرته معه صحيفة الحياة في الخامس من تشرين الثاني ١٩٩٥م.

هي التي ستقرر مصيرهم دون أن يحق لهم إظهار أي وجهة نظر بهذا الشأن.

٢ ـ أفكار الطالبان الدينية مأخوذة من تعاليم المدرسة «الديوبندية»:

يعتقد بعض الخبراء الأفغان أنَّ (الطالبان) هم أبناء العلماء الذين درسوا وتلقوا العلوم في (مدرسة ديوبند العلمية)[١]. فقبل ثلاثة قرون تقريباً أسس (الشاه ولي الله الديوبندي)[٢] مدرسة فكرية جديدة لمسلمي شبه القارة الهندية، إذ كان يعتقد أنَّ الإسلام بدأ يفقد جوهره الأصيل في المنطقة، ولهذا السبب لا بدَّ من تأسيس حركة تنهض بالمهمة حتى تجدد مسيرة الإسلام.

وبما أنَّه كان من دعاة المذهب الحنفي، ويعتقد بمدرسة الفقه والحديث؛ أصبح من مؤسسي (مدرسة الديوبندية) لتأخذ على عاتقها تجديد حياة علم الكلام، وقد اهتم بذلك كثيراً. فكانت فترة دراسة العلوم الإسلامية في المدرسة الديوبندية تستمر لأحد عشر عاماً.

ومع تنامي دروس المدرسة الديوبندية وازدياد طلابها شُكلت الأحزاب والمجموعات السياسية والدينية المختلفة.

---

(١) ديوبند: قرية تقع في ولاية اترابرادش الهندية. أقيم فيها أول مركز إسلامي مهم وهو دار العلوم الديوبندية، في ١٥ محرم عام ١٢٨٣هـ.ق (١٨٦٦م). أسسه مولانا محمد قاسم نانوتوي.

(٢) كانت لشاه ولي ديوبندي ميول صوفية، فعلى الرغم من أنَّ الاستعمار البريطاني كان العامل الرئيس لنشوب الخلافات بين المسلمين وهو عدوهم الرئيسي، إلاَّ أنَّ (شاه ولي الله ديوبندي) لم يضع مواجهة الإنجليز والتصدي لهم على جدول أعماله. لكنَّه كان يدعم الدولة العثمانية، ويعتقد بوحدة أهل السُّنَّة والجماعة.

تمكن (الديوبنديون) من إقامة علاقات وثيقة مع (حزب المؤتمر الهندي) وكانوا يعارضون استقلال باكستان وانفصالها عن شبه القارة الهندية، إذ كانوا يعتقدون أنَّ إقامة دولة باكستان ستشكل سداً أمام انتشار الإسلام بين الطبقات الهندية غير المسلمة. لكن بعد استقلال باكستان تنامت نشاطات (المدارس الديوبندية) خصوصاً في فترة رئاسة (ضياء الحق) وفي هذه المرحلة أخذت (جمعية علماء الإسلام) على عاتقها قيادة نشاطات وفعاليات أتباع (المدارس الديوبندية) في باكستان.

على أنَّ (باكستان) شهدت تطورات كبيرة عندما شكلت (جمعية علماء الإسلام) عام ١٩٩٣م مع (حزب الشعب الباكستاني) ائتلافاً سياسياً، ومن هذه التطورات: فوز هذا الائتلاف في الانتخابات التي جرت في باكستان.

هذا الفوز جعل (جمعية الإسلام) قريبة من مواقع السلطة الرئيسية والأساسية في هذا البلد، ما مكنها بالتعاون مع (الآي. اس. آي) من تشكيل (حركة الطالبان الأفغانية).

عقائد (الديوبندية) تختلف عن عقائد أهل السُّنَّة والمذهب الشيعي، وتشبه إلى حد كبير عقائد الوهابية. إذ يعتقد أتباع (المدرسة الديوبندية) بحرمة الشفاعة والتوسل بأئمة المسلمين، ويعتبرون ذلك شركاً. كما ويعارضون زيارة قبورهم، ويعتبرونها إثماً. كما ويعتبرون الاعتقاد بعلم الرسول الأكرم للغيب شركاً أيضاً، ويمتنعون عن تكريم الرسول ﷺ في ذكرى ولادته أو وفاته، ويعتبرون ذلك أمراً غير جائز[1].

---

(١) أبو الفضل بسنديدة، الوهابية وانتشارها في شبه القارة الهندية، رسالة جامعية (طهران: ١٩٩٥م) ص٢٤٠.

كما إنَّ ثلاثين شخصاً من (علماء الديوبندية) أصدروا بياناً مشتركاً أعلنوا فيه رأيهم في كفر الشيعة، وحرَّموا التزاوج معهم، وأكل ذبائحهم، وحتى حرموا دفن موتاهم في مقابر المسلمين، واعتبروا ذلك أمراً غير شرعي[1].

البعض يعتقد أنَّ أفكار الطالبان تشبه إلى حدٍّ كبير أفكار (الشاه ولي الله) أي أنَّ الطابع الصوفي يطغى عليهم، ويعادون الشيعة، ويعتبرون استخدام العنف من وجهة نظر الدِّين جائز، ويسعون إلى توحيد (البشتون) كما سعى (شاه ولي الله) إلى توحيد أهل السُّنَّة. فـ(الشاه ولي الله) كان يعتقد بضرورة الخلافة العالمية، ويعتبرها حقاً مختصاً بالقرشيين فقط.

٣ ـ الأفكار الدينية للطالبان مستقاة من الوهابية:

يعتبر محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ ـ ١٧٨٧) مؤسس الحركة الوهابية ومروج أفكارها، وبدأ هذه الحركة بالتعبير عن إظهار قلقه من إهمال الأحكام والتعاليم الإسلامية وعدم رعايتها في المجتمع. ويعتبر بعض معتقدات الشعب السعودي خرافات لا أساس لها.

أتباع (محمد عبد الوهاب) يعتبرون أنفسهم الموحدين الحقيقيين، وأعلنوا الجهاد على من يصرّ على الفساد والزنا، وفرضوا قيوداً أخلاقية شديدة على المجتمع.

وفي عام ١٨٠٣م تمكن (الوهابيون) من السيطرة على (مكة المكرمة) لكنَّهم فقدوها بعد اندحارهم أمام الأتراك العثمانيين. وكانوا

---

(١) نفس المصدر السابق.

لا يسمحون بأي انحراف عن قوانين الشريعة الإسلامية حسب فهمهم، وينزلون أشد العقاب فيمن يعارض قراءتهم وتصوراتهم للإسلام.

يعتقد البعض أنَّ (حركة الطالبان) تريد تطبيق المشروع الوهابي[1] بشكل كامل، فكما كان الوهابيون في (المملكة العربية السعودية) يعارضون المؤسسات المدنية مثل: الأحزاب والصحف والإعلام، وإجراء الانتخابات؛ فإنَّ (الطالبان) يريدون تطبيق هذا النهج، ويتبعون السبيل نفسه[2].

وكما كان (الوهابيون) ينكرون أصل الإباحة في الدِّين، فإنَّ (الطالبان) يصدرون فتاوى تحرم كل شيء جديد وعصري، ويعتبرونه بدعة، ويقفون ضده. على سبيل المثال: فتاواهم في تحريم مشاهدة التلفزيون.

---

(١) «عقيدة الوهابية نابعة من أفكار ورؤى (محمد بن عبد الوهاب) والوهابيون يعتقدون بجواز اتباع الحاكم حتى لو ظلم. كما إنَّهم يعتبرون طلب الشفاعة من الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام شركاً، وأنَّ الاستغاثة وطلب الحوائج من غير الله هو شرك وحرام، كما يعتبرون النذر لغير الله غير مشروع، وكذا الأمر بالنسبة إلى تشييد القبور وإقامة القباب والمنارات وبناء الأضرحة، كل ذلك يعتبرونه حراماً، ويحرمون أيضاً زيارتها. وكان الوهابيون يرون أنَّ كل شخص يقوم بعمل يعتبرونه حراماً فهو كافر ومشرك، وإذا ما قام المسلمون في بلاد ما بمثل هذه الأعمال فإنَّ بلادهم تعتبر بلاد الكفر والشرك بنظر الوهابيين.

(٢) علي أصغر فقيهي، الوهابيون، دار صبا، الطبعة ٣ (طهران ١٩٨٧م) ص٢٠ و٢١ وقد جاء في هذا الكتاب، أنَّ أول مواجهة كبرى بين الوهابيين والشيعة هي تلك التي وقعت عام ١٢١٦هـ.ق، بعدما هاجمت الجيوش الوهابية بقيادة (سعود بن عبد العزيز) مدينتي كربلاء والنجف العراقيتين. ففي تلك السنة هاجمت جيوش آل سعود قبر الإمام الحسين عليه السلام وارتكبت مجزرة بشعة ضد أهالي المدينة وزوَّار الإمام من الإيرانيين والعرب والأتراك حتى قيل إنَّ عدد القتلى بلغ ٢٠ ألف قتيل حينها.

والوهابيون كانوا على خلاف مع كل الفرق والمذاهب الإسلامية، لكنَّهم يكنّون عداوة وبغضاً أكثر بالنسبة للشيعة، ويعتبرونهم روافض.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الوهابيين في الوقت الذي يكفّرون فيه بعض الفرق الإسلامية أو يعتبرون أتباعها مشركين؛ كانوا يقيمون علاقات طيبة مع الدول الاستعمارية الأجنبية[1].

هذا النهج الذي اتبعه حكّام آل سعود الوهابيين ساعد على تقوية نشوء فكرة توظيف الوهابية في السياسات الاستعمارية لحكومة الإنجليز لبث الفرقة بين المذاهب الإسلامية. حتى أنَّ البعض يعتقد أنَّ (محمد بن عبد الوهاب) نفسه كان صنيعة الجاسوس البريطاني (المستر همفر) الذي كانت أمنيته توجيه صفعة للإسلام. وما أن تعرف على (محمد بن عبد الوهاب) وأفكاره حتى رأى فيه من يحقق له هذه الأمنية[2].

ويرى المحللون أنَّ دعم السعودية ومؤسساتها الثقافية والسياسية الوهابية لحركة الطالبان، واعترافها بنظامها كان بسبب ميول طالبان نحو الأفكار والمعتقدات الوهابية.

---

(١) عقدت الحكومة السعودية عام ١٩١٦م اتفاقية مع الإنجليز حصلت خلالها على حماية ودعم الإنجليز. كما إنَّ سفير (ابن سعود) في (لندن) قال حول سياسة السعودية إزاء القضية الفلسطينية: (يعتقد (ابن سعود) أنَّ بريطانيا بيدها ميزان العدالة في التعامل بين اليهود والعرب، وأنَّ أي تصريح يظهر عداء (ابن سعود) لليهود لا أساس له من الصحة).

(٢) زهراء، مسجد جامعي، نظرة في تاريخ الوهابية، دار قرير دانش، الطبعة الأولى (طهران: ٢٠٠١م) ص٢١.

٤ ـ الأفكار الدينية للطالبان ناشئة من المعتقدات القومية والقبلية أو ما يُسمَّى (بالبشتونوالي):

يعتقد بعض المراقبين أنَّ عقيدة الطالبان هي خليط من قراءتهم السطحية للشريعة الإسلامية، ومن المعتقدات والتقاليد القومية والقبلية للبشتون. حيث أنَّ الكاتب الأفغاني (رضواني) الذي تعرَّف عن كثب على الطالبان، وسافر إلى (قندهار) والتقى ببعض الشخصيات المهمة للحركة ومن بينهم (الملاَّ عمر) زعيم الحركة يقول في مذكراته:

«في زيارتي لقندهار شاهدت الكثير من التناقضات والغموض في أفكار وتصرفات أتباع الحركة. فبعد أسبوعين من سيطرة الحركة على مدينة (بكتيا) بولاية (غزني) كنَّا هناك، حيث سمعت أحد الطلاب الشبان يعلن بحرارة وحماس أنَّ (المولوي إحسان الله) محافظ ولاية غزني قد رجم رجلاً وامرأة بالحجارة لأنَّهما زنيا.

فرددت عليه أنَّ التأكد من ثبوت هذه الجريمة فقهياً أمر مستحيل تقريباً، فكيف حصلتم على أربعة شهود عدول حتى رجمتموهما بالحجارة؟

فأجابني بالبشتونية.. إنَّ هذه القضية ثبتت بالإجماع، والإجماع يكفي بشيوع الأمر، فالإجماع عندهم من أُصول البشتونوالي»[1].

و(البشتونوالي) هي مجموعة القوانين التي تنظم حياة المناطق

---

(١) رضواني بامياني، أسس التفكير الديني عند الطالبان، مجلة نداء عاشوراء، كابول، العدد ٩٥.

البشتونية، وتتكون من معتقدات ورسوم خاصة. واستناداً إلى هذا القانون: إنَّ الثأر أو الانتقام بهدر الدم رائج بين البشتون.

وفي نفس الوقت تؤكد (البشتونوالي) على الكرم والضيافة، وعلى الشجاعة والشهامة والدفاع عن الشرف، خصوصاً شرف النساء.

يختلف (البشتونوالي) في بعض الأُمور مع الشريعة، فعلى سبيل المثال فإنَّ إثبات زنا المحصنة يحتاج حسب قانون الشريعة الإسلامية إلى وجود أربعة شهود عدول، بينما الأمر يختلف حسب (البشتونوالي) فتكفي الشائعة في هذا المجال لإثبات الزنا! كما إنَّ مجتمع البشتون لا يورّث المرأة، فيما الشريعة الإسلامية تمنح المرأة إرثاً يعادل نصف إرث الرجل.

على أيٍّ حال، عند مقارنة الآراء الأربعة حول أُصول الأفكار الدينية للطالبان، يمكن أن نستنتج أنَّ أفكار الطالبان هي خليط من القراءة السطحية للشريعة ومن المعتقدات القومية ـ القبلية للبشتون. فالطالبان يعتقدون أنَّ العقائد الدينية تتبع التقاليد القبلية، وأعمالهم تؤكد ذلك، حيث أحيوا السُّنن والتقاليد (القومية ـ القبلية) لمجتمع البشتون في أفغانستان.

كما إنَّهم فرضوا على الناس معتقداتهم القومية ـ القبلية التي تتسم بالقسوة، باعتبارها قانون الشريعة الإسلامية.

وقع الطالبان في تناقض كبير مع أفكارهم عند التطبيق، فهم من جهة يقولون إنَّ ميول الحركة صوفية، لكنَّها في التطبيق تستخدم أساليب القسوة والعنف.

وكانت الطرق الصوفية في أفغانستان، قد وفدت أساساً من

(الهند) وانتشرت بين القبائل البشتونية، وبمرور الزمن اتخذت هذه الطرق في المجتمع القبلي البشتوني طابعاً تقليدياً ولوناً خاصاً، حيث فقدت محتواها وجوهرها الروحي، وشابتها الكثير من الخرافات، فالعديد من أتباع هذه الطرق ممَّن يعرفون باسم (الحافي) و(العريان) و(المجنون) و(الساحر) يحظون بالاحترام بين هذه القبائل، وحتى أنَّ مقابرهم تتحول إلى مزارات بعد موتهم. فالسحرة والأشخاص الذين يظهرون بملابس رثة، ويشتغلون بالطبابة والتنبؤ والفأل يعتبرونهم أشخاصاً مقدّسين.

ومن أبرز الطرق الصوفية المتبعة في أفغانستان طريقتي (النقشبندية) و(القادرية) وهي شائعة بين قبائل البشتون خصوصاً قبائل (الدراني) و(الغلزاي).

لذلك تعتبر أفكار الطالبان الدينية مركبة من الميول الصوفية والخشونة، والأفكار الوهابية المتشددة، وتعاليم مدارس العلوم الدينية التابعة لجمعية العلماء الباكستانية القريبة من الوهابية، ومعتقدات مجتمعهم القبلية.

* * *

والوالي والقائد العسكري الذي تتمركز فيه جميع السلطات، ولا حاجة للمعرفة أو اعتماد الرتب العسكرية التي رقي إليها الشخص في تلك الكتيبة أو السرية، بل المهم هو الانتماء إلى شخص معين (الانتماء إلى أي أنديوالي).

إذاً المطلوب من الشخص الذي يريد الالتحاق بمجموعة ما، أن يقوم بتحديد ولائه لقائد معين، حينئذٍ تتضح لدى المجموعة ما يحمله هذا الشخص من أفكار وما هي انتماءاته.

وإذا انتقلت المناصب من شخص إلى آخر في الحكومة، ينتقل معه الأنديواليون إلى مناصب جديدة حيث يختارون هذه المناصب دون أن يتم ذلك من قبل الحكومة.

إنَّ (نظام طالبان الأنديوالي) لا يخضع إلى قوانين الحكومة، ولا يشبه أي نظام حكومي متداول، وتختلف تركيبته عن هيكلية النظم المتبعة في الحكومات. ولا يوجد هناك أي تنسيق بين (الأنديواليون) والحكومة. وهذا بحدٍّ ذاته يظهر لنا عدم وجود خطوط واضحة للتطوير الحكومي لدى الطالبان. فلم يلاحظ أي مسعى لإجراء تغيير أو إصلاح خلال فترة حكمهم التي استمرت خمس سنوات في أفغانستان. فعدَّة مرَّات طرحت مسألة ضرورة استعمال اللباس الرسمي للقوات العسكرية، خصوصاً إنَّه لا يمكن معرفة الأشخاص الذين يقومون بمهام الشرطة إلاَّ من خلال زيّهم الرسمي، لكن (الطالبان) لم يبادروا إلى حلّ هذه القضية ولو باستخدام اللباس الرسمي للشرطة. وكان من نتائج هذا الإهمال أن استغل بعض الأشخاص هذا الوضع، وراحوا يؤذون الناس ويبتزّونهم باسم الطالبان.

ومن المشاكل التي كانت تواجه (حكومة الطالبان) بسبب النظام الذي تتبعه ولم تبادر إلى حلها، هي المسافة بين (كابول) و(قندهار) فـ(قندهار) كانت (عاصمة الطالبان) بينما كانت السلطات التنفيذية والقضائية في (كابول) وكانت الأوامر المهمة تصدر من قبل (الملا عمر) في (قندهار) ولم يكن بإمكان المسؤولين في (كابول) التوصل إلى نتيجة حين يقتضي الأمر تبادل وجهات النظر أو إبداء رأي أو توجيه ملاحظات. فبعد المسافة كان يعيق اتخاذ القرارات في موعدها المحدد.

٢ ـ الهيكلية الإدارية:

كان زعيم الطالبان (الملا عمر) يلقب بأمير المؤمنين، وكان (مجلس الحكم المؤقت) الذي يضم عشرة أعضاء إلى جانب المجلس الأعلى والمستشارين الباكستانيين والعرب في (قندهار) يديرون حكومة الطالبان. ذلك أنَّ (حركة الطالبان) كانت منذ بداية ظهورها تدار بواسطة مجالس مختلفة.

لكن هناك عدة مؤسسات لعبت دوراً هاماً في بناء الهيكل التنظيمي لحركة الطالبان، وفي إدارة أُمور (إمارة أفغانستان) منها:

أ ـ المجلس الأعلى (الشورى العليا):

يعتبر من أهم المراكز لاتخاذ القرار، ويضم عشرة أعضاء: ستة منهم من البشتون الدراني، وعضو واحد وهو (مولوي سيِّد غياث الدِّين) من الطاجيك. وبعد السيطرة على (كابول) تولى أكثر أعضاء هذا المجلس مناصب في الحكومة، وحلّ المجلس تدريجياً، وأصبحت لدى (الملا عمر) صلاحيات مطلقة.

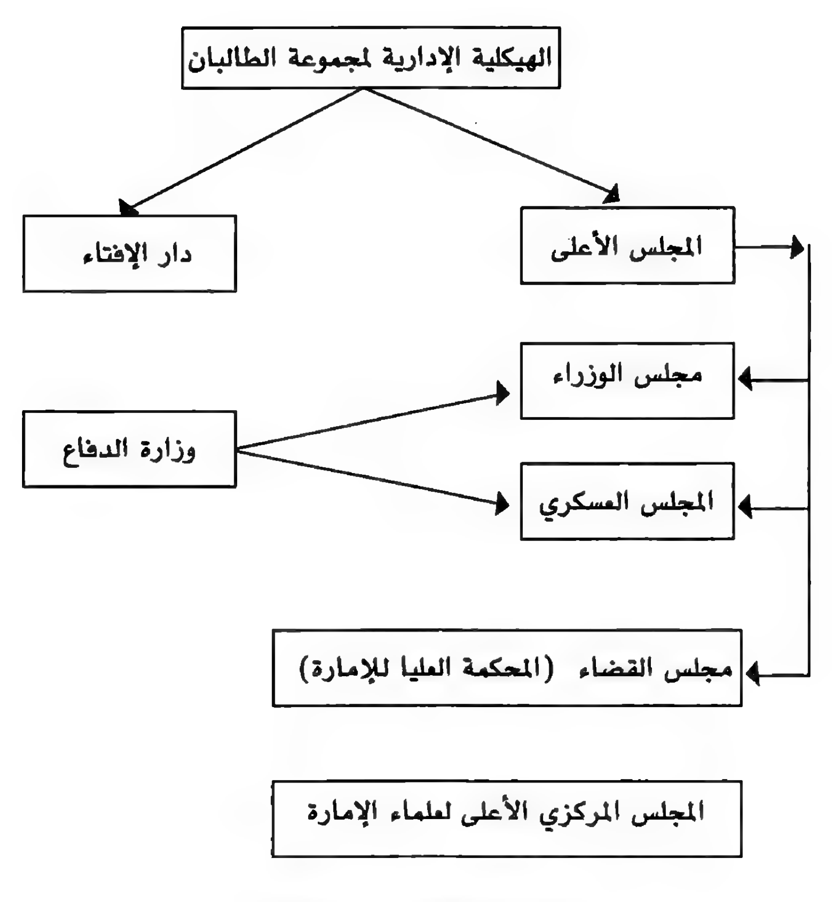
ب ـ مجلس دار الافتاء:

كانت الصلاحيات السياسية والدينية تحدد من قبل هذا المجلس، وينشط فيه خمسة أعضاء دائمون، ويرأس المجلس (الملا محمد عمر) أما (أسامة بن لادن) والدكتور علي شاه ولي (باكستاني) ونظام الدِّين شاميزي (باكستاني) والجنرال حميد كل (باكستاني) وعبد العلي ديوبندي (أفغاني) فهم أعضاء في المجلس.

وفي غياب (الملا عمر) كان (نور محمد ثاقب) وزير العدل وقاضي قضاة الطالبان يحضر نيابة عنه. وفي غياب (أسامة بن لادن) كان عبد الباسط (مصري) ينوب عنه في الجلسات. ولهذا المجلس صلاحيات في اتخاذ القرار فيما يتعلق بالسياسات الخارجية والداخلية والعسكرية.

ج ـ مجلس المشرفين (هيئة الوزراء):

ويتألف هذا المجلس من سبعة عشر عضواً. ثمانية منهم من (البشتون الدراني) وثلاثة من (البشتون الغلجاني) وعضوان من غير البشتون، من الطوائف الأُخرى. ومجلس الوزراء المعروف بـ(مجلس كابول) هو المسؤول عن: المسائل اليومية، وما يخص مدينة كابول، والجبهة العسكرية لهذه المدينة. ويتمّ اتخاذ القرارات المهمة من قبل مجلس قندهار. وهذا الأخير يلغي القرارات التي يتخذها (مجلس كابول) ورئيسه (الملا محمد رباني) أحياناً.



مخطط لهيكلية حكومة الطالبان

جدول رقم (٢)

٣ ـ المشاكل الإدارية:

المشكلة الكبرى التي برزت بعد استقرار الطالبان في كابول وتشكيل الحكومة هناك، هي أنَّهم جاءوا من القرى وبعيدين كل البعد عن الحياة المدنية والحضرية ونظمها، فلم يكن يواجه الطالبان مشاكل في القرى وحتى في المدن الواقعة في المناطق البشتونية التي كان أكثرها من حيث التكوين والنسيج الاجتماعي ما يزال قروياً، لكنَّهم

واجهوا مشاكل بعد سيطرتهم على (كابول) العاصمة من ناحية تطبيق القوانين على المجتمع المدني في كابول الذي له قيم وعادات خاصة تختلف عن العادات والتقاليد القروية.

فقد كانت المرأة على سبيل المثال قبل حكم الطالبان لها الحق في الدراسة وممارسة الأعمال أياً كان نوعها، كما إنَّها تشاهد التلفزيون، وتتحرك خارج المنزل، وترتدي الملابس بحرِّية ودون قيود.

بينما سلبت (حكومة الطالبان) المرأة هذه الحقوق، فحرمتها من الدراسة وممارسة العمل. ولم تقتصر هذه القيود على المرأة فحسب، وإنَّما طالت الرجال أيضاً، فلم يسمح للرجل بحلق اللحية أو حتى تقصيرها. كما إنَّ الأشخاص غير المتخصصين وفاقدي الخبرة تغلغلوا في جميع الدوائر الحكومية، أما المناصب المهمة والحساسة فلا يتولاَّها إلاَّ من لهم صلة أو علاقة بالملا محمد عمر.

وفي بداية حكم الطالبان لم يكن هناك أي ارتباط هاتفي بين (كابول) أو (قندهار) بالعالم، ولذلك خصصت (باكستان) حينها خطوط هاتفية من (بيشاور) و(كويتة) الباكستانيتين لكابول وقندهار ليؤمنا الاتصال منهما بالعالم الخارجي، وفيما بعد حصلت الطالبان على خدمة الاتصال عبر الأقمار الصناعية من خلال أجهزة (هاتف الثريا).

وإذا كانت المسائل المهمة والسرية تحتاج إلى أوامر من المسؤولين، فإنَّ ذلك يستغرق مدة طويلة لاستلام الأوامر من (الملا عمر) في (قندهار) وذلك لأنَّ الطرق كانت مقطوعة بين كابول وقندهار بسبب الخراب والدمار الذي لحق بها.

(حركة الطالبان) كانت في البداية تخضع لمجلس شورى، لكن هذا المجلس حُلَّ بعد دخول الحركة إلى كابول والسيطرة عليها مباشرة، وأصبحت تتلقى أوامرها من (الملا عمر).

واعتبر (الطالبان) أنَّ كثيراً من دوائر الدولة يمكن الاستغناء عنها، بل إنَّ وجود الكثير من المؤسسات لا يجدي نفعاً حسب اعتقادهم. لذلك قام (الطالبان) بحلّ هذه المؤسسات والدوائر الحكومية، وتسريح الموظفين العاملين فيها، فضلاً عن حرمان المرأة الأفغانية ـ بلا مبرر ـ من حق التوظيف والعمل، ممَّا تسبب في رفع مستوىٰ البطالة إلى حدٍّ كبير في البلد. كما وشلَّت حركة الأعمال الإدارية في مؤسسات الدولة التي باتت تعاني من الركود، حتى أنَّ الرجال الذين يعملون فيها لا يجدون عملاً ينجزونه طيلة الدوام الرسمي. ثمَّ إنَّ قلَّة معدلات الرواتب الشهرية اضطرت الموظفين إلى ترك أعمالهم، واللجوء إلى مجالات عمل أُخرى ما أخل ذلك بأنظمة الدوائر الحكومية.

* * *

الأداء الثقافي والاجتماعي لحركة الطالبان

١ ـ حقوق المرأة:

حسب إحصائيات الأُمم المتحدة لعام ١٩٩٦م فإنَّ (١٥٨) مدرسة في كابول وحدها، كانت فعَّالة، ويدرّس فيها (١١٢٠٨) معلم ومعلمة، حيث كان عدد المعلمات (٧٧٩٣) معلمة[١]. وتضم هذه المدارس أكثر من مائة ألف طالبة كنَّ يواصلن دراستهنَّ فيها. وطبقاً لما أفاد به السيِّد (حسن يار) الرئيس السابق لجامعة كابول. فإنَّ أربعة آلاف طالبة كنَّ يواصلن دراساتهنَّ في الجامعة، وعادة ما يحصلن على درجات أعلى من درجات الذكور.

النساء أيضاً كنَّ يمارسن مهنة الطبابة والتمريض في المستشفيات، ويقمن بالكثير من الأعمال في هذه الأماكن. وعلاوة على ذلك فإنَّ الكثير من الأسر التي فقدت معيلها بسبب الحروب، تولت أُمورها النساء، إذ خرجن للعمل خارج المنزل من أجل تأمين نفقات هذه الأسر، وبالتالي تأمين استمرارها في الحياة.

وقد أصدرت (حكومة الطالبان) أول بيان لها حول النساء جاء فيه:

---

(١) دوبري، نانسي هاج، النساء الأفغانيات تحت حكم الطالبان (أفغانستان والطالبان والسياسيات العالمية) ترجمة عبد الغفار محقق (مشهد: ١٩٩٨م) ص٢٠٩.

«من أجل منع الانحراف ووجود النساء بدون حجاب وستر، لا يحق لسائق السيارة أن يقلّ امرأة ترتدي عباءة مكشوفة الوجه، أو ترتدي ملابس تجسد مفاتنها، أو إنّها لا تصطحب معها محرماً، وعليه فإنَّ السائق الذي يخالف ذلك يعاقب بالسجن، كما يعاقب زوجها»[1].

ونظراً لمنع الفتيات من الدراسة، فقد افتتحت سراً مئات المدارس في المنازل. ولو صدف أن علم (الطالبان) بوجود هذه المدارس؛ فإنَّ المسؤولين عنها يتعرضون للعقاب.

وبسبب المعارضة الداخلية والخارجية لسياسة الطالبان إزاء المرأة قال الملا عمر:

«إنَّ نساء أفغانستان يتمتعن بحياة هادئة وكريمة وآمنة في ظل حكومة طالبان التي تستلهم أحكامها من الشريعة الإسلامية، وهي تراعي حقوق المرأة المطابقة للإسلام»[2].

ونتيجة لمضايقات (حكومة الطالبان) لعمل المرأة في الطبابة فقد تسبب ذلك بوجود مشاكل كثيرة وعرقلة الأعمال في المستشفيات والمستوصفات. كما إنَّ الأطباء من الرجال لا يحق لهم فحص ومعاينة مرضاهم من النساء، ممَّا اضطر قائد الطالبان ووزير الصحة آنذاك للتوقيع على لائحة تتضمن أحد عشر حكماً يختص بالموظفات الطبيبات، وذلك في تشرين الثاني ١٩٩٦م[3].

وبذلك فتح المجال أمام النساء لممارسة أعمالهنَّ الطبية شريطة

---

(١) نفس المصدر، ص٢١٣.
(٢) شهرية نداء المرأة، العدد ٥٠، كانون الأول ١٩٩٩م، ص٥.
(٣) شهرية عهد التضحية، العدد ٧، شهر حزيران ١٩٩٨م، ص٦.

أن يتم الفصل بينهنَّ وبين الرجال، وقد سمح للأطباء بفحص المرضى من النساء شريطة أن تكون المريضة برفقة أحد محارمها، وأن يكون الطبيب والمريضة باللباس الإسلامي الكامل.

هناك رؤيتان لتفسير المضايقات التي مارستها (حكومة الطالبان) على المرأة فيما يخص عملها في المجتمع:

الأولى: هي أنَّ (الطالبان) أرادوا تطبيق تقاليدهم القبلية في قالب إسلامي، وفرضها على المجتمع الأفغاني.

الثانية: إنَّ هذه المضايقات كانت عبارة عن خطة لفرض سياستهم من خلال فرض الأحكام على عامة الناس لتضييق الخناق على المعارضين، والقضاء عليهم.

لكن الحقيقة هي أنَّ تطبيق الأحكام الإسلامية ـ حسب وجهة نظر الطالبان ـ كانت ذريعة لإحكام السيطرة على البلاد، وخلق أجواء من الخوف والرعب في المجتمع الأفغاني.

وحول مراعاة حقوق المرأة وفتح المدارس للبنات نقل عن (الملا عمر) قوله:

«إنَّ مواصلة المرأة للدراسة في المدارس والجامعات هو تمرير لسياسة الكفر، ورواج للفساد والرذيلة في أفغانستان»[1].

وقد أيده في هذا الأمر (الملا عبد الحكيم مجاهد) سفير الطالبان في (باكستان) حيث قال بهذا الخصوص:

«إنَّ الجيش وقوات الشرطة في حكومتنا متطوعون من مناطق

---

(١) مجلة نداء الاستقلال، العدد ١٠ (كابول: كانون الأول ١٩٩٨م) ص٧.

تحتفظ بتقاليدها التاريخية، وهم يعتقدون أنَّ إرسال البنات إلى المدارس أمر يبعث على الخجل..»[1].

وكما قلنا إنَّ البعض يرى أنَّ الهدف من هذه السياسة الطالبانية هو فرض تقاليد الطالبان القبلية على الناس ولكن في قالب إسلامي.

والبعض الآخر يرى أنَّها خطة سياسية تلجأ إليها الحكومات الاستبدادية لإحكام السيطرة على الأوضاع الاجتماعية في البلاد.

على أيِّ حال، إذا قبلنا بهذه الرؤئ فإنَّ (الطالبان) من أجل تعزيز مواقعهم والسيطرة على الأوضاع كانوا يستفيدون من هذه الأساليب، إمَّا لإضفاء الشرعية على إجراءاتهم التعسفية بحق المجتمع، أو أنَّهم يربطون هذه الإجراءات بالشريعة الإسلامية، حتى يتم بهذه الطريقة ملأ فراغ القوانين المدنية.

٢ ـ دور الشرطة الدينية لحكومة الطالبان:

لقد أنشأت (حكومة الطالبان) مركزاً يقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك للسيطرة على الأوضاع الاجتماعية، وفرض آرائها الدينية على المجتمع الأفغاني.

وبقرار من (الملا محمد عمر) تحول هذا المركز إلى وزارة، وتُسمَّىٰ قوات هذه الوزارة بالشرطة الدينية، ويقوم أفراد هذه القوات بدوريات يومية راجلة أو سيارة في المدينة، رافعين أعلاماً بيضاء، وكانوا يوقفون الرجال لقياس لحاهم، ومحاسبتهم إن كانت أقل من المطلوب، ويقومون بمحاسبة النساء وتنبيههنَّ حول الحجاب،

(١) مجلة الصراط، العدد ٢ (كابول: آب ١٩٩٨م) ص٣٢.

ويمنعون مشاهدة التلفزيون. كما إنَّ عناصر قوات هذه الوزارة عطلوا مسابح وحمامات النساء[1]، وتعقبوا المدارس السرية للبنات التي تؤسس في المنازل، وأقاموا حدود قطع أيدي السارقين، وجلدوا المجرمين أمام الملأ، ومنعوا التصوير بكلّ أنواعه.

وبخصوص إطلاق اللحى وعدم حلقها، بثت إذاعة الشريعة بياناً موجهاً للرجال جاء فيه:

«يا أبناء الوطن من الرجال المسلمين عليكم أن تطلقوا اللحى، وأن لا تكون أقل من شبر، لأنَّ حلقها يعتبر من كبائر الذُّنوب»[2].

وكانت الشرطة الدينية تستخدم أشد الأساليب لمواجهة أولئك الذين لا يأخذون هذا الأمر بعين الاعتبار، فقد اعتقلوا خلال يومين خمسمائة رجل لعدم مراعاتهم القوانين المتعلقة بإطالة اللحى، وقاموا بجلدهم[3].

وبنفس هذا الأسلوب أجبر (الطالبان) الرجال على لبس العمامة، واعتبار التخلف عن لبسها، تخلفاً عن ضرورة من ضرورات الدِّين. هذا النوع من التشدد الذي يمارس باسم الدِّين كان سبباً في ظهور حالة من الأمن نتيجة الخوف والرعب. وفي هذا المجال أوضح (جيمز غودين) أحد المراسلين والناشطين في مجال حقوق الإنسان، في مقابلة مع إذاعة (صوت أمريكا) قائلاً:

---

(١) قام الطالبان بعد السيطرة على (هرات) ثاني أكبر المدن في أفغانستان بإغلاق الحمامات الخاصة بالنساء، وأبقوا فقط ثلاثة حمامات في (هرات) و(كابول) وذلك في تشرين الأول عام ١٩٩٦م.

(٢) مجلة الوحدة، العدد ٢٥٥ (كابول: ٩ آب ١٩٩٨م) ص٢.

(٣) نفس المصدر، ص٢.

«إنَّ أهالي كابول يعانون من ضنك العيش، ومن مشاكل اقتصادية، وسلطة سياسية لا تعرف إلاَّ القسوة والتشدُّد. . إنَّ مدينة كابول هي ثالث عاصمة في العالم، وقد دمرت نهائياً وما زالت أراضيها تحتضن الألغام، واندثرت جميع معالمها الطبيعية وآثارها التاريخية، ومظاهر الجمال فيها»(١).

(الطالبان) يعتبرون أجهزة التلفزيون والتسجيل الصوتية من وسائل الشيطان، ولذلك حرَّموا استعمالها في المناطق الخاضعة لسيطرتهم، ويعتبرون أيضاً بعض الفنون كالفنون التشكيلية والتصوير والموسيقى حراماً.

يقول (أمير خان متقي) وزير الثقافة والإعلام في حكومة طالبان:

«لا يجوز لأحد أن يحتفظ بالصور في منزله، لأنَّ هذا الأمر يتنافى والإسلام».

الإعتزاز بالبشتونية والثقافة الأفغانية التقليدية هي الأُخرى كانت محط اهتمام الطالبان، فالمتشدّدون من الطالبان يعتبرون أفغانستان وطن البشتون فقط، ويرفضون بشدَّة الثقافات الأُخرى، فهم يعتبرون: الطاجيك، والهزارة، والازبك، وقزل باش. أقواماً ليسوا مواطنين أفغان، إنَّما جاءوا من: طاجيكستان، وأزبكستان، وإيران. ويجب أن يعودوا إلى بلدانهم. ومن أجل إقامة (بشتونستان) غيَّر الطالبان اللغة من الفارسية إلى البشتونية، وأصبحت المراسلات الرسمية تتم باللغة البشتونية بدلاً من اللغة الفارسية كما كان سابقاً، وأصبح التقويم لديهم بالنظام القمري الهجري عوضاً عن التقويم السابق وهو الهجري

---

(١) مجلة نداء عاشوراء، العدد ١٤٤، ٦ تشرين الثاني ١٩٩٧م، ص٨.

الشمسي. كما منعوا مراسم العزاء التي يقيمها الشيعة حزناً على مصاب الإمام الحسين عليه السلام في شهر محرم الحرام من كل عام.

٣ ـ طالبان وزراعة المخدرات:

منع الطالبان زراعة المخدرات باستثناء الخشخاش، حيث أجازوا زراعته واستعماله، للاستفادة منه في الطبابة. على أنَّ زراعة الخشخاش كانت رائجة في مدينة (هلمند) قبل نشوء حركة الطالبان، لكن بعد إجازة الطالبان لزراعته، انتشرت زارعته في مدن ومناطق أُخرى مثل: مدن (فراه) و(نيمروز) إلى حد كبير. وأحياناً تظهر استدلالات الطالبان على السماح بزراعة هذا المخدر عن روح الانتقام. فهم برَّروا ترويج زراعته بأنَّه انتقام من الغرب مقابل ما يروّجه من برامج تلفزيونية لا أخلاقية تقود الشباب المسلم إلى الفساد والسقوط في الرذيلة. لذلك فإنَّ الطالبان يقولون: إنَّنا نقابلهم بالمثل.

وكان (الطالبان) يسيطرون على أكثر من ٩٠٪ من زراعة الخشخاش[1] ويستحوذون على عشرة بالمئة من عائدات الخشخاش كضرائب.

وتطلق المافيا على منطقة جنوب أفغانستان وغرب باكستان اسم (الهلال الذهبي) لكثرة ما يزرع فيها من الخشخاش، وتحتل هذه المنطقة المرتبة الثانية بعد المنطقة المعروفة بالمثلث الذهبي في جنوب شرق آسيا من حيث انتاج المخدرات.

وكان الطالبان يصدِّرون المخدرات عبر ثلاثة طرق:

---

(١) وصل انتاج الترياق في عام ١٩٩٧م في أفغانستان إلى (٢٨٠٠) طن في السنة.

الأول: عن طريق إيران ثم تركيا ومنها إلى أوروبا.

والثاني: عن طريق قندوز الحدودية الواقعة شمال أفغانستان، وهي نقطة الانطلاق إلى آسيا الوسطى، حيث تقوم المافيا العالمية بنقل المخدرات إلى دول آسيا الوسطى، وبعد ذلك تنقل إلى روسيا وأوكرانيا، وأخيراً ترسل إلى أوروبا.

والطريق الثالث: يتم عبر باكستان، حيث يتم نقل المخدرات إلى ميناء كراتشي، ومنه تصدر إلى الدول العربية ودول شرق آسيا ومن جملتها: اليابان.

ونظراً لزيادة انتاج المخدرات في أفغانستان، اضطر ممثلو الأُمم المتحدة والدول الغربية إلى التدخل لدى حكومة الطالبان، وطالبوها بوقف انتاج المخدرات ومنعها، لكن (حكومة الطالبان) اشترطت الاعتراف بها رسمياً مقابل تلبيتها هذا الطلب. وعلل (الطالبان) بيعهم للمخدرات وانتاجها أيضاً بالأوضاع الاقتصادية المتردّية في أفغانستان، وتلبية الاحتياجات المادية داخل البلاد[١].

وسميت سياسة الطالبان هذه بدبلوماسية المخدرات، ولقيت استهجاناً واستغراباً من المنظمات الدولية ومن المجتمع الدولي.

على أيٍّ حال فإنَّ الضغوط الدولية التي مورست على الطالبان دفعتهم إلى التخفيف من انتاج المخدرات.

وفي عام ٢٠٠٠م انخفض سعر الترياق كثيراً بسبب كثرة انتاجه، وعندما أمر (الملا عمر) باحتكار هذه المادة وخزنها ومنع المزارعين

---

(١) مجلة العلوم السياسية والاقتصادية، العدد ٢ (طهران: كانون الأول ١٩٩٨م) ص١٢.

من زراعتها؛ ارتفع سعرها مرَّة أُخرى، وعادت لتدرَّ على الطالبان الأموال الطائلة[1].

* * *

(١) مجده، وحيد، أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان، دار ميوند (بيشاور: ٢٠٠٢م) ص١٠٢.

الأداء العسكري لحركة الطالبان

خلال فترة مواجهة المجاهدين الأفغان للقوات السوفياتية المحتلة، كانت (الولايات المتحدة) تدعم المجاهدين عن طريق جهاز استخبارات الجيش الباكستاني الـ(آي .اس .آي)[1]، لكن هذا الجهاز غيَّر سياسته إزاء المجاهدين الأفغان بعد طرد السوفيات من أفغانستان، فتوقف عن دعمهم، وحصر هذا الدعم العسكري والمالي على (البشتون الفلجاني) بقيادة (الحزب الإسلامي) الذي يقوده (قلب الدِّين حكمتيار).

وكان الهدف من هذا الدعم ـ كما في مناسبات سابقة من هذا البحث ـ هو: إسقاط حكومة المجاهدين، والسيطرة على الحكم من خلال الحزب الإسلامي. وعندما أخفق هذا الحزب في الإطاحة بحكومة المجاهدين آنذاك؛ أصيب الجيش الباكستاني بنكسة ويأس، ما دعى قياداته إلى التفكير بأساليب أُخرى من أجل إسقاط حكومة المجاهدين، وتمكين (البشتون) من السيطرة على السلطة.

---

(١) كان الجنرال (أختر عبد الرحمان) أحد المسؤولين البارزين في (الآي. اس. آي) يضع الخطط الاستراتيجية لباكستان إزاء الأزمة الأفغانية، وهو أيضاً المسؤول من الجانب الباكستاني عن تنظيمات جماعات المجاهدين، وعن تقديم العون والدعم المالي لهم. وقد ساهم في إقناع الأمريكيين بتزويد المجاهدين الأفغان بالأسلحة المتطورة كصواريخ ستينغر.

وفي صيف ١٩٩٥م توصل الجيش الباكستاني إلى هذه النتيجة، وهي: تقديم الدعم لحركة الطالبان. وتجدر الإشارة إلى أنَّ وزير الداخلية الباكستاني (نصر الله بابر) كان يقدم الدعم لحركة الطالبان منذ أواخر عام ١٩٩٤م، لكن الاستخبارات العسكرية (الآي. اس. آي) كانت تتعامل بحذر مع حركة الطالبان.

وقد لعبت الشبكة البشتونية في القيادة العليا للجيش الباكستاني دوراً هاماً في تقديم الدعم المتزايد لحركة الطالبان، حيث كان (الجنرال عبد الوحيد) القائد العام للقوات المسلحة والجنرال (علي مكي خان) رئيس الاستخبارات العسكرية الـ(آي. اس. آي) من البشتون.

التشكيل العسكري لحركة الطالبان:

١ ـ الطالبان مجموعة بشتونية صغيرة:

هناك نظريتان حول التشكيلة العسكرية لحركة الطالبان: الأولى تقول إنَّ قوات الطالبان تشكلت من طلاب الحوزة العلمية، وتلقوا تدريبات عسكرية فيما بعد. حيث يصف أصحاب هذه النظرية الحركة العسكرية للطالبان بالنهضة التي بدأت أو انطلقت من الناحية التاريخية من المدرسة الدينية المسماة بـ(سنك سر) الواقعة في منطقة (ميوند) في ولاية (قندهار) الأفغانية والتي درس فيها (الملا عمر) أيضاً.

وقد أثار حفيظة (الملا عمر) ورفاقه الثلاثين ابتزاز المجاهدين للناس، وأخذ الرشاوى منهم في الطرق التابعة لولاية قندهار. ولذلك

قرر (عمر) وزملاؤه في صيف ١٩٩٤م التصدي للمجاهدين، حيث كانوا في البداية ١٤ مسلحاً فقط[١].

ويعتقد أصحاب هذه النظرية أنَّ دعم (حركة الطالبان) كان في البداية من المساعدات المالية والأسلحة التي يقدمها لهم (حاجي بشير) أحد كبار الشخصيات في (مدينة ميوند)[٢]. و(عبد الغفار آخوند زاده) أحد الوجوه القوية في ولاية هلمند.

٢ ـ الطالبان تشكيلة من المجموعات الباكستانية والأفغانية:

يعتقد البعض الآخر أنَّه لا يمكن أن تعد (حركة الطالبان) كمجموعة بشتونية منسجمة ولها أهداف عسكرية محددة. يقول (برهان الدِّين رباني) رئيس حكومة المجاهدين آنذاك في هذا الإطار:

«إنَّ حركة الطالبان مكونة من العناصر التالية:

أ ـ مجموعة من الضباط الشيوعيين الموالين للرئيس السابق (نجيب الله أمين).

ب ـ مجموعة من جنود وضباط باكستانيين وميليشيا جيش الصحابة الباكستانية.

ج ـ طلاب العلوم الدينية الأفغان.

---

(١) ديفز، انطوني، أفغانستان والطالبان والسياسات العالمية، ترجمة عبد الغفار محقق (مشهد: ١٩٩٨م) ص٦٨.

(٢) حاجي بشير: كان أحد قيادات الحزب الإسلامي بزعامة (مولوي يونس خالص) وكان هذ الحزب يتلقى الدعم خلال فترة الجهاد ضد الجيش الروسي المحتل من الجيش الباكستاني.

د ـ مجموعة من أعضاء (الحزب الإسلامي) بقيادة (قلب الدِّين حكمتيار) و(حركة النهضة الإسلامية).

هـ ـ جماعة من زعماء تهريب المخدرات.

و ـ عدد من زعماء عشائر البشتون».

ويرى (رباني) أنَّ اتخاذ القرارات كان بيد العسكريين الباكستانيين والمتشددين من أعضاء جيش الصحابة[1].

كان موقف (حكومة رباني) من (حركة الطالبان) في بداية نشوئها إيجابياً، حتى أنَّها كانت تقدم لها الدعم والمساعدة، ظناً منها أنَّ ذلك يمكن أن يضع حداً للمعارك الجارية في (كابول) يومذاك بينها والحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار، وعلى خلفية هذا الموقف استقبل الرئيس (برهان الدِّين رباني) في أواخر صيف عام ١٩٩٤م وفداً من حركة الطالبان بزعامة (الملا رباني) في كابول. وحينها صرح (الملا رباني) قائلاً:

«نريد أن نضع حداً لإراقة الدماء، والتوصل إلى صيغة تفاهم بين المجاهدين».

فالرئيس (رباني) كان يعتقد أنَّ أية قوَّة جديدة يمكن أن تساعد على استقرار الأمن والسلام في البلاد، وهذا ما حمله على كتابة نص خطي لوفد (حركة الطالبان) يسمح لهم بالنشاط في الولايات الشرقية لأفغانستان[2].

---

(١) صحيفة اطلاعات، (طهران: ١١/١٠/١٩٩٨م).
(٢) بهلوان، جنكيز، أفغانستان تحت حكم المجاهدين حتى مجيء الطالبان (طهران: ١٩٩٨م).

حكومة المجاهدين كانت تأمل أيضاً من مجموعة البشتون الجديدة أن تتمكن من وضع حد لقصف (حكمتيار البشتوني) لكابول بالصواريخ، إذ أنَّها كانت حتى ذلك الوقت تجهل حقيقة وأهداف هذه المجموعة من حركتها الفتية.

ومن جانب آخر كانت (حكومة المجاهدين) تريد نفي شبهة تشبث الطاجيك بالسلطة، ولذلك فتحت أبوابها أمام هذه الحركة من البشتون، الأمر الذي حمل جماعة الطالبان على اقتناص الفرصة واستغلالها لتحقيق أهدافها.

وما أن عاد وفد (حركة الطالبان) من كابول، حتى تحركت الحركة نحو (ولاية هيلمند) ومن ثم نحو (قندهار) وفي (قندهار) رفعت شعار أنَّها تريد إقرار السلام، ووضع حد للحرب في هذه المدينة وباقي المدن الأفغانية، وذلك ما حمل (الملا نقيب) زعيم مجموعة الجماعة الإسلامية على التسليم بدون مقاومة.

(كلي آقا) زعيم الحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار في قندهار هو الآخر لم يبد أية مقاومة.

كذلك الحال بالنسبة لكل المجموعات الأُخرى في مدينة (قندهار) فهي تصورت أيضاً أنَّه عن طريق هذه الحركة الدينية يمكن إيجاد حالة من التفاهم، ولذلك امتنعت عن محاربة الطالبان.

٣ ـ الجيش الباكستاني هو سبب وحدة البشتون:

عندما دخلت (حركة الطالبان) الساحة العسكرية والسياسية الأفغانية لم تكن لعشائر البشتون قيادة موحدة، وكانت مقسمة إلى أربعة مجموعات رئيسية هي:

أ ـ الحزب الإسلامي بقيادة (حكمتيار) الذي كان يشارك في حكومة المجاهدين من جهة، ومن جهة أُخرى كان يسعى إلى إضعافها عن طريق الضغط العسكري.

ب ـ مجموعات البشتون الصغيرة بزعامة كل من: (عبد الرسول سياف) و(مولوي يونس خالص) و(مولوي محمد نبي) و(بير صاحب كيلاني).

ج ـ (ظاهر شاه) الملك السابق لأفغانستان ومؤيدوه الذين كانوا يعيشون في المنفى خارج أفغانستان، فهؤلاء كانوا يراهنون على أن يكون (ظاهر شاه) محور توحيد البشتون، والعودة إلى البلاد.

د ـ البشتون المتطرفون الذين كانوا يعيشون في باكستان وفي الدول الغربية والذين أسسوا صحيفة أفغان ملت (الشعب الأفغاني) من أجل نشر أفكارهم.

ولأنَّ هذه المجموعات لم تكن موحدة؛ لم تستطع الوقوف أمام القوميات الثلاثة الأُخرى: الطاجيك، والهزارة والأزبك الموجودة في أفغانستان، والتغلب عليها، ومن هنا دخل الجيش الباكستاني على الخط باعتباره العامل الرئيسي لتنظيم البشتون وتوحيدهم ومساعدتهم عسكرياً. فالجيش الباكستاني يستطيع تعبئة عناصره البشتون وإرسالهم إلى أفغانستان باعتبارهم بشتون أفغان، كما كان بإمكانه استقطاب الشبان الفقراء والمنزووين إلى جانب (حركة الطالبان) تحت عنوان الدفاع عن الإسلام، وبالتالي تكوَّنت قيادة لحركة الطالبان من الشرائح الفقيرة والمتشددة من البشتون التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالجيش الباكستاني مالياً وعسكرياً.

أما قوام القاعدة العسكرية لحركة الطالبان، فكان يتكون من: طلاب المدارس الدينية البشتون، والشيوعيون البشتون من بقايا الجيش الأفغاني السابق، والشباب الباكستاني، وضباط الجيش الباكستاني. وكل هؤلاء كانوا يسيّرون من قبل جهاز استخبارات الجيش الباكستاني الـ(آي. اس. آي) ويتلقون الدعم المالي من: المملكة العربية السعودية ومن تنظيم القاعدة[1].

وكان (نصر الله بابر) أحد كبار ضباط جهاز استخبارات الجيش الباكستاني في ذلك الوقت قد تولى في البداية تشكيل (حركة الطالبان) ويومذاك تولى (بابر) منصباً مهماً هو وزارة الداخلية الباكستانية. وكان (نصر الله بابر) الذي ينتمي إلى القومية البشتونية يرتبط بعلاقات واسعة مع قيادات المجاهدين على طول فترة جهادهم ضد الاحتلال السوفياتي لأفغانستان، ولذلك كان يعرف نقاط القوّة والضعف عندهم

---

(١) نشر العدد الحادي عشر من صحيفة (نداء المجاهد) أسماء بعض كبار ضباط حزب الشعب الأفغاني الذي كان فعّالاً أبان الحقبة الشيوعية في أفغانستان، والذين تولوا مناصب مهمة في حركة الطالبان وهم:

١ ـ خان محمد المعروف بصاحب زاده صاحب، وكان مساعداً لوزير دفاع الطالبان للشؤون المالية.

٢ ـ شكر الله المعروف بالملا شكر الله الكزي، وكان مساعداً لوزير دفاع الطالبان لشؤون الإعمار.

٣ ـ حاجي ملا، المساعد الميداني لوزير دفاع الطالبان.

٤ ـ عبد الباري، مساعد رئاسة الحركة لشؤون الأمن القومي.

٥ ـ الجنرال نوروز المعروف بالملا نوروز، كان أيضاً مستشاراً لشؤون الأمن القومي.

٦ ـ الجنرال مير حمزة فراهي، الذي كان عضواً فعّالاً في انقلاب الجنرال تني والمعروف بالملا حمزة، وهو عضو في قيادة وزارة دفاع الطالبان.

٧ ـ المهندس عبد الرحمن، نقيب مهندسي القوّة الجوية في الجيش الأفغاني الشيوعي، وبقي في نفس المسؤولية على عهد الطالبان.

تمام المعرفة. وعلى أساس هذه الخلفية التي لديه عن المجاهدين الأفغان اصطحب معه في تشرين الأول عام ١٩٩٤م ستة من سفراء الدول الغربية إلى طريق هرات قندهار[١]. ذلك أنَّ عناصر البشتون في حكومة (بي نظير بوتو) رئيسة الوزراء الباكستانية يومذاك، وفي الجيش الباكستاني، كانوا يفكرون في إيجاد طريق تجاري يربط باكستان بآسيا الوسطى، وكانوا يرون أن يمتد هذا الطريق من مدينة (كويتة) الباكستانية ويمرُّ بمدينتي (قندهار وهرات) الأفغانيتين. إذ أنَّ باكستان كانت تصر على إرسال قافلة مكونة من (٣٠) شاحنة إلى (جمهورية تركمنستان) عبر (قندهار). ولذلك كانت أولى مهمات (حركة الطالبان) هي: التصدي للزعماء الأفغان المحليين الذين يعارضون هذه الفكرة الباكستانية.

وفعلاً كانت أولى عمليات الطالبان العسكرية قيام (٢٠٠) من عناصرها بمهاجمة المناطق الحدودية الباكستانية الأفغانية في منطقة (إسبين بولدك). وقد استقرت قوات الطالبان التي كانت مدعومة بالمدفعية الباكستانية في منطقة (تشمن) الحدودية، حتى أنَّ الطريق الحدودية بين أفغانستان وباكستان ـ والتي كانت تحت سيطرة الحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار ـ قد سيطرت عليها قوات الطالبان المدججة بالأسلحة والمدعومة من قبل الجيش الباكستاني[٢].

---

(١) كان (نصر الله بابر) يهدف من خلال هذه الخطوة إلى الحصول على مليار ومائة مليون دولار كمساعدة من الدول الغربية ليبني بها خط سكك حديد، ويؤسس شبكة اتصالات هاتفية تغطي (١٠٠) مدينة من مدن أفغانستان.

(٢) بعد أسبوع من احتلال الطالبان لمدينة (إسبين بولدك) قام (نصر الله بابر) وزير الداخلية الباكستاني آنذاك باصطحاب وفد من سفراء دول: أمريكا وبريطانيا والصين وإيطاليا وكوريا الجنوبية لدى (إسلام آباد) إلى منطقة كويتة الباكستانية، ومنها طار الوفد

بعد هذه التطورات تحركت مجموعةٌ من مقاتلي طالبان باتجاه مدينة قندهار الأفغانية المهمة، حيث لم تلق أية مقاومة من قوات (الملا نقيب) البالغة (٢٥٠٠) مقاتلاً. أما بقية القيادات الأفغانية في المدينة فقد أبدت مقاومة ضعيفة، ما سهل ذلك على (الطالبان) مهمة السيطرة على المدينة، وفعلاً حققت هذا الهدف خلال يومين فقط.

سيطرة الطالبان على مدينة قندهار كان مؤشراً على نجاح الجيش الباكستاني لأنَّه كان الجسر الذي يربط بين الطلبة البشتون وضباط الجيش الأفغاني السابق، ذلك أنَّ المئات من الضباط البشتون في هذا الجيش لجأوا إلى باكستان إثر الانقلاب الذي قام به (الجنرال شهنواز تني) على الحكومة الأفغانية عام ١٩٩٢م. وقد رأى هؤلاء الضباط في (طالبان) ورقة رابحة لإعادة سلطة وهيمنة البشتون على أفغانستان[١].

بعد سيطرة (حركة الطالبان) على (مدينة قندهار) كان عليها اجتياز ثلاث ولايات أفغانية أُخرى حتى تصل إلى العاصمة كابول. وللسيطرة على العاصمة كان على الحركة أيضاً أن تقوم بتفعيل الجبهة الشرقية لكابول، لكنَّها زحفت بقواتها نحو العاصمة من ثلاث جبهات هي: الجبهة الشرقية والغربية والشمالية. وفي مناطق كثيرة جداً لم تلق (الطالبان) مقاومة تذكر، فالقيادات المحلية ـ التي لم تكن لديها أية

إلى ولاية هرات وولاية قندهار الأفغانيتين. وكان هدف (بابر) من اصطحاب الوفد هو الحصول على مساعدات مالية من الدول الغربية لتحسين الطرق البرية، ومدّ خط سكك الحديد في تلك المنطقة.

(١) في مقابلة مع صحيفة فرانتير بوست الباكستانية شباط عام ١٩٩٥م زعم (حكمتيار) أنَّ (١٦٠٠) ضابط شيوعي كانوا يخدمون في حركة طالبان، لكن هذه المزاعم حول تعاون الضباط الأفغان مع حركة الطالبان مبالغ فيها.

دوافع للحرب ـ كانت تتخلى عن المقاومة بمجرد حصولها على مبالغ من المال، وتسلم المناطق التي تسيطر عليها لحركة الطالبان.

وكانت أول مواجهة عسكرية لقوات الطالبان في هذا الزحف في ولاية (هيلمند) حيث خرج خلالها مئات الأشخاص للتصدي لحركة الطالبان، لكنَّها انتهت بسيطرة (طالبان) على الطريق الرئيسية المؤدية إلى (ولاية هرات).

في الجبهة الشرقية وصلت (قوات الطالبان) إلى (مدينة غزني) حيث قاومها بادىء الأمر أحد قيادات (قوات حكمتيار) معروف باسم (قاري بابا) إلاَّ أنَّه سرعان ما استسلم لقوات الحركة. أما حكومة المجاهدين ـ التي كانت تخوض مواجهات عنيفة مع قوات حكمتيار في العاصمة كابول ـ رأت في سيطرة حركة الطالبان على (مدينة غزنة) تطوراً لصالحها، لكن (الطالبان) ضربت بكل اقتراحات التحالف مع حكومة المجاهدين والوقوف بوجه (حكمتيار) عرض الحائط، تلك التي كانت قد عرضتها على رئيس الحكومة (برهان الدِّين رباني) وعبر عن موقف الطالبان الجديد (خير الله خير خواه) بقوله:

«نحن نقف على الحياد بشكل كامل في الحرب المستعرة على السلطة بين رباني وحكمتيار».

بعد (غزنة) كانت ولاية (ورداك) ومركزها (مدينة ميدان شهر) آخر مدينة قبل الوصول إلى العاصمة كابول. و(ميدان شهر) شهدت معارك ضارية حققت فيها (الطالبان) انتصاراً يعدّ من أهم وأكبر الانتصارات التي حققتها في معاركها في ذلك الوقت. لأنَّها كانت قد أعدت لهذه المعركة إعداداً جيداً، فقد اقتحمتها بقوَّة قوامها

(١٠,٠٠٠) مقاتل مع ما يقرب من مائة دبابة والعديد من المدافع. وكان الضباط الشيوعيون في الجيش الأفغاني السابق يقودون الدبابات ويطلقون قذائف المدفعية لأنَّهم كانوا ينتمون إلى البشتون في (حزب الشعب الديمقراطي) لأفغانستان. وكان هؤلاء الضباط قد فرّوا مع مجموعة من بعض المؤيدين لوزير الدفاع الأفغاني السابق (الجنرال شهنواز تني) إلى باكستان بعد فشل انقلاب عام ١٩٩٠م، وظلوا ضيوفاً على جهاز (الآي. اس. آي) الباكستاني.

وفيما يخص السيطرة على (كابول) لم يكن الأمر سهلاً على (حركة الطالبان) كما كان عليه الحال في المناطق والمدن الجنوبية. لأنَّ العاصمة كانت تخضع لسيطرة أكثر قيادات المجاهدين شهرة وهو (أحمد شاه مسعود) إضافة إلى أنَّ أغلب سكان العاصمة هم من المتكلمين باللغة الفارسية، بمعنى أنَّ (البشتون) أقلية فيها، لا تشكل قاعدة مهمة للطالبان هناك. على أنَّ (الطالبان) شنُّوا هجومهم على العاصمة للاستيلاء عليها، واستمرت المعركة لمدة أسبوع كامل، منيت فيها (الطالبان) بهزيمة كبيرة على يد قوات (أحمد شاه مسعود) ونجح (مسعود) بإبعاد القوات المهاجمة في التاسع عشر من آذار عام ١٩٩٥م إلى منطقة (تشهار أسياب) البعيدة جداً عن (كابول).

وإلى جانب هذه الهزيمة، منيت (الطالبان) بهزيمة أُخرى أمام قوات القائد الطاجيكي (إسماعيل خان) في (هرات) حيث تكبدت قوات الطالبان خسائر فادحة، وانسحبت حينها من (موقع شيندند) الاستراتيجي. لكن في صيف ١٩٩٥م وجدت (حركة الطالبان) فرصة لإعادة بناء وإعداد قواتها وقدراتها العسكرية، وفي نفس الفترة انضم إليها (عبد الرشيد دوستم) القائد الأزبكي الذي كان مستقراً في شمال

أفغانستان، وكان قد أعد قواته للقتال إلى جانب الطالبان ضد حكومة المجاهدين، وجهَّز طائراته الحربية بما فيها طائرات (ميغ ٢١) للمشاركة في العمليات الحربية. وإلى ذلك التحق مقاتلون جدد بالحركة الطلابية ممَّا رفع قوام قواتها إلى (٢٥ ألف) مقاتل[1] بينهم ما يقارب الثلاثة آلاف مجند من الباكستانيين.

وإثر هذا الدعم الباكستاني الكبير لحركة الطالبان، وأسناد المقاتلات الحربية لعبد الرشيد دوستم، تمكنت (الطالبان) من إلحاق الهزيمة بوالي هرات (إسماعيل خان)[2].

شكَّل سقوط (مدينة هرات) بأيدي (حركة الطالبان) ضربة شديدة لقوات الحكومة في كابول، الأمر الذي حمل هذه القوات على مهاجمة السفارة الباكستانية في كابول احتجاجاً على هذا التدخل العسكري السافر إلى جانب (حركة الطالبان) والتأثير على مجريات المعركة بين القوات الحكومية وحركة الطالبان.

وفي منتصف تشرين الأول شدَّدت (طالبان) من ضرباتها وضغطها على العاصمة كابول، وشكلت مجدداً تهديداً جدّياً لحكومة المجاهدين، إذ نجحت في السيطرة على موقع (تشهار آسياب) ونتيجة لخيانة أحد قادة (قوات أحمد شاه مسعود) تمكنت (قوات الطالبان) من الزحف نحو العاصمة والانتشار بالقرب منها. وبعد شهر من هذا الزحف والضغط المتواصل تمكنت (قوات الطالبان) من السيطرة على

(١) ديفيز، انطوني، الطالبان والسياسات العالمية (كيفية تشكيل حركة الطالبان كقوَّة عسكرية) ترجمة عبد الغفار محقق (مشهد: ١٩٩٨م) ص٩١.

(٢) في يوم الثلاثاء الموافق ٥/٩/١٩٩٥م هرب (إسماعيل خان) والي هرات وستة من قياداته إلى مدينة (إسلام قلعة) الأفغانية القريبة من الحدود الإيرانية.

موقع (بل تشرخي) القريب من العاصمة، واستمر القتال حتى الشتاء، الأمر الذي شكَّل عائقاً أمام تقدم (قوات الطالبان) وزحفها على قوات (أحمد شاه مسعود) التي تعوَّدت على القتال في الشتاء، بعكس (قوات الطالبان) التي لم تتدرب على القتال في هذا الفصل البارد والقارص جداً في أفغانستان، وترك ذلك الأثر الكبير على سير المعارك، إذ تكبدت (قوات الطالبان) خسائر فادحة قدّرت بالمئات من مقاتليها، واضطرت بسبب ذلك إلى البقاء عند أسوار كابول، والاكتفاء بمهاجمتها بقذائف المدفعية والصواريخ فقط.

وما أن أطل ربيع عام ١٩٩٦م حتى صعَّدت (الطالبان) من هجماتها على كابول، فاضطرت (أحمد شاه مسعود) على سحب قواته من العاصمة في ٢٦ أيلول عام ١٩٩٦م باتجاه شمال أفغانستان.

أسباب انكسار المجاهدين أمام الطالبان:

أ ـ إنَّ قوات (أحمد شاه مسعود) أصيبت بالكلل والإحباط، وفقدت دوافع الاستمرار في الحرب، بسبب عودة الحكومة إلى التحالف مجدداً مع (حكمتيار) ضد الطالبان، رغم أنَّ (حكمتيار) خاض حرباً طويلة ضد المجاهدين، وهذا التغير السريع الذي طرأ على موقف حكومة المجاهدين لم يعد مقنعاً للقوى المجاهدة لأنَّ (حكمتيار) ظل يقاتلهم لأربع سنوات متتالية ويقصف العاصمة بالصواريخ ويقتل المدنيين العزل.

ب ـ انعدام الأمن وقتل الأبرياء في (كابول) حمل سكانها على التطلع لتغيير الظروف الموجودة وقبول كل من يرفع شعار تحقيق الأمن والاستقرار والسلام.

ج - التفرد بالسلطة من قبل بعض قيادات المجاهدين أثار سخط أبناء الشعب، وجعلهم يتذمرون من تعدُّد مراكز القرار، وعدم وجود قانون موحد للحكومة، فكل قائد من القيادات العسكرية يتحرك حسب ما يروق له.

د - التحلل والفساد الأخلاقي لبعض قادة المجموعات الجهادية كان عاملاً آخر من عوامل سقوط حكومة المجاهدين.

هـ - وأهم عامل لانتصار الطالبان العسكري، هو تلقيها الدعم الشامل من الجيش الباكستاني، ومن الجنرال (عبد الرشيد دوستم) الذي كان حليفاً للمجموعات الجهادية.

وبعدما سيطرت حركة الطالبان على العاصمة كابول، هاجمت في ٢٨ أيار ١٩٩٧م قواتها مدينة (مزار الشريف) آخر معقل لقوات الحكومة الأفغانية بقيادة (برهان الدِّين رباني) آنذاك، لكنَّها منيت بالفشل في هجومها.

وقبل هجوم (قوات الطالبان) على مدينة (مزار الشريف) كانت الحركة قد نجحت في شق صف القوات الأزبكية المتواجدة في (مزار الشريف) بمساعدة الجواسيس الباكستانيين، حيث انفصل (عبد الملك بهلوان) عن (عبد الرشيد دوستم) والتحق بحركة الطالبان، فيما فرَّ (دوستم) نفسه إلى تركيا. ولما استأنفت قوات حركة الطالبان هجومها على مدينة (مزار الشريف) واجهت مقاومة شعبية عارمة، حيث اصطدمت بمظاهرات أهالي المدينة من الشيعة الرافضين لدخول هذه القوات إلى المدينة، وانضم إلى هذه المقاومة حتى (اتباع عبد الملك بهلوان) ما اضطر (الطالبان) على التراجع والخروج من المدينة.

لكنَّها في ١٠ آب عام ١٩٩٨م اقتحمت ـ بمساعدة وإسناد من القوات الباكستانية ـ مدينة (مزار الشريف) وسيطرت عليها، وقتلت العديد من سكانها، كما اقتحمت القنصلية الإيرانية، وقتلت عدداً من الدبلوماسيين الإيرانيين[١].

وفي غضون ذلك لجأت حكومة المجاهدين إلى (ولاية طخار) شمال أفغانستان لإعادة تنظيم قواتها، ومن هناك باشرت حملاتها على (قوات الطالبان) انطلاقاً من وادٍ وعر يعرف باسم (دره بنج شير)[٢].

وعلى الرغم من أنَّ (حركة الطالبان) تمكنت من السيطرة على غالبية الأراضي الأفغانية، إلاَّ أنَّها لم تتمكن من الوصول إلى بعض المناطق الشمالية الوعرة.

* * *

---

(١) نشرت الأمم المتحدة تقريراً أكدت فيه أنَّ حركة الطالبان ـ بعد سيطرتها على مدينة مزار الشريف ـ حصدت أرواح ٥ إلى ٨ آلاف شخص من أهالي المدينة، وأكد التقرير أنَّ (الطالبان) كانت تقتل النساء والأطفال والشيوخ من أي عرق أو مذهب في هذه المدينة.

(٢) يعني وادي الأسود الخمسة.

الأداء السياسي لحركة الطالبان

يتماشى الأداء السياسي لحركة الطالبان مع أفكارهم الدينية، حيث ينظرون إلى الحكومة بأنَّها خلافة إسلامية، ويعتقدون بأنَّهم يطبقون نفس النمط الذي كان عليه الصدر الأول للإسلام أيام الخلافة الراشدة.

كما ترتكز ممارساتهم وأساليبهم وتصرّفاتهم في المجال السياسي إلى استنباطهم السطحي للأحكام وللقيم الإسلامية، وإلى أُصول قياداتهم القروية، كما إنَّهم لم يسعوا إلى تطبيع أنفسهم والتكيف والتعاون مع المحيط الدولي، الأمر الذي حال بينهم وبين نجاحهم على الصعيدين الداخلي والخارجي.

السياسة الداخلية لحركة الطالبان:

رغم أنَّ (حركة الطالبان) طوال فترة حكمها ـ التي استمرت لأكثر من أربع سنوات ـ كانت تخوض المعارك مع الجبهة المتحدة الشمالية، إلاَّ أنَّها تمكنت من فرض الأمن والاستقرار في المناطق التي تسيطر عليها. هذا الاستتباب الأمني والسلام لم يأت من حضور قوات عسكرية أو شرطة محلية، بل كان بسبب تطبيق الشريعة الإسلامية وفق ما يتماشى مع أفكار (حركة الطالبان) لأنَّ قواتها كانت تقطع يد السارق بكل بساطة، كما إنَّها كانت تقطع أرجل المهربين وقطاع الطرق، وتسلِّم القاتل إلى عائلة المقتول كي تطبق القصاص بحقه.

إذاً في بلد تعصف به الحرب، وينعدم فيه الأمن لأكثر من عقدين، وتعوَّد شعبه على الفوضى وعدم الالتزام بالقوانين، يكون تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فيه أمراً مؤثراً جداً.

فبعد أن سيطرت (حركة الطالبان) على العاصمة (كابول) بشكل كامل، سلمت أمر صدور الأحكام والحدود والقصاص الشرعية لمحكمة عسكرية، كان على رأسها (عبد الرحمن آغا) وهو رجل لا يمتلك المؤهلات اللازمة لمثل هذا المنصب من الناحيتين العلمية والاجتماعية. كما إنَّ حاشيته كانوا أيضاً من العوام، وكانوا يستغلون خوف الناس من اسم (المحكمة العسكرية).

وفيما يخص ممارسات هذه المحكمة غير المسؤولة، رفعت شكايات متعددة من قبل أفراد الشعب الأفغاني إلى (الملا عمر) إلاَّ أنَّه لم يكن يهتم بكل تلك الشكايات والمظالم. ومن تلك المظالم التي أجمعت عليها هذه الشكايات: تعذيب المتهمين لانتزاع الاعترافات المطلوبة منهم قسراً[١]. ومن أكثر أساليب التعذيب رواجاً في سجون الطالبان، وأكثرها استعمالاً، هي: ضربهم بالأسلاك الكهربائية، لأنَّ (طالبان) كانت تنظر إلى نفسها بأنَّها عين الحق والحقيقة، ومن يعارضها هو متمرد على الحكم الإسلامي. فالطالبان لديهم مفهوم خاص حول الجهاد، وحتى إذا كان مخالفوهم من المسلمين تجب مقاتلتهم وفق هذا المفهوم.

هذا الفكر الذي كانت تحمله (حركة الطالبان) منعها من فتح باب

---

(١) مجده، وحيد، أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان، دار ميوند (بيشاور: ٢٠٠٢م) ص٨٣.

الحوار والتفاهم مع معارضيها، وإذا فتح طريق لمثل هذا الحوار كان يُستغل لفرض آرائها وسلطتها على الطرف الآخر. ولذلك لم تكن أي مجموعة في الداخل تثق بحركة الطالبان. فلدى هجومها على العاصمة (كابول) أراد (السيِّد عبد العلي المزاري) المعارض لأحمد شاه مسعود، الحوار والتفاهم مع الطالبان، إلاَّ أنَّ قوات الطالبان قتلت (المزاري) أثناء نقله من العاصمة كابول إلى قندهار، ويحتمل أنَّ الحركة كانت تتصور أنَّ (المزاري) يتظاهر بمعارضة (أحمد شاه مسعود) ولكن وراء الكواليس توجد صفقة بينه وبين (أحمد شاه مسعود).

أحد المحللين الأفغان يفسر الأفكار السياسية لحركة الطالبان ويحللها بالشكل التالي:

«إنَّ الفكر السياسي لحركة طالبان يشبه كثيراً أو يماثل الاتجاهات الفكرية لأهل السُّنَّة المبنية على أساس الخلافة الإسلامية، حتى أنَّها وبعد أن سيطرت على مدينة (كابول) غيَّرت اسم الدولة الإسلامية إلى (الإمارة الإسلامية) ولقبت (الملا عمر) بأمير المؤمنين، وطرحت فكرة وجوب الطاعة الكاملة للخليفة، وحرَّمت مخالفته، وكرَّست هذه الأفكار في تعاملها وأسلوبها وتصرفها السياسي، وراحت تسمّي كل من يعارضها بالمتمرد والخارج عن الطاعة، واعتبرته مهدور الدم»[1].

وأما عن القادة العسكريين في (حركة الطالبان) فإنَّ (الملا عمر) هو الوحيد الذي يحق له مساءلتهم، فحتى (الملا محمد رباني) الذي

---

(١) السجادي، سيِّد عبد القيُّوم، علم الاجتماع السياسي لأفغانستان القومية والدِّين والحكومة، مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية في قم (قم: ٢٠٠١م) ص٢٢٩.

يعتبر الشخص الثاني في الحركة ليس من حقه أن يسأل هؤلاء العسكريين أو قادتهم، في حين أنَّ هؤلاء العسكريين كانوا يتصرفون بالأموال والإمكانات التي يحصلون عليها دون رقيب أو حسيب. ولذلك كان من الطبيعي أنَّ هؤلاء كانوا لا يفضلون انتهاء الأزمة الأفغانية عبر الحوار والوصول إلى الأمن والسلام في البلاد.

السياسة الخارجية للطالبان:

عندما سيطرت (حركة الطالبان) على العاصمة كابول؛ عطلت كافة السفارات الأفغانية في العالم، وأعلنت أنَّ تلك السفارات لا تمثل الحكومة الأفغانية الجديدة، وطالبت الدول بالمحافظة على الأموال المنقولة وغير المنقولة للسفارات الأفغانية السابقة. هذا القرار اتخذ في (قندهار) وأبلغ لوزارة الخارجية في (كابول) على أنَّ القرار المذكور حمل السفارات الأفغانية على إعلان ولائها لحكومة رباني التي انتقلت إلى (ولاية طخار) بعد خروجها من العاصمة كابول.

ولم تعترف بنظام الطالبان بصورة رسمية أي جهة عالمية سوى: باكستان والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة.

١ ـ مصير مقعد أفغانستان في الأُمم المتحدة:

يعتقد بعض الخبراء السياسيين الأفغان، أنَّ (الطالبان) لو كانت تنظر إلى القضايا الداخلية والخارجية نظرة واقعية لاعترف بنظامها رسمياً الكثير من دول العالم، لكن (الطالبان) لم تكن تهتم بما يُقال عنها في الأوساط العالمية. وهذا يؤكد أنَّ الحركة لم تكن مؤهلة لحكم أفغانستان لمدة طويلة. وعندما لم تسلم (الأُمم المتحدة) مقعد

أفغانستان للحركة؛ عمدت الحركة إلى شنّ حملة على المنظمة الدولية. وعلى الرغم من أنَّ دور (الأُمم المتحدة) كان يقتصر آنذاك على تقديم مساعدات إنسانية للشعب الأفغاني، إلاَّ أنَّ (طالبان) مارست ضغوطاً على مكاتبها في أفغانستان، عسى أن تخضع المنظمة الدولية للحركة، وتعترف بها وبحكومتها.

وقد زاد الاهتمام بمقعد أفغانستان في (الأُمم المتحدة) بعد أن تبين للحركة أنَّ الكثير من الدول ربطت اعترافها الرسمي بنظام الطالبان باعتراف (الأُمم المتحدة) بهذا النظام رسمياً، وتسليمه مقعد أفغانستان في المنظمة الدولية. ومن هذا المنطلق احتفظت (حكومة رباني) بهذا المقعد حتى سقوط حكومة الطالبان، الأمر الذي أثبت أنَّ (الطالبان) فشلت في اكتساب الشرعية الدولية.

وممّا لا شك فيه أنَّ سياسة طالبان داخل أفغانستان وانعكاساتها الواسعة في الخارج، خاصة فيما يخص القسوة والجفاء اللذين تتعامل بهما الحركة مع الشعب الأفغاني، وبالتحديد مع الشريحة النسوية قد ساعد على عزل الحركة عن الأوساط الدولية، فحتى (منظمة المؤتمر الإسلامي) لم تعترف بها ولم تقبلها.

٢ ـ دبلوماسية المخدرات:

كانت زراعة المخدرات أيضاً من المشاكل التي واجهتها (طالبان) في الأوساط الدولية. فالحركة كانت تعتقد أنَّ مادة (الخشخاش) تستخدم كمادة للعلاج، لذلك فإنَّ زراعتها لم تحرم شرعاً. وأحياناً كانت استدلالات (حركة الطالبان) فيما يخص زراعة المخدرات تستبطن أو تأخذ طابعاً انتقامياً. فعلى سبيل المثال كانت

الحركة تعتقد بأنَّ الدول الغربية تحاول حرف الشباب المسلم وإفساده من خلال بث برامج منحرفة، فلذلك يحق للحركة القيام في المقابل بزراعة الخشخاش وتصديره إلى الغرب. وقد أصرَّت (الطالبان) على رأيها هذا، حتى عرف المجتمع الدولي أنَّ (الطالبان) توفر تكاليف الحرب من خلال زراعة الخشخاش. ذلك أنَّ الإحصائيات أكدت أن ٩٥٪ من زراعة هذه المادة تتم في المناطق التي تسيطر عليها (حركة الطالبان). وقد وصل انتاج (أفغانستان) للترياق عام ١٩٩٧م إلى (٢٨٠٠) طن سنوياً[1].

وتصاعدت ضغوط الدول الغربية على (حركة الطالبان) بهدف الحدّ من انتاج المخدرات وتصديرها، ما اضطرها إلى تقليل انتاج المخدرات، فأعلن (الملا محمد عمر) عن تحديد مساحة الأراضي الزراعية الخاصة بزراعة الخشخاش.

وعلى الصعيد نفسه قال (وكيل أحمد متوكل) وزير خارجية طالبان في لقائه مع وفد إيراني عام ٢٠٠٠م:

«إنَّ زراعة الخشخاش جلبت لنا سمعة سيِّئة، وإنَّ دخلنا من انتاجه أضحى أقل بكثير ممَّا نتعرض له في العالم».

وأضاف (وكيل أحمد متوكل) قائلاً:

«إنَّنا نحصل على ٢٪ فقط من أرباح زراعة الخشخاش، والمزارعون هم أيضاً يحصلون على جزء يسير من هذه الأرباح،

---

(١) مجده، وحيد، أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان، دار ميوند (بيشاور: ٢٠٠٢م) ص١٠١.

وتبقى مافيا وعصابات المخدرات هي المستفيد الأول من العملية، ولذلك سنحاول تقليل زراعة الخشخاش اعتباراً من العام القادم»[1].

إلاَّ أنَّ هذه التصريحات وصدور الأوامر بمنع زراعة الخشخاش، لم تشفع لحركة الطالبان في تحسين صورتها في الأوساط الدولية.

٣ ـ قتل الدبلوماسيين الإيرانيين:

بعد هجومها الثاني على مدينة (مزار الشريف) في آب ١٩٩٨م، أقدمت (قوات الطالبان) على ارتكاب مجازر بشعة ضد المدنيين الأفغان، فكأنَّها كانت تريد الانتقام من أهالي المدينة، لهزيمتها النكراء التي منيت بها في هجومها الأول على مدينة (مزار الشريف).

على أية حال دخلت (قوات الطالبان) المدينة مع ضباط استخبارات من الجيش الباكستاني. يقول بعض المراقبين إنَّ بعض أعضاء (جيش الصحابة) دخلوا أيضاً مع الحركة إلى المدينة، وحينها كان (الملا دوست محمد) يقود (قوات الطالبان).

وما أن دخلت قوات الحركة إلى المدينة، حتى قصدت مبنى القنصلية الإيرانية، واعتقلت (١٧) دبلوماسياً إيرانياً، كان بينهم مراسل (وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية) وجمعتهم في إحدى غرف القنصلية، وبعد فترة وجيزة قامت (القوات الطلابية) بفتح نيران رشاشاتها نحو الدبلوماسيين الإيرانيين وقتلتهم. إلاَّ أنَّ أحدهم نجى بأعجوبة من الحادث، وتمكن من الفرار بعد خروج (طالبان) من مبنى

---

(١) مجده، وحيد، أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان، دار ميوند (بيشاور: ٢٠٠٢م) ص١٠٢.

القنصلية، وبطريقة تشبه المعجزة أوصل نفسه إلى الحدود الإيرانية لينقل للمسؤولين الإيرانيين تفاصيل الحادث.

وعندما شاع خبر مقتل الدبلوماسيين الإيرانيين في (مزار الشريف) بين الأوساط الدولية؛ لجأت (طالبان) إلى إطلاق تبريرات مختلفة ومتناقضة، لكن أياً من هذه التبريرات لم تقنع الرأي العام. فمرَّة أعلنت (طالبان) أنَّها لم تعترف بكون المقتولين دبلوماسيين، وبالتالي فهم لا يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية، لأنَّهم لم يحصلوا على تأشيرة دخول من (الإمارة الإسلامية). ومرَّة أُخرى زعمت أن قتلهم جاء نتيجة تصرُّفات شخصية. وآخر ما قالته بهذا الشأن أنَّها ستتابع القضية وستدرس ملابساتها[١].

وفي المقابل قامت (إيران) بحشد بضعة ألوية من قواتها العسكرية على الحدود الأفغانية كاستعراض للقوَّة لتفهم الباكستانيين بانزعاج إيران إزاء هذه الجريمة.

لكن إطلاق سراح بعض سائقي الشاحنات الإيرانية الذين كانوا محتجزين لدى (طالبان) ساهم في تقليل حدة التوتر بين البلدين.

وما أن بدأت تهديدات أمريكا بطرد (أسامة بن لادن) زعيم تنظيم القاعدة من أفغانستان، وباتت بوادر الهجوم الأمريكي على أفغانستان تتعزز، حتى سارعت (طالبان) إلى تحسين علاقاتها مع

---

(١) كان بعض زعماء الحركة يعتقد أنَّ العملية تمَّت على يد العناصر الباكستانية التي دخلت المدينة مع قوات الحركة، وكانت تريد الانتقام لحرق سفارة باكستان في (كابول) وضرب دبلوماسييها، حيث هاجم عدد من أبناء العاصمة (كابول) الذين ضاقوا ذرعاً من قصف كابول بصواريخ الحركة عام ١٩٩٥م هاجموا السفارة وأحرقوها وقتلوا دبلوماسياً، وجرحوا السفير الباكستاني.

(إيران) وفتحت طريق التجارة مع (إيران) عبر منطقة (إسلام قلعة) الحدودية.

٤ ـ إقامة العلاقات مع الشيشان:

إحدى الموضوعات المهمة الأُخرى التي كشفت الأداء غير الطبيعي لحركة الطالبان في علاقاتها الخارجية هي قضية الاعتراف بجمهورية الشيشان التي أعلنت استقلالها من جانب واحد. فبعد أن سيطرت (حركة الطالبان) على العاصمة كابول، استقبل بعض قادة الحركة وفداً من (جمهورية الشيشان) حمل معه رسالة إلى الحركة من (أبو سياف) أحد المستشارين العسكريين للرئيس الشيشاني آنذاك (جوهر دوداييف)[١]. تضمنت هذه الرسالة طلباً من المسؤولين الشيشانيين إلى الحركة بالاعتراف بجمهورية الشيشان.

وبما أنَّ القرارات السياسية والعسكرية الحاسمة كانت تتخذ في (قندهار) توجه الوفد إلى (قندهار) أيضاً، لكنَّه غادرها دون الحصول على نتيجة مرضية. والسبب في ذلك أنَّ (وزارة خارجية الطالبان) كانت تعتقد أنَّ الاعتراف بجمهورية الشيشان في تلك الظروف سيزيد من مشاكلها في الأوساط الدولية، حتى أنَّ أحد مسؤولي الوزارة كان يعتقد بأنَّ الحركة تعودت على اتخاذ أسوأ القرارات في أسوأ الظروف[٢].

---

(١) ولد (أبو سياف) من أب شيشاني وأُم أردنية، وكان في فترة الجهاد الأفغاني ضد الاحتلال الروسي في منطقة بيشاور الباكستانية، وبعد أن نهض (جوهر دوداييف) ضد الروس، ذهب (أبو سياف) إلى الشيشان وقاد لواء من المجاهدين العرب في الحرب ضد روسيا. كما أسس (حزب الجماعة الإسلامية) في الشيشان.

(٢) وحيد مجده، نقلاً عن مسؤول القسم السياسي للشرق الأوسط وجمهورية روسيا الاتحادية والقوقاز في وزارة الخارجية لحركة طالبان.

وفي ذلك الوقت شنَّت القوات الروسية هجوماً عنيفاً على جمهورية الشيشان، ولم تواجه ردوداً قوية من المجتمع الدولي، حتى أنَّ الكثير من الدول اعتبرت أنَّ (قضية الشيشان) هي قضية روسية داخلية ومن حق روسيا أن تتعامل معها بالشكل الذي تراه مناسباً، وراحت تصف الشيشانيين بالإرهابيين. في مثل هذه الظروف قامت (حركة الطالبان) بإقامة علاقات مع (جمهورية الشيشان) واعترفت بها رسمياً في السادس عشر من كانون الثاني عام ٢٠٠٠م وقام ممثلو الطرفين بتوقيع اتفاق مشترك يقضي بفتح سفارة في كل من عاصمتي البلدين.



الملا عمر، قائد حركة الطالبان

اقترن اسم (الملا عمر) بحركة طالبان اقتراناً وثيقاً، فهو الرجل القوي في الحركة، وأصبح الرجل الأول فيها، إذ برز بعد فترة وجيزة من نشوئها وتوسعها السريع وسيطرتها على المناطق والمدن الأفغانية بشكل مثير كما بيَّنا ذلك سابقاً، وترك بصماته الواضحة على الحركة فكراً وممارسة ومواقف سياسية وسلوكاً مع المجتمع الأفغاني وتعاطياً مع الخارج.

ولذلك فإنَّ التعرض لهذه الشخصية يستكمل لنا الصورة حول (حركة طالبان) ومتبنيَّاتها الفكرية والسياسية.

من هو الملا عمر؟:

كما أشرنا فإنَّ المعلومات شحيحة حول هذه الشخصية، إلاَّ ما رشح من هنا وهناك حول نشأته وانخراطه في دراسة العلوم الدينية، ومن بعض وسائل الإعلام التي التقته أو التي التقت من نقل عنه من مقربيه أو مساعديه بعض المعلومات الشحيحة، فحتى (الملا عمر) نفسه لا يتحدث عن حياته إلاَّ بشكل مختصر جداً، وفي إطار العظة والإرشاد للآخرين!!! ـ كما يقول هو نفسه ـ فحينما سأله أحد المراسلين عن حياته، قال بعد تردُّد:

«سوف أوضح لكم بالإجمال والاختصار بعضاً من تاريخي، وما قمت به من أعمال، وذلك للعبرة والاتعاظ، وإن كانت العبرة والعظة في الأصل في القرآن الكريم لمن يمعن النظر فيه ويتدبره... ولا توجد عظة أكبر من ذلك، ومع هذا أقول لكم بعضاً ممَّا عندي: لقد واجهت اليتم في سن مبكرة، وكان عمري وقتها ثلاث سنوات، ثم نشأت وتربيت على أيدي أعمامي، وتلقيت العلوم الدينية منذ الصغر إلى أن بلغت الثامنة عشر أو التاسعة عشر من العمر، وعندما قام الشيوعيون بالانقلاب اشتركت في الجهاد ضدهم، وجرحت مرَّة واحدة قبل دخول الروس إلى أفغانستان، ثم جرحت ثلاث مرَّات في الجهاد ضد الروس. وبعد ما خرج الروس من أفغانستان عدت مرَّة أُخرى لمواصلة الدراسة الدينية في مدرسة كنَّا قد أنشأناها في مركزنا الجهادي. ولكن حكومة المجاهدين التي تولت حكم البلاد بعد سقوط الشيوعية آلت إلى ما علمه وشاهده العالم أجمع. وبسبب الحروب الداخلية بين التنظيمات الجهادية لم يكن هناك حاكم ولا حكومة في أفغانستان. وكانت الفوضى تضرب حياة الناس، وعانى المسلمون من المصائب والمشقات ما عانوا، وانتشر الفساد والظلم في البلد، وعمَّ الناس من الخطوب والشدائد ما عمَّهم. ففكرت في أن أجد أصحاباً مخلصين لله تعالى في عبوديتهم، ويكون لديهم حماس للجهاد، وتألم لحال الإسلام، لأنَّ مثل هؤلاء هم الذين يمكنهم أن يتحملوا المشاق، ويصمدوا في الجهاد في سبيل الله»[1].

ثم يتحدث (الملا عمر) عن كيفية نشوء الحركة بعد أن وجد

---

(١) الميزان لحركة طالبان، إعداد مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، النُّور للإعلام الإسلامي.

الأشخاص الذين حدَّد مواصفاتهم بالصفات المذكورة[1] إنَّه تجرّد عن كل مصالحه الشخصية والدنيوية، وتفرغ للإسلام وللدفاع عن المسلمين، ومعايشة معاناتهم، وتحرّقه اتجاه ما يعانون من خطوب وظلم وقتل وتشريد!!! وقد يكون الرجل صادقاً لأنَّه ليس لدينا معلومات موثقة حول اتصالاته الشخصية والجهات التي تؤثر عليه وما إلى ذلك، ولكن على الرغم من أنَّه يعتبر أنَّ فكرة تشكيل الحركة كانت من بنات أفكاره ـ كما يقول نفسه ـ إلاَّ أنَّ رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة (بي نظير بوتو)[2] تؤكد أنَّ تشكيل الحركة وطرح فكرتها هو من بنات أفكار آخرين أشارت إليهم (بوتو) بوضوح وهم: بريطانيا والولايات المتحدة والسعودية. لكنَّها قصرت دور (باكستان) بالتدريب والدعم اللوجستي، وهذا ما يثير بالطبع بعض الاستفهامات والشكوك حول رواية (الملا عمر).

لنركز على الموضوع الأساس وهو: البنية الفكرية للملا عمر، فالمدخل الآنف الذي استعرض فيه (الملا عمر) انخراطه في العمل الديني منذ نعومة أظفاره ـ كما يقول ـ ترك أثراً بيّناً على تفكيره ورؤيته للإسلام ولترجمة عامة الناس للتعاليم الإسلامية والتزامهم بأُمور الشريعة.

فمن خلال مراجعة تصريحاته وفهمه للشريعة، ومقارنة ذلك بممارساته على صعيد الواقع، يعتبر (الملا عمر) نفسه هو المجدد للإسلام!! وهو الإسلام بعينه، ولذلك فإنَّ كل تصرفاته وأفكاره ملزمة

---

(١) سنتطرق إلى ذلك لاحقاً بعد أن نتوقف مع البنية الفكرية للملا عمر. فالملا عمر يعتبر نفسه الشخص الذي نذر نفسه للإسلام، وصحيح أنَّه لم يشر إلى حياة السلف الصالح، لكنَّه يوحي إلى أنَّ مسيرته هي في ذات الاتجاه.

(٢) (بي. بي. سي) ١٤ تشرين الأول ١٩٩٦م.

للآخرين، ولا مناص لهم سوى الالتزام بها وتبنّيها دون مناقشة أو ردّ، لأنَّ ردّها يعني ـ بنظره ـ معصية للإسلام وتنكباً عن الدِّين!!! فهو لا يرى نفسه كعالم مثل بقية علماء الدِّين يجتهد لكنَّه يمكن أن يخطىء ويصيب، بل يرى أنَّ الحق معه دائماً، وأنَّ بقية الناس ممَّن لا يتفق معه في متبنياته الفكرية فهو منحرف أو معادٍ للإسلام مهما كان مسلماً أو عالماً أو مفكراً!!!!

فيقول (الملا عمر) في جواب له عن سؤال بشأن تطرُّف الطالبان:

«إنَّ الإسلام يرفض الغلو، وإذا استطاع أحد أن يثبت أنَّ لدينا غلواً فليثبت ذلك بالأدلة الشرعية، فالدعاوى لا تثبت بمجرد الكلام، بل تثبت بالأدلة الشرعية والحجج»[١].

وفي مجال آخر في معرض جوابه عن سؤال حول مطالبة الدول الغربية وبعض الدول الإسلامية بتليين مواقف الحركة يقول (الملا عمر):

«هذا خارج عن الإمكان أن نغير مواقفنا في الأُمور الشرعية لأنَّها أتت من السَّماء وليست من فعل البشر ليغيرها بما شاء، وهذا الذي أغضب أمريكا وجعلها تسعى لتفرض علينا بالأُمم المتحدة وغيرها. نحن نأمل من العالم الإسلامي أن يقف إلى جانبنا. لأنَّ شعبنا هو الشعب الذي خلَّص العالم من الخطر الأحمر، وعلى كلٍّ حال فنحن ماضون في طريقنا هذا، متوكلين على الله وحده، سواء ساعدنا الناس أو لم يساعدونا»[٢].

---

(١) الميزان لحركة طالبان، إعداد مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، النُّور للإعلام الإسلامي.
(٢) المصدر السابق.

ويذهب (الملا عمر) إلى أبعد من ذلك بمنح نفسه مقاماً يصل إلى مقام الأنبياء والأوصياء في إقامة الحجَّة على الناس، ففي نفس اللقاء الصحفي مع أحد مراسلي وسائل الإعلام التي لم تذكرها الطالبان في كتابها الذي جمعت فيه بعض اللقاءات الصحفية مع (الملا عمر) ومقربيه من قيادات الطالبان... يقول (الملا عمر):

«وأنا أرجو أن يجعلني الله شاهداً على العالم في إيصال رسالة الله إليهم وإقامة الحجج عليهم»[1].

وعلى أساس هذا التفكير يرى (الملا عمر) أنَّ مسيرة (حركة طالبان) تمضي وفق (مشيئة الله) فالله سبحانه وتعالى هو الذي قدَّر - حسب رأيه - لهذه الحركة أن تحقق كل هذه الانتصارات، وإذا وقعت في أخطاء فهذا من تقدير الله أيضاً!!!

وفي حديث له مع مراسل إحدى وسائل الإعلام يقول (الملا عمر):

«سوف يكون ما قدَّره الله تعالى وكتبه لنا، وليس عملنا أو عمل أمريكا فيما يتعلق بنجاح أو فشل ما نقوم به من عمل، أو نطمح إليه من أمل، وهذا كلام لا يفهمه الكافر أو من لا يمتلك عقيدة الإيمان»[2].

وحتى المؤمنين والمسلمين يخرجهم (الملا عمر) من دائرة الإيمان بالله إذا لم يؤمنوا بهذه الجبرية التي يشير إليها في كلامه، وكأنَّ الأُمور تمضي خارج إرادة البشر، وإنَّما بتقدير الله وحده، وهذا

---

(١) المصدر السابق، ويقصد بكلامه جميع الناس طبعاً.
(٢) المصدر السابق.

ما لا يوافق عليه حتى أتباع المذاهب الأربعة كما هو معروف، لأنَّ الإنسان في عقيدة أكثرية المذاهب الإسلامية مخيَّر وليس مجبراً، وأنَّ الأحداث تحصل بتدخل الإنسان سواء باتجاه الشر أو الخير، فيجازي الله سبحانه وتعالى ويثيب على الخير، ويعاقب على الشر.

و(الملا عمر) يعتبر نفسه الرجل الذي يملك الحقيقة، والشاهد والحجَّة على الناس، لذلك نصَّب نفسه قيماً على الشعب الأفغاني وعلى نخبه ومفكريه وعلمائه وسياسييه وكل طاقاته وشرائحه، فأصبح الرجل الأول والأخير في (حكومة طالبان). وهو الآمر والناهي، وتعاليمه تصبح قوانين وفتاواه ملزمة، ومن يحيد عنها يعاقب عليها أشد العقاب، فلو رجعنا إلى (قرارات الإمارة) التي دونتها (حركة طالبان) نجد أنَّ هذه القرارات هي عبارة عن أوامر أو فتاوى (أمير المؤمنين الملا عمر).

فيما يلي نورد بعض الأوامر التي جمعتها (حركة الطالبان) في كتاب تحت عنوان (الميزان لحركة طالبان)[1]:

---

(١) الميزان لحركة طالبان، إعداد مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، النُّور للإعلام الإسلامي.

قرار مكتب أمير المؤمنين بتحطيم الأصنام

قندهار ٣ ـ ١٢ ـ ١٤٢١هـ
الموافق (٢٦ ـ ٢ ـ ٢٠٠١)

بناءً على استفتاء مقام الإمارة والفتوى الشرعية الصادرة من كبار علماء أفغانستان والمحكمة العليا للبلد يؤمر بتحطيم جميع الأصنام الموجودة في المناطق المختلفة من أفغانستان، لأنَّها كانت معبودات الكفار، وقد عبدها الكفار ولا زالت تحظى باحترام وتقدير، ولا يستبعد أن تعبد هذه الأصنام في المستقبل أيضاً، في حين أنَّ المعبود الحقيقي هو الله تعالى وحده، فلتمحق جميع الآلهة والمعبودات الباطلة. ولذلك كلَّف مقام الإمارة وزارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووزارة الثقافة والإعلام بتحطيم جميع الأصنام الموجودة في أفغانستان تطبيقاً للفتوى الشرعية الصادرة من كبار علماء أفغانستان والمحكمة العليا حتى لا تعبد أو تحترم هذه الأصنام في المستقبل.

القسم الإعلامي بمكتب الإمارة

* * *

قرار الإمارة الإسلامية بحظر زراعة الحشيش وتدمير مصانعه في أفغانستان

التاريخ: ٦ ـ ٥ ـ ١٤٢٠هـ

إلى كل المسؤولين العسكريين والمدنيين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد...

فإنَّ استعمال الحشيش أمر ممنوع ومستقبح شرعاً ومضر بالعقل والصحة.

ومن أجل منع هذا العمل الشنيع نوجه وزارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتدمير كل حقوله ومنتجاته ومصانعه في البلاد.

فعليكم مساعدتهم في هذا العمل الإسلامي والإنساني في كل الجوانب، وتذليل العقبات أمامهم في ذلك.

والسلام.

خادم الإسلام
أمير المؤمنين ملا محمد عمر
(مجاهد)

* * *

قرار الإمارة الإسلامية بمنع زراعة (البنج)

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم: ٢

التاريخ: ١٣ ـ ١ ـ ١٤٢٠

المادة الأولى:

(١): تمنع زراعة البنج في كل أرض أفغانستان منعاً باتاً.

(٢): يعاقب عقوبة شرعية رادعة كل من يزرع البنج.

المادة الثانية:

يكلف ولاة الأُمور بمنع زراعة (البنج) في كل المناطق التي تحت ولايتهم، وعليهم اتخاذ التدابير اللازمة لذلك.

المادة الثالثة:

يسري مفعول هذا القرار ابتداءاً من تاريخ إصداره المبين أعلاه.

والسلام.

خادم الإسلام
أمير المؤمنين ملا محمد عمر
(مجاهد)

* * *

قرار بمنع زراعة الخشخاش في أفغانستان

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمارة الإسلامية في أفغانستان

المكتب الخاص لأمير المؤمنين حفظه الله

المادة الأولى:

١ ـ تمنع زراعة الخشخاش في كل نواحي البلد.

٢ ـ كل شخص يخالف ذلك سيعاقب العقوبة الرادعة.

المادة الثانية:

مسؤولو الإمارة الإسلامية مكلّفون بتنفيذ هذا القرار في مناطق مسؤوليتهم، وعليهم أخذ التدابير اللازمة لذلك.

والسلام.

خادم الإسلام
أمير المؤمنين الملا محمد عمر
(مجاهد)

* * *

مرسوم أمير المؤمنين للقضاء على جريمة الرشوة

لا شك أنَّ وجود الغدر والخيانة والرشاوي في النظام الإسلامي يضرُّ بأهداف وآمال النظام، ويتسبب في سخط الله، وزعزعة النظام الإسلامي وفشله، وما كان مجيء الإمارة الإسلامية إلاَّ للقضاء على هذه المفاسد الاجتماعية، ولكي نسدُّ طريق مثل هذه المفاسد المحتملة نقرر ما يلي:

أوَّلاً: إن ثبت على أحد أخذ الرشوة يحكم بحسبه لمدة خمس سنوات.

ثانياً: تكلف محاكم الإمارة الإسلامية بتطبيق الحكم المذكور أعلاه على مرتكبي جريمة الرشوة.

ثالثاً: يعتبر هذا القرار ساري المفعول من يوم صدوره، ويؤمر بنشره في جميع وسائل الإعلام والجريدة الرسمية للإمارة.

والسلام.

خادم الإسلام
أمير المؤمنين ملا محمد عمر
مجاهد

* * *

بيان أمير المؤمنين حول الأوضاع الراهنة في فلسطين

تصدى الشعب الفلسطيني الأعزل للمظالم منذ سنوات، واشتدت هذه المظالم في الآونة الأخيرة في قتل الفلسطينيين المسلمين وجرحهم والزج بهم في زنازين السجون، وأعتقد بأنَّ إسرائيل سوف لا تتوقف عن هذه المجازر البشعة لأنَّ أمريكا تقف ورائها بالدعم والتأييد.

فيجب على البلاد العربية أن تردع هذا الظلم الإسرائيلي. أو لتطلب المدد من العالم الإسلامي لردع هذا العدوان السافر.

والسلام.

خادم الإسلام
أمير المؤمنين ملا محمد عمر
المجاهد

* * *

تشير هذه الحزمة من الأوامر إلى أنَّ (الملا عمر) هو المشرّع، وهو الذي يقف على رأس هرم السلطة التنفيذية، وهو القوَّة القضائية أي أنَّه قد مركز كل السلطات في شخصه!!!

الملا عمر وأقرب مقربيه لا يؤمنون بالديمقراطية، ويعتبرونها وكأنَّها بدعة دخيلة على الإسلام، بل يعتبرونها مرادفاً للعلمانية!!! المسؤول الإعلامي لمكتب (الملا عمر) أمير المؤمنين (المولوي احد خان) يقول:

«حكومة (أستاذ رباني) حين قامت في أفغانستان أيدها المسلمون وتفاءلوا بها خيراً لمستقبل أفغانستان، ولكنَّها ما لبثت أياماً إلاَّ وأعلنت للناس على الملأ أنَّها تريد نظاماً ديمقراطياً في أفغانستان، فهل الدماء التي أُريقت لأجل إعلاء كلمة الله تذهب ثمناً للديمقراطية؟! هل الشُّهداء الذين يفوق عددهم المليون ونصف المليون تذهب دماؤهم وجهودهم واستشهادهم وتحملهم للمشاكل والمصاعب لتأتي الديمقراطية أو العلمانية لتحكم أفغانستان؟! أكثر من مرة أعلن (أحمد شاه مسعود) للجرائد العالمية والجرائد العربية أنَّه يدافع عن الديمقراطية، وأنَّه يريد إقرار نظام ديمقراطي في أفغانستان... فرئيسة البرلمان الأوروبي أمسكت بيده، وأتت به، وعرفته على المجتمع الأوروبي بأنَّه المدافع الوحيد عن الديمقراطية، والديمقراطية معناها العلمانية، فهو يدافع عن العلمانية»[١].

(الملا عمر) يعتبر أنَّه هو مؤسس الحركة، وهو الذي سعى في

---

(١) الميزان لحركة طالبان، إعداد مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، النُّور للإعلام الإسلامي.

تكوين نواتها الأولى كما يوضّح في حديثه لأحد مراسلي وسائل الإعلام، وكالعادة لم تذكر الحركة اسم المراسل والجهة الصحفية التي ينتمي إليها...

الملا عمر يقول:

«فكرت في أن أجد أصحاباً مخلصين لله تعالى في عبوديتهم، ويكون لديهم حماس للجهاد، وتألم لحال الإسلام، لأنَّ مثل هؤلاء هم الذين يمكنهم أن يتحملوا المشاق ويصمدوا في الجهاد في سبيل الله، فقمت في البحث عنهم في طلبة العلم. وعرضت عليهم القيام بواجب تغيير المنكرات ورفع الظلم عن المسلمين. فوافقني بعضهم ورافقوني في هذا الدرب، وبدأنا العمل مباشرة، ولم نفكر في قلَّة عددنا وضعفنا، ولا حتى في الطعام الذي يلزمنا. فهناك وعد من الله تعالى لمن ينصرون دينه، بأن ينصرهم الله بقدرته»[1].

على أنَّ المسؤول الإعلامي لمكتب الملا عمر (المولوي احد خان) يعطي تفصيلات كثيرة ـ ونقلاً عن الملا عمر نفسه ـ حول كيفية تشكيل الحركة فيقول:

«أما عن كيفية تكوين هذه الحركة فنحن نذكرها لكم من كلمات أمير المؤمنين حيث يقول: كنت أدرس في مدرسة من المدارس الدينية في ولاية قندهار في منطقة (سنقي سار) وكانت المنطقة قد عمَّتها الفوضى، وانتشر فيها الخوف والنهب وقطاع الطريق وانتهاك الأعراض، ففكرت في نفسي وقلت: ماذا أستفيد من هذه الكتب

---

(١) الميزان لحركة طالبان، إعداد مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، النُّور للإعلام الإسلامي.

والدروس والإسلام مظلوم؟ وماذا أستفيد من هذا العلم الشرعي وهو لا يجد مجاله للتطبيق؟ ماذا أفعل بهذه الكتب التي أمضي أنا فيها الليالي والأيام؟ فطويت الكتب وتركتها في جانب، وتحركت في الصباح الباكر لأمرّ وأطوف على غرف الطلبة الذين كانوا يدرسون عند (المولوية) في المدارس الأهلية غير الحكومية، وفي نهار ذلك اليوم إلى المغرب استطعت أن أجد (٥٢) من الطلبة الذين وافقوني على ما آمل وعلى ما أريد، وهو إزالة الفساد الموجود في النقاط العسكرية على طول الطريق بين (هيرات) و(قندهار) وقد اتفقنا على أن نجتمع في اليوم الثاني لنتخذ بعض الخطوات العملية، ولنضع سياسة لحركتنا هذه، وماذا نفعل وكيف نقاوم؟ وهل نرسل إلى الناس الوفود؟ وهل نطلب من العلماء أن يفعلوا أي شيء تجاه هذه الأحداث؟ ولكن الأخوة الذين قد اتفقت معهم في نهار ذلك اليوم لم يطيقوا الصبر إلى الغد وجاءوني جميعاً في اللَّيل عند الساعة الحادية عشر في مسجدي وإلى مدرستي، وفي الصباح جلسنا واتفقنا على بعض الخطوات. وهي أن نرسل الوجهاء والعلماء إلى هذه النقاط العسكرية على طول الطريق بأن يخلو السبيل للمسلمين، وأن يذهبوا إلى مناطقهم آمنين، ولكنَّهم أبوا وأصروا على قطع الطريق، وأصروا على إيذاء المسلمين، وأصروا على مخالفة الشريعة وعلى إلحاق الضرر بالمسلمين وانتهاك حرماتهم. فأفتانا العلماء بأن نثور ضد هؤلاء الناس ونقاتلهم. فقاتلنا المركز الأول في تلك المنطقة، ثم لما سمع طلبة العلم والعلماء وعامة المسلمين بحركتنا هذه وقيامنا ضد هؤلاء الفجار انضموا إلينا، وزوَّدونا بالطعام والشراب، ومنهم من ساعدنا بالسلاح إلى أن توسعت هذه الحركة، واتخذنا هذه السياسة: أن نرسل إلى كل جهة وإلى كل

نقطة عسكرية وجهاء تلك المنطقة وعلمائها بأن يخلوا سبيل المسلمين ويمرّوا بأمان وسلام، فمنهم من كان يقبل كلامنا ويترك الطريق، ومنهم من كان يصرّ ويلح على بقائه مهما ترتب على بقائه من المفاسد، فما كان أمامنا إلاّ أن نقاتل هؤلاء الناس، فقاتلناهم إلى أن وصلنا إلى مشارف مدينة قندهار، وحين وصلنا انضم إلينا قادة المجاهدين الذين كانوا في ولاية قندهار عندما عرفوا حقيقتنا ودفاعنا عن الإسلام، وعن توفيرنا الأمن للمواطنين، فانضموا إلينا وسلموا إلينا أسلحتهم وإمكانياتهم الحربية، وبعد ذلك اتجهت الحركة إلى الحدود بين مدينة قندهار وباكستان لأنَّ هذا الطريق أيضاً كان يسيطر عليه هؤلاء الفجار، وعاد مجاهدو الحركة لمقاومة الفساد والفساق الذين آذوا المسلمين على طريق (بولدك) و(قندهار) ففي الطريق كان القتال العنيف والمصيري الذي انهزم فيه اتحاد وتحالف المنتسبين للمنظمات الجهادية، فانهزمت في عصر ذلك اليوم وولت هاربة إلى مناطق بعيدة وإلى الأرياف، واختفت في الجبال، وفتحت مدينة قندهار، ولم يحدث في المدينة حرب، واستقبل الناس (طالبان) لأنَّهم طلبة العلم الشرعي، وفيهم العلماء والمشايخ، وفيهم من يثقون بدينهم، فرحبوا بنا، وسلموا لنا أُمور المدينة، وبعد ذلك أرسلت الحركة وفداً إلى (ولاية زابل) للتفاهم معها، وإلى ولاية (غزني وأرزقان) وهكذا إلى الولايات المجاورة. فمنهم من رضي أن ينضمّ إلى (طالبان) ويسلِّم كل الأُمور لهم، وليس انضمام تنظيم إلى تنظيم، وإنَّما يترك كل شيء لطالبان. والذين أصرّوا على البقاء في الحكم ما كان أمام الحركة إلاَّ أن تزيح هؤلاء الناس عن طريق الحرب والقوَّة. فهكذا نشأت وتوسعت الحركة في الولايات الأفغانية. وانضم إليها

المجاهدون الذين كانوا قد تركوا أسلحتهم خوفاً من الدخول في فتنة الحرب الأهلية»[1].

وهنا لا نريد مناقشة كيفية نشوء الحركة بقدر ما نريد أن نوضح أنَّ (الملا عمر) يعتبر نفسه صاحب الشأن الأول والأخير في الحركة، وأنَّه مؤسسها ومطلق فكرتها، وبالتالي فهو قائدها لأنَّ نشوء الحركة ناقشناه في الفصول السابقة. ولذلك نكتفي بالإشارة إلى رواية (المفتي نظام الدِّين) عميد (كلية الحديث بجامعة العلوم الإسلامية) في (كراتشي) وهو أحد كبار علماء طالبان، وأحد العلماء الذين درس عليهم كثير من الطالبان. يقول نظام الدِّين:

«أقول كانت أرض أفغانستان تحوي (٧) أحزاب اختلفوا بعد الجهاد ضد الروس، وجرت بينهم الحروب المدمرة، ولم يأت وللأسف من الأُمَّة الإسلامية من يطبِّق الشريعة على هذه الأرض، فكثر الفساد وقطاع الطريق والشرك، فطالب الناس بتحكيم الشريعة، فأتى (مجددي) لمدة شهرين، ولم يطبق الشريعة، ثم أتىٰ (رباني) وكان قريباً من أخيه لمدة أربعة أشهر.

ثم فكَّر العلماء في حل هذه المشكلة، فأرسلوا هؤلاء الطلبة منهم (ملا محمد عمر) وهم طلاب علم كانوا في باكستان وكانوا مجاهدين وبدأوا من (بولدك) وطبقوا الشريعة عندهم، ففعلوا ولم يريدوا الحكم من البداية، ولكن أشار عليهم العلماء أن تولوا الحكم، وولوا عليكم (ملا محمد عمر) ففعلوا. هؤلاء هم (الطالبان) ولا

---

(١) الميزان لحركة طالبان، إعداد مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، النُّور للإعلام الإسلامي.

أزكي على الله أحداً وفيهم أخطاء لا شك، لكنَّهم يقبلون النصح، وإنَّهم مجموعة درسوا في جامعتنا، ولا زال الكثير منهم يدرس في جامعتنا»[1].

فحسب رواية (نظام الدِّين) فإنَّ الحركة من بنات أفكار علماء باكستان، وهم أساتذة (الملا عمر) وبقية قيادات (حركة طالبان) وهم الذين أشاروا على تلك القيادات تولية (الملا عمر) وجعله قائداً، وهذا ما يتنافى مع رواية (الملا عمر) نفسه الذي يقول فيها:

«جلست وفكرت ورأيت أنَّ الدرس لا يغير، وكذلك الكتاب ما دام البلد غارق في الفساد، والشعب الأفغاني يعاني، ففكرت في التحرك، وتحركت على علماء مجاهدين». إلى آخر الرواية التي أشرنا إليها.

من يرى أنَّه وحده المالك للحقيقة، كما هو حال (الملا عمر) بل وعموم قيادات وأساتذة طالبان، يصاب بالتحجر وعدم استيعاب الآخر، وهذا يفسر موقفهم من أتباع المذهب الشيعي، وأتباع المسيحية، فالشيعة ـ في نظرهم ـ كفرة ومنحرفون. والمسيحيون هم صليبيون محاربون. وكلا الطرفين يوجب الفقه الطالباني قتلهم والتخلص منهم.

يقول (الملا محمد حسن) والي قندهار نائب (أمير المؤمنين) أي الرجل الثاني بعد (الملا عمر) في الحركة، في جواب له على سؤال حول موقف الحركة من الشيعة:

---

(١) المصدر السابق.

«هم ـ أي الشيعة ـ مخالفون للإسلام وهم قليل هنا. ونحن لا نريدهم، فهم يعملون أعمال الكفار واليهود، ويقولون نحن مسلمون، حتى إنّي ذهبت إلى إيران فقال لي صاحبي الذي معي أنظر إلى الإسلام. فقلت له: أين الإسلام؟؟ هؤلاء يدّعون ويزعمون الإسلام وليس عندهم شيء منه، ويزعمون أنَّهم يسعون لتطبيق الإسلام ويبنون المساجد، وليس عندهم شيء لله»[1].

فالرجل لم يقل أنَّ الإيرانيين يتظاهرون بالإسلام أو ما شابه ذلك أو من قبيل ذلك بحيث يضفي بعضاً من المصداقية على كلامه، إنَّما شطب الواقع بشكل مثير حقاً. إذ لا يمكن حتى لأعداء إيران أن ينكروا المظاهر الإسلامية في هذ البلد، وفي سلوك شعبه وممارساته العبادية، فعلى الأقل هناك مساجد يؤمها المصلون في أوقات الصلاة، فليس من المعقول القول إنَّه ليس عندهم شيء!! حتى وجود مظاهر إسلامية!!

وبسبب هذا التكوين الفكري والعقائدي لقيادات الطالبان وعلى رأسهم (الملا عمر) فإنَّ معايير المواطنة ومفهوم الشعب والأُمَّة عندهم لها دلالات خاصة، تلغي وتقصي كل من لا يوافقهم أفكارهم وعقائدهم، أما إنَّ هذه الشريحة أو تلك الجماعة عاشت في هذه الأرض لآلاف السنين واشتركت مع باقي شرائح الشعب الأفغاني في أتراحه وأفراحه، وسالت دماؤها مع دماء بقية مكونات هذا الشعب دفاعاً عن أفغانستان فهذه لا معنى لها في معايير طالبان!

---

(١) الميزان لحركة طالبان، إعداد مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، النُّور للإعلام الإسلامي.

هذه الكينونة الفكرية للطالبان تفسّر المجازر التي اقترفتها الحركة بحق (الشيعة الهزارة) أو بحق (الأزبك) في (باميان) وفي المحافظات الشمالية، لأنَّ هؤلاء الشيعة ـ وحسب قول نائب (الملا عمر) ـ غير مرغوب فيهم هنا في أفغانستان، وينظر إليهم ككفار أو خونة!

* * *

خلاصة البحث

عندما سيطرت (حركة الطالبان) على العاصمة (كابول) لم تكن مهيأة لإقامة حكومة تحكم الشعب. في البداية لقيت ترحيباً نسبياً من أبناء الشعب الأفغاني لأنَّها تمكنت من السيطرة على الأوضاع الأمنية، ووضعت حداً لأعمال قطاع الطرق وجرائمهم بعد أن نشطوا إبان فترة حكومة المجاهدين إلى حدٍّ كبير.

استقبلت (قبائل البشتون) حكومة طالبان وباركتها، لأنَّ السلطة انتقلت إلى البشتون، إضافة إلى أنَّ هذه القبائل تخلَّصت وارتاحت من جور قادة المجاهدين المحليين. لكن الأمر يختلف بالنسبة إلى المناطق التي كانت تسكنها غالبية (الهزارة) و(الأزبك) و(الطاجيك) في الشمال، فهم إمَّا لم يقبلوا بالطالبان حتى آخر لحظة من سيطرتها على الحكم، وكانوا في نزاع مرير ودائم معها، أو أنَّهم استسلموا للحركة بعد معارك طاحنة وخسائر فادحة ألحقتها بهم قوات الحركة.

ورغم أنَّ (حركة الطالبان) بسطت سيطرتها على أغلب الأراضي الأفغانية، إلاَّ أنَّها كانت تفتقر إلى برنامج واضح لحكومة مستقرة في البلاد، ناهيك عن سلوك وتصرفات أفرادها مع أبناء الشعب الأفغاني وخصوصاً مع النساء، فكانت تصرُّفاتهم مع هذه الشريحة من الشعب مزرية ومهينة إلى حدٍّ كبير.

إلى ذلك خلطت (الطالبان) بين العصبيات القومية البشتونية والعقائد الدينية، وقدمتها باعتبارها مبادىء وأسس الحكومة الإسلامية أو بتعبير الحركة نفسها (الإمارة الإسلامية).

ويعتقد عدد من المحللين وخبراء الشأن الأفغاني أنَّه كما ترسخت الأفكار الوهابية بواسطة سفراء بريطانيا في بعض الدول العربية؛ فإنَّ أفكار (حركة الطالبان) أيضاً قد صنعت وترسخت بين البدو البشتون بواسطة سفير بريطانيا في (إسلام آباد) ويعتقد هؤلاء الخبراء أنَّ الكثير من أتباع الحركة لا يعرفون الأُصول والتعاليم الإسلامية الصحيحة، لأنَّهم ظهروا فجأة من القرى والأرياف الأفغانية، وكان معظمهم أميّون.

وفيما يخص الدعم الخارجي للحركة تعتبر تصريحات رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة (بي نظير بوتو) دليلاً دامغاً على ذلك، فبوتو في إجابتها عن سؤال مراسل قناة الـ(بي. بي. سي) عن أسباب دعم باكستان لحركة طالبان الرجعية قالت:

«لم تكن باكستان وحدها في هذا الدعم، فالمشروع هو من تخطيط الإنجليز، وتبَّنته أمريكا وتولت تنفيذه، فيما تحملت الدول العربية المطلة على الخليج الفارسي تكاليفه ونفقاته، وإنَّ باكستان قامت بتدريب أفراد الطالبان فقط».

وكانت هذه التصريحات التي كشفت حقيقة مشروع حركة الطالبان، من الخطورة والحساسية أن أدَّت إلى سقوط حكومة بوتو.

على أيِّ حال، فمنذ سيطرة (حركة الطالبان) على العاصمة

(كابول) وحتى انهيار نظامها ظلت (باكستان) أقرب المقربين وأكثر الداعمين لها.

ولكن رغم هذا الدعم الكبير الذي كانت تقدمه (باكستان) للحركة الطلابية، إلاَّ أنَّ السلطات الباكستانية لم تحقق ما كانت تصبو إليه من هذا الدعم، فعلى سبيل المثال كانت (باكستان) قد وعدت (أمريكا) بتشكيل حكومة بشتونية موالية للغرب بقيادة (الملك السابق ظاهر شاه) من خلال حركة الطالبان، كما وعدت بفتح طريق تجارية إلى آسيا الوسطى لتحصل على كل تلك الأرباح التي تدرّها التجارة العابرة، وكل ذلك لم يتحقق. كما إنَّ المساعدات المالية التي قدمتها كل من: السعودية والإمارات العربية للطالبان، لم تؤد إلى تحقيق منافع لهذه البلدان وحسب، بل أضرت بهذين البلدين وبمكانتهما في الأوساط الدولية، إضافة إلى أنَّ الذين تلقوا هذه المعونات أضروا بالأمن السعودي وخلقوا مشاكل داخلية للسعودية نفسها.

كانت (حركة طالبان) تؤكد على توحيد قبائل البشتون، لكن العناصر التي شاركت في تركيبتها الحكومية فضلاً عن طلاب المدارس الدينية في باكستان وأفغانستان، كانت خليطاً من عناصر الحزب الشيوعي الأفغاني السابق، إلى جانب ضباط المخابرات الباكستانية البشتون في الجيش الباكستاني. ومن الطبيعي أنَّ هذا الخليط غير المتجانس غير قابل للاستمرار، وبالتدريج وقع في مأزق التناقض في التعاطي مع المجتمع الأفغاني.

وعلى الصعيد الدولي، أصيبت الحركة بنكسات شديدة، فبالرغم من الاعتراف المبكر لباكستان والسعودية والإمارات بحكومة طالبان

إلاَّ أنَّ أياً من دول العالم لم تعترف بحكومة الحركة حتى سقوطها، لأنَّها كانت تلاحظ أساليب القسوة والعنف التي تتعامل بها الحركة مع الشعب الأفغاني، إضافة إلى دعمها لزراعة المخدرات، وعدم قبولها للأُصول والقوانين الدبلوماسية في الأوساط الدولية. وهذا ما ساعد على سقوطها وانهيار نظامها، وظهور ردود فعل دولية سلبية تجاهها.

* * *

الفصل الرابع

الأسباب الداخلية لسقوط حركة الطالبان

- ضعف القيادة والانقسامات الداخلية
- الانهيار العسكري للطالبان
- دور قوات التحالف الشمالي المعارض في هزيمة الطالبان

مدخل

مثلما ظهرت (حركة الطالبان) على المسرح السياسي الأفغاني بشكل مفاجيء، فإنَّها سقطت بصورة مفاجئة أيضاً. فبعد شهرين من الهجوم على برجي التجارة العالمي في (نيويورك) بدأ الهجوم العسكري الأمريكي ـ البريطاني على أفغانستان، بعدما رفضت (حركة الطالبان) تسليم (بن لادن) للسلطات الأمريكية، فأمريكا ادعت أنَّ (تنظيم القاعدة) الذي يقوده (بن لادن) كان وراء أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م، وطالبت (حركة الطالبان) بتسليمه لأميركا، لكن الحركة بدورها طالبت (أمريكا) بتقديم أدلة ووثائق تثبت تورط (بن لادن) في هذه الأحداث، ورغم أنَّ (أمريكا) لم تقدم أي دليل مقنع يثبت ادعاءاتها تلك، شنَّت هجومها العسكري واسع النطاق على أفغانستان[١].

وفي الأسبوع الثاني للعمليات الحربية الأمريكية في (أفغانستان)

---

(١) في الساعة ٨,٢٠ ليلاً بتوقيت العاصمة (كابول) من يوم الأحد السابع من تشرين الأول عام ٢٠٠١م أقلعت المقاتلات الأمريكية من حاملة الطائرات المستقرة في (بحر عمان) وقاذفات القنابل من (جزيرة ديبوغارسيا) الواقعة في المحيط الهندي، وأغارت على منطقة (جلال آباد) الجبلية الواقعة في محافظة (تنكرها) وقصفتها بالقنابل والصواريخ. وفي نفس الوقت سمع صوت مهيب لخمسة وعشرين انفجار! على أقل تقدير في العاصمة (كابول) تسببت في قطع التيار الكهربائي عنها.

أعلن المسؤولون في وزارة الدفاع الأمريكية أنَّ بعض وحدات القوات الخاصة الأمريكية المتشكلة من: مغاوير القوات البرية، وأصحاب القبعات الخضر، والوحدة المعروفة بالخنازير البحرية (Seals) والمارينز، وقوات مكافحة الإرهاب (الدلتا) قد دخلت الأراضي الأفغانية[1]. علماً أنَّ بعض وحدات الجيش الأمريكي الخاصة كانت قد استقرَّت في شمال أفغانستان بصورة سرّية قبل الهجوم الجوي والصاروخي على أفغانستان.

وبدعم من هذه القوات تمكنت (قوات التحالف الشمالي الأفغاني) من السيطرة على عدد من المدن الأفغانية ومنها: مدينة مزار شريف، وإخراج قوات الطالبان منها.

وعلى أثر اشتداد الهجمات التي تعرَّضت لها قوات الطالبان؛ تراجعت إلى المدن الجنوبية، وتمركزت في (قندهار).

وفي المرحلة الثانية من العمليات العسكرية التي تحمل اسم (ثبات الحرية) استقرت (قوات المارينز الأمريكية) بالقرب من مدينة قندهار، ووفَّرت هذه القوات غطاءاً ودعماً للهجوم البري لقوات تحالف الشمال الأفغاني المدعوم بالغطاء الجوي الأمريكي على مدينة قندهار. وبعد شهرين من بدء الهجوم (الأمريكي ـ البريطاني) على أفغانستان، بدأت (قوات الطالبان) تسلِّم نفسها بالتدريج، بينما توارت قياداتها إلى جهات مجهولة.

السؤال الرئيس الذي يطرح نفسه هنا هو: إنَّ (حركة الطالبان)

---

(١) فيروز أفضلي، شاهين، الاعتداء الأمريكي على أفغانستان، دار آذينة كل مهر (طهران: ٢٠٠٣م) ص٣٢.

التي تدَّعي أنَّها تجاهد الكفار، فلماذا توارت أمام الهجوم (الأمريكي ـ البريطاني) على أفغانستان، ولم تبد أية مقاومة تذكر.

ثمَّ إنَّ الحرب الأمريكية في أفغانستان لم تكن حرباً عادية، أي لم تكن حرباً كلاسيكية بين جيشين نظاميين، كما ينعدم فيها التكافؤ في القوَّة العسكرية بين الأطراف المتحاربة، حيث تفوق القوات المهاجمة (قوات الطالبان) بمرات كثيرة من ناحية العدد ومن ناحية الأسلحة المتطورة جداً التي تستخدمها القوات المهاجمة، فهل (حركة الطالبان) لم تكن قد قدّرت حجم قوتها العسكرية، وحجم القوَّة العسكرية (الأمريكية ـ البريطانية) بشكل دقيق؟

من جانب آخر، لا بدَّ من الأخذ بنظر الاعتبار أنَّ (حركة الطالبان) هي حركة عقائدية تنظر إلى الربح والخسارة في الحرب بمنظور آخر. وانطلاقاً من هذه الرؤية ليس أمامها إلاَّ خيار مواجهة الهجوم العسكري (الأمريكي ـ البريطاني) فهل أعدَّت الحركة الطالبانية نفسها لحرب عصابات بعد الهزيمة العسكرية؟

لنفترض أنَّ (حركة الطالبان) كانت تعرف مسبقاً بخسارتها أمام الحملة العسكرية (الأمريكية ـ البريطانية) وفي ظل هذا الافتراض يبرز السؤال التالي وهو:

إذا كان هذا الافتراض صحيحاً إذاً لماذا امتنعت الحركة عن تسليم (بن لادن) وعن سدّ المراكز التدريبية للقاعدة حينما طالبت الولايات المتحدة بذلك؟

وهل هناك أسباب خاصة لسقوط (حركة الطالبان) داخلية وخارجية؟

وفي مثل هذا الحال يجب الأخذ بنظر الاعتبار أنَّ (الطالبان) كانت مجموعة عقائدية لها عقائدها الخاصة، ولم تكن تنظر إلى محيطها الخارجي نظرة واقعية، إنَّما كانت تنظر من زاوية متبنيّاتها العقائدية تلك، ولذلك فإنَّ دور القيادة، والتكتيكات العسكرية غير المجدية يمكن اعتبارها من العوامل الداخلية لسقوط الطالبان التي يمكن مناقشتها، وهي:

* * *

ضعف القيادة والانقسامات الداخلية

تمكنت (حركة الطالبان) خلال فترة أكثر من أربع سنوات (من عام ١٩٩٤ وحتى عام ١٩٩٨م) من بسط سيطرتها ونفوذها على أغلب مناطق أفغانستان، لكنَّها اندحرت خلال مدة قصيرة نسبياً أمام الحملة العسكرية (الأمريكية ـ البريطانية) على أفغانستان، فما هو السبب؟

عندما كانت (الحركة الطالبانية) تفرض سيطرتها على أفغانستان، كانت تحظى بدعم وحماية الأكثرية البشتونية في هذا البلد. أما بقية الأفغان فكانوا لا يؤيدون إسلام الطالبان المتعصب، لكنَّهم كانوا راضين عن الحالة الأمنية التي وفرتها الحركة في البلاد، ومع التراجع التدريجي للدعم الخارجي للحركة تغيَّرت الظروف الداخلية أيضاً، وبعد هذه التغيرات تصدَّعت الجبهة الداخلية للطالبان كما يتضح الآن:

١ ـ الاختلافات بين المجموعات البشتونية:

أكثر قيادات الطالبان من ناحية الارتباط بالمجموعات الجهادية كانت ترتبط بثلاث مجموعات هي: الحزب الإسلامي بقيادة مولوي خالص، وحركة الثورة الإسلامية بقيادة مولوي محمدي، وحركة الثورة الإسلامية بقيادة مولوي نصر الله منصور. لكن عندما وصلت (حركة

الطالبان) إلى الحكم لم تعترف بأيّ واحدة من هذه المجموعات بشكل رسمي، حتى (خالص) و(محمدي) اللذان كانا يتحدثان عن دعمهما لحركة الطالبان.

كان (الملا عمر) يعتقد أنَّه إذا وقف أحد قادة المجموعات البشتونية إلى جانبه فسوف يؤدِّي ذلك إلى إضعاف أو إنهاء سطوته وتفرّده بالسلطة، وكان يحتمل أيضاً أنَّ (القوات الطالبانية) غير الراضية عنه يمكن أن تلتف حول هذا الشخص المنافس.

(حكمتيار).. أحد القيادات البشتونية المعروفة قد سعى إلى التقرب من (حركة الطالبان) وإلى ضم قواته لحركة الطالبان في مواجهة التحالف الشمالي عندما سيطرت الحركة على أفغانستان، إلاَّ أنَّ هذه الحركة كانت تعتقد أنَّ (حكمتيار) لم يكن يهدف إلى تقديم الدعم والحماية للإمارة الإسلامية، وإنَّما كان يريد ضم قواته إلى قوات الطالبان لينقضَّ على الحركة في الوقت المناسب[١].

فعلى سبيل المثال يمكن الإشارة إلى مصير (بشير بغلاني) أحد قيادات حكمتيار المعروفين، فبغلاني قدَّم خدمة كبيرة لحركة الطالبان من أجل السيطرة على محافظات شمال أفغانستان، لكن قيادات الطالبان بعد هذه الخدمة؛ جرَّدته من السلاح واعتقلته. ولهذا السبب امتنع (حكمتيار) عن التعاون مع حركة الطالبان، في حين أنَّ (حكمتيار) كان أفضل من تتعاون معه الحركة، لانتمائه القومي، أي

---

(١) مجده، وحيد، أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان، دار ميوند (كابول: ٢٠٠٢م) ص١٥١.

انتمائه إلى (البشتون) الذين تنتمي إليها الحركة الطلابية، ولعلاقته السياسية والعسكرية المتميزة مع (باكستان) التي تدعم (الطالبان).

أبدى (حكمتيار) استعداده أيضاً للتعاون مع (حركة الطالبان) بدون أي قيد أو شرط بعد أحداث الحادي عشر من أيلول والهجوم على برجي التجارة العالمي في نيويورك، لكن (الطالبان) لم تتجاوب معه، ورفضت عروض التعاون التي تقدَّم بها للحركة.

٢ ـ امتناع العشائر البشتونية عن تقديم الدعم الكامل للطالبان:

يعتقد بعض المحللين أنَّ (حركة الطالبان) خلال فترة حكمها في أفغانستان أخفقت في كسب دعم أكثرية البشتون، بينما كانت (الطالبان) تعتبر نفسها ممثلة للقومية البشتونية[١].

(الطالبان) كانوا يدَّعون أنَّهم حماة المصالح البشتونية في مواجهة (أحمد شاه مسعود الطاجيكي) وبقية سائر القوميات الأُخرى، لكن هذا الادعاء قابل للنقاش، لأنَّه كان في الجبهة الشمالية (بشتون) يعارضون الطالبان، وفي مناطق الجنوب أيضاً كان المفكرون المتنورون يعارضون أفكار الطالبان. ويضاف إلى ذلك أنَّ قوام قوات الطالبان يتشكل أساساً من (قبيلة الدراني) حيث يمكن أن يعدّ هذا العامل في عداد العوامل الأُخرى التي ساهمت في سقوط (حركة الطالبان) وإزاحتها عن السلطة.

أحد الأسباب المهمة لسقوط (حركة الطالبان) السريع إذاً، هو

---

(١) يعتبر (الطالبان) أنفسهم في بعض الأحيان ممثلين عن القومية البشتونية، وفي أحيان أُخرى يقدمون أنفسهم على أنَّهم ممثلين عن الخط الفكري الإسلامي من أجل تشكيل حكومة ذات أهداف عالمية.

عدم حمايتها واحتضانها من قبل قبائل البشتون، فالطالبان هم طلاب العلوم الدينية من الشبان الذين تنقصهم الخبرة العسكرية والقتالية في الحرب، في حين أنَّ أحد عوامل بقاء القبيلة هو وجود أهل الخبرة ورؤساء العشائر[١]. (أمريكا) عندما هاجمت (أفغانستان) سعت إلى استقطاب مثقفي وليبراليي قبائل البشتون، وقد انتخبت قائداً أفغانياً بعد سقوط الحركة الطلابية من بين هؤلاء المثقفين، فحامد قرضاي (كرزاي) لم يكن الخيار المفضل لأمريكا، لكن أريد من تعيينه تقسيم البشتون لحملهم على التخلي عن دعم الطالبان، والاختلاف معها لأنَّ (قرضاي) ينتمي إلى قوم (بوبلزي) ومن قبيلة (السدوزهي).

٣ ـ ضعف قيادة الطالبان:

أقامت (حركة الطالبان) حكومتها في البداية على الإجماع، وكان (مجلس الطالبان) في (قندهار) قد ادعى أنَّه سوف يقيم حكومة إسلامية على غرار ما كان في صدر الإسلام، ولذلك كان رؤساء القبائل يشاركون في اتخاذ القرار بشأن الموضوعات المهمة[٢].

---

(١) مع هذا يجب الالتفات إلى أنَّه عندما أعلنت (أمريكا) نواياها بمهاجمة (أفغانستان) أعلن الآلاف من الباكستانيين في المناطق القبلية استعدادهم للذهاب إلى أفغانستان والمشاركة في الجهاد ضد أمريكا، حيث ذهب أكثر المقاتلين العرب والباكستانيين إلى جبهات أفغانستان الشمالية، وكانت مشكلة هؤلاء المقاتلين هي أنَّهم لا يعرفون المنطقة التي يحاربون فيها، ولهذا لم يتمكنوا من مقاومة القصف الجوي المكثف للمقاتلات الأمريكية، حيث فتكت بهم وألحقت بهم خسائر فادحة.

(٢) من بين الأعضاء الأصليين العشرة لمجلس اتخاذ القرار الأعلى في (قندهار) كان ستة أشخاص من البشتون الدراني. وفيما يخص تشكيلات السلطة كان يوجد مجلسان يسميان (المجلس العسكري) و(مجلس كابول) الذي يضم أعضاء حكومة كابول، وكلا المجلسين يحولان القضايا إلى (مجلس قندهار) حيث تتخذ القرارات النهائية هناك، وبهذا تكون عملية اتخاذ القرار عملية مطولة.

وكانت اجتماعات القيادات العسكرية والمولويين المشتركة تستمر أحياناً من الصباح حتى المساء، حتى يتخذ (الملا عمر) القرار المناسب في النهاية. وبسبب هذه التعقيدات في اتخاذ القرار اضطرت (حركة الطالبان) إلى تغيير الآلية بعد سيطرتها على العاصمة كابول عام ١٩٩٦م. وذلك بتركيز السلطة بيد دكتاتور خفي لا يمكن الوصول إليه[١]. وعندما قويت قبضة (الملا عمر) على السلطة؛ عزل نفسه، وامتنع عن اللقاء بالناس. وأثر ذلك غيَّر الطالبان سياستهم نحو الانفراد بالسلطة دون السماح لمشاركة المجموعات الأفغانية الأُخرى، حيث كانوا يعتقدون أنَّهم أصبحوا من القوَّة والسطوة بحيث يتمكنون من بسط سيطرتهم على كامل الأراضي الأفغانية.

كان (الطالبان) ينصبون أفرادهم في المراكز الحساسة مثل: المحافظ، ومدير البلدية، ورئيس الشرطة وغيرها من المراكز المهمة في المدن البشتونية مثل: مزار شريف وهرات، دون أي اعتبار للتخصص والكفاءة، فأكثر هؤلاء الذين نصبوا في هذه المناصب الحساسة لا يستطيعون التحدث باللغة الرائجة في تلك المناطق أي اللغة الدرّية. كما تحجم دور مجلس قندهار في اتخاذ القرارات المصيرية، وتمركزت السلطة بيد (الملا عمر) كما أسلفنا، فهو وحده يتخذ هذه القرارات المصيرية.

يوضح (وكيل أحمد متوكل) أحد قيادي (حركة الطالبان) هذه المسألة قائلاً:

---

(١) رشيد، أحمد، الطالبان والمرأة والتجارة والمافيا وقضية النفط الكبرى في آسيا الوسطى، دار بقعة، ترجمة نجلة خندق (طهران: ٢٠٠٢م) ص٢٠٠.

«ترتكز القرارات التي تتخذها الحركة إلى رؤية ونظر أمير المؤمنين، فنحن لا نحتاج إلى الشورى، ونعتقد بأنَّ هذا الأمر مطابق للشريعة، نحن نمضي وفق رؤية وخط أمير المؤمنين حتى وإن كان ينفرد في رؤيته وخطه. سوف لا يكون هناك رئيس للحكومة، وسوف يكون أعلى منصب لـ(الملا عمر). والحكومة لا تستطيع أن تنفذ أو تجري أي حكم لا يوافق عليه هو»[1].

وفي عام ١٩٩٨م اعترض (الملا رباني) ـ الذي كان رئيس مجلس كابول وحاكم المدينة ـ على هذه الآلية في اتخاذ القرارات المهمة، أي على استفراد (الملا عمر) في اتخاذ هذه القرارات لأنَّ بعض قراراته المهمة كانت ترفض من قبل (الملا عمر) وهذا ما أدَّى إلى ذهاب (الملا رباني) في إجازة طويلة، وحتى أشيع أنَّه اعتقل[2].

عندما بدأ الهجوم العسكري الأمريكي على أفغانستان كان (الملا عمر) هو القائد الفعلي رسمياً لكل القوات الطالبانية، ومع اشتداد القصف الجوي الأمريكي على (قندهار) غيَّر (الملا عمر) محل إقامته، كما أنَّه امتنع عن الارتباط بالقيادات العسكرية الطالبانية عن طريق الهاتف لئلا تكشف القوات الأمريكية مكان إقامته واستهدافه، وبذلك انقطع كلياً عن تلك القيادات العسكرية، في حين أنَّ هذه القيادات لا تقوم بأيّ عمل إلاَّ بأمر منه[3].

---

(١) رشيد، أحمد، الطالبان والمرأة والتجارة والمافيا وقضية النفط الكبرى في آسيا الوسطى، دار بقعة، ترجمة نجلة خندق (طهران: ٢٠٠٢م) ص٢١١.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٢.

(٣) (وحيد مجده) الذي كان مسؤولاً في حكومة الطالبان ينقل في كتاب (أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان) أنَّه عندما بدأ الهجوم الأمريكي على أفغانستان كان (الملا نور) قائد منطقة الشمال في أفغانستان يصرخ في اللاسلكي بأنَّنا نقصف من :

٤ ـ أيديولوجية حركة طالبان:

إحدى العوامل التي أدَّت إلى انهيار (حركة الطالبان) السريع يرجع إلى عقيدة الحركة وكيفية إجرائها الأحكام الإسلامية في أفغانستان، فتفسير الطالبان للإسلام والجهاد، ونظرتها إلى المجتمع تختلف عن تفسير ورؤية أكثرية أبناء هذا المجتمع في أفغانستان، فالطالبان لا يقبلون أي تفسير للإسلام غير تفسيرهم وفهمهم. فعقائدهم لا تشبه عقائد المجموعات الإسلامية مثل: حركة الإخوان المسلمين، ولا تشبه عقائد الاتجاهات الصوفية، ولا تشبه حتى الإسلام الشعبي المعتدل الذي يؤمن به أكثر الأفغان. كما إنَّ المعتقدات الطالبانية لم تدوّن في أي كتاب[١].

ولذلك لم يبق أي طريق لمعرفة أفكار الطالبان وعقائدهم غير ممارساتهم وأعمالهم على أرض الواقع خلال فترة حكمهم. فالطالبان مثلاً أصدروا أوامر أعلنوا فيها مقدار طول لحية الرجل، كما أعلنوا قائمة بأسماء محددة تطلق على الولادات الجديدة دون غيرها من

الجو، خطوط الجبهة في منطقة مزار الشريف تتعرض للهجوم. وفي داخل المدينة بدأت المعارضة تتحرك، يجب أن يقول لي الملا عمر ماذا أفعل؟ (الملا اختر محمد عثمان) أجابه بعد المشورة بأنَّك أعلم بالظروف، فإذا كانت المشاكل عديدة اتخذ القرار المناسب بعد المشورة مع الآخرين، ولكن (الملا نور الله) قال: يجب أن أتكلم مع شخص (الملا عمر) وأخذ منه الأمر شخصياً حتى لا أتهم بعد ذلك مثل (الملا محمد غوث) بالجبن والخيانة.

(١) حركة الطالبان كانت تفتقر إلى العمق والباع الطويل في مسائل تاريخ الإسلام والقرآن والشريعة والفكر السياسي، فمعلومات الطالبان في هذه المجالات سطحية، في حين إنَّ أكثر المجموعات الإسلامية المشهورة بالتطرف لديها كتابات نظرية مدوّنة حول أفكارها وعقائدها.

الأسماء. ثم إنَّ (الطالبان) بعد أن قاموا بتعطيل مدارس البنات الحكومية، أقدموا على إغلاق بعض المدارس العائلية في كابول التي أقامها الناس للتعويض عن تلك المدارس التي عطلها الطالبان، وأعلن هؤلاء أيضاً أنَّ الاستفادة من أي جهاز تصوير أمر غير مسموح به، ولذلك اعتبروا الاستفادة من التلفزيون والفيديو حرام، كما أجبرت (شرطة الطالبان الدينية) النساء على عدم الخروج في الشارع إلاَّ مع أحد محارمها، وحرموا النساء من حق العمل في دوائر الدولة.

وإلى ذلك، كان (الطالبان) لا يثقون بالمؤسسات والمنظمات الدولية، فكانوا يشكّون في عمل هذه المؤسسات التي كانت تقدم المساعدات للشعب الأفغاني، وكانوا يمارسون الضغوط على هذه المؤسسات ويضايقونها بهدف حملها على الخروج من أفغانستان.

كانت عقيدة (الطالبان) وممارساتهم غريبة عن عقائد وعادات المجتمع الأفغاني، إذ ليس لها أي جذور في واقع هذا المجتمع وتاريخه، ولكن رغم ذلك كان (الطالبان) يفرضون على هذا المجتمع حكماً يستند إلى معتقداتهم وتفسيراتهم للإسلام مصدّقين بأنَّ أعمالهم هذه صحيحة، ولا تسبب ردَّة فعل يمكن أن تطيح بهم.

أسباب تحجر الطالبان:

أ ـ محيط المجتمع القروي الذي نشأت فيه الحركة، والذي تحكمه عادات وتقاليد بعيدة كل البعد عن عادات وتقاليد مجتمع المدينة.

ب ـ طريقة التدريس والتعليم في المدارس الدينية لجماعة علماء الإسلام، فالأفكار التي تدرَّس في هذه المدارس هي خليط من

تقاليد البشتون القبلية والعصبية، ومن أفكار المدرسة الديوبندية المتطرفة.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أنَّ هذه العقيدة والأفكار المتحجرة والسطحية لحركة الطالبان تعتبر سبباً أساسياً من الأسباب الداخلية لسقوط الحركة، ذلك أنَّ أغلبية الشعب الأفغاني لم تدافع عن هذه الحركة عندما تعرضت للهجوم العسكري الأمريكي، ولم تهبّ لنصرتها، بل على العكس تماماً كانت هذه الأغلبية تتمنى التخلص من هذه الحركة ومن أفكارها المتطرفة.



الانهيار العسكري للطالبان

بعد (٢٦) يوماً من الهجوم على برجي التجارة العالمي في نيويورك، بدأت أمريكا حملتها العسكرية على أفغانستان تحت اسم (ثبات الحرية). وبعد (٣٣) يوماً من الحملات الجوية الشديدة ظهرت آثار الانكسار على (قوات حركة الطالبان) المستقرة في الجبهات الشمالية لأفغانستان، كما إنَّ القصف المتواصل والمكثف بواسطة طائرات الـ(٥٢ ـ B) العملاقة من جهة، والتحرك العسكري لقوات الجبهة الشمالية المعارضة للطالبان من جهة أُخرى، أدَّى إلى انسحاب (الطالبان) من مدينة (مزار شريف)[١].

استمرار الحملات العسكرية على هذه الوتيرة من الشِّدَّة والكثافة، أدَّى إلى انسحاب (قوات الطالبان) من إحدى عشرة محافظة في الشمال والوسط، والتراجع إلى المناطق الجنوبية، حيث انتشروا في المحافظات البشتونية، مثل: قندهار وهلمند وكندوز (قندوز) وفي مرتفعاتها، هذا الارتباك الواضح في أداء (قوات الطالبان) أمام

(١) قررت القيادات العسكرية الطالبانية في (مزار شريف) الخروج من المدينة بعد المشورة بينها، فهذه القيادات تعرضت لضغط الحملات الجوية، وكانت قلقة من احتمالات انقضاض أهالي المدينة عليها لأنَّ أغلبهم من الشيعة، وفي هذه الأثناء علم (الطالبان) أنَّ مدينة (باميان) الشيعية خرجت من سيطرتهم، وخروج (باميان) يعني قطع الطريق الأصلي الذي يوصل الشمال بالجنوب.

الهجوم العسكري الأمريكي يعكس بجلاء الضعف العسكري لهذه الحركة، وهو ضعف يمكن إرجاعه إلى الأمور التالية:

١ ـ انقطاع الارتباط بين القائد الأعلى والقوات:

لو كانت (قوات الطالبان) تريد المقاومة فعلاً أمام الحملات الجوية الأمريكية الشديدة والمكثفة، لكان ينبغي عليها الانتشار والتمركز في المرتفعات والمناطق الحساسة والاستراتيجية، وتبدأ بشن حرب عصابات ضد القوات الأمريكية، لكن النظام العسكري المتبع في هذه الحركة قائم على أساس أنَّ القوات وقياداتها الميدانية لا يمكن أن تتحرك أو تتخذ أي موقف عسكري ميداني قد يفرضه واقع المعركة، إلاَّ بأمر من القائد الأعلى الذي هو (الملا عمر) ورغم أنَّ (الملا عمر) يعرف أنَّ انقطاعه عن قياداته الميدانية يعني شلل وارتباك القوات، إلاَّ أنَّه امتنع عن الردّ عبر جهاز اللاسلكي على القيادات العسكرية الميدانية التي كانت تلح في الاتصال بمركز القيادة العامة في (قندهار) من أجل الاستماع إلى أوامر (الملا عمر) بالبقاء أو بالتراجع والانسحاب إلى الوراء أمام الضغط العسكري الأمريكي.

امتناع (الملا عمر) عن الردّ على اتصالات قياداته الميدانية تسبب في عزل هذه القيادات، وبالتالي شيوع حالة الإرباك والفوضى بسبب انعدام التنسيق بين هذه القيادات من ناحية، ومن ناحية ثانية إنَّ كل قائد بعد اليأس من (الملا عمر) اتخذ موقفاً قد يختلف عن الذي اتخذه القائد الآخر.

وإلى ذلك، كانت (حركة الطالبان) غير مهيأة لخوض حرب غير متكافئة، ولم تتلق التدريب الكافي على خوض حرب غير نظامية، بل

لم يكن بإمكان (الطالبان) حتى إنقاذ أنفسهم، فانسحابهم الأوَّل من مدينة (مزار شريف) تمَّ في نصف اللَّيل وبشكل فوضوي، في حين كان يفترض بالطالبان التحرك نحو منطقة كندوز (قندوز) والاتصال بالقوات الطالبانية المرابطة في هذه المنطقة.

وبسبب ضعف القيادة وانقطاع ارتباطها بالقيادات الميدانية؛ بقيت القوات الباكستانية المتشكلة من المتطوعين الباكستانيين لمساعدة الطالبان والتي وصلت حديثاً، بقيت في مدينة (مزار شريف) لأنَّها لم تعلم بانسحاب (قوات الطالبان) من المدينة.

كما تكبَّدت الحركة خلال الانسحاب أفدح الخسائر طيلة هذه الحرب، لأنَّ المقاتلات الأمريكية وطائرات الهليكوبتر كانت تصطاد الناقلات والسيارات التي كانت تقلُّ (القوات الطالبانية) الواحدة تلو الأُخرى بواسطة القنابل الحرارية وتدمرها، في حين أنَّ هذه القوات لم تدافع عن نفسها، فالمقاتلون العرب في (مدينة قندوز) مثلاً قاوموا الهجوم العسكري الأمريكي، بينما (قوات الطالبان) لم تبدِ أية مقاومة.

في مدينة قندهار (مركز قيادة الطالبان) كان (الملا عمر) منهمكاً بالاستخارة وبالأحلام التي يراها في منامه، وطبقاً لهذه الأحلام كان يقول لمقربيه:

«لا تسلِّموا لأمريكا، لأنَّها سوف تتحطم وتتلاشى خلال أيَّام قليلة»[١].

بينما يزداد القصف الجوي على المدينة كثافة وشدَّة، وفي كل

---

(١) مجده، وحيد، أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان، دار ميوند (كابول: ٢٠٠٢م) ص١٦٠.

يوم يفرُّ عدد من مقربي (الملا عمر) وأخيراً اضطر (الملا عمر) إلى إعلان استعداده لتسليم مدينة قندهار.

أخطأ (الطالبان) في تصوراتهم لطبيعة المعركة مع الولايات المتحدة، لأنَّهم كانوا يتوقعون أنَّ الحرب ستكون برّية، وسوف يواجهون القوات الأمريكية على الأرض، ويكبدونها خسائر فادحة، بينما الأُمور سارت باتجاه آخر، إذ اعتمدت (أمريكا) في البداية على الحرب الجوية، فكان (جلال الدِّين حقاني) أحد قيادات الطالبان العسكرية قد ادعى أنَّ أفغانستان ستكون مقبرة لأمريكا، وحذر من أنَّ هذه الحرب ستكون أفجع من حرب فيتنام بالنسبة للأمريكيين.

في الوقت الذي أدَّت فيه الحملات الجوية إلى إضعاف روحية المقاتلين الطالبان، فإنَّها شكلت محفزاً جديداً لقوات (التحالف الشمالي) المعارض للمواجهة مع (الطالبان) والزحف نحو العاصمة كابول.

٢ ـ انفصال العسكريين البشتون عن الطالبان:

عندما بدأت علائم نكسة (الطالبان) تلوح في الأُفق؛ بدأ التصدع يظهر على كيان (الحركة) وتماسكها، فالمجلس الشرقي الذي كان يستقر في (منطقة جلال آباد) كان أول مجلس يعلن عن استعداده للانفصال عن (مجلس الطالبان)[١].

ويشار إلى أنَّ (الحركة) في تشرين الأول عام ١٩٩٨م كانت قد ألقت القبض على أكثر من (٦٠) شخصاً في منطقة (جلال آباد البشتونية) التي كانت قبل مجيء (الطالبان) تحت سيطرة (حكمتيار) حيث ادعت

(١) «Instithte for Peace and Conflict Stndies 31 December 2001 WWW.IPCS.ORG.

(الحركة) أنَّ ضباط الجيش السابق المقربين من (الجنرال شهنواز) كانوا ينوون القيام بانقلاب عسكري ضد الحركة، بينما كان هؤلاء الضباط يتعاونون مع (الطالبان) ضد (حكومة المجاهدين) منذ عام ١٩٩٤م[١].

إقدام (مجلس جلال آباد) على هذه الخطوة شجع المجالس المحلية الأُخرى في الحزام الجنوبي للبشتون على اتخاذ خطوات مماثلة، بل حتى في (مدينة قندهار) التي كانت مركز قيادة الطالبان كانت القيادات المحلية لحركة الطالبان تريد التسليم، ولذلك يمكن القول على أساس ماتقدم أنَّ عدم حماية القيادات المحلية للبشتون ودعمها لحركة الطالبان أدَّى إلى سقوط الطالبان.

المشكلة الأُخرى للطالبان هي أنَّهم لم يخوضوا حرباً لوحدهم، فهم دائماً يستفيدون من إمكانات وتجهيزات الجيش الباكستاني ومن المستشارين العسكريين الباكستانيين، في حين لم تستفد (الحركة) من هذا الدعم في مواجهة الهجوم العسكري الأمريكي[٢]. فحتى القوات الفنية والمتخصصة التي كان أكثر أتباعها من جناح (حزب الشعب الأفغاني) الخط العسكري، والتي دفعت بها الباكستان إلى (الحركة) عندما كانت بحاجة إلى الاستفادة من الطائرات المقاتلة والدبابات.. فحتى هذه القوات التي هي من البشتون، ولعبت دوراً مهماً في انتصارات (الطالبان) وفي الاستيلاء على أغلب المدن الأفغانية المهمة، قد انفصلت بالتدريج عن (حركة الطالبان).

* * *

(١) AFP Taliban Arvest Dozpns of Alleged Conp Platter 23 October 1998.

(٢) (France-Amerique 19 October 2001. WWW.Conflits. ORG.

دور قوات التحالف الشمالي المعارض في هزيمة الطالبان

عندما هاجمت (الولايات المتحدة الأمريكية) أفغانستان، انضمت قوات التحالف الشمالي المعارض لحركة الطالبان إلى القوات المحتلة. وأحد الأسباب التي جعلت التحالف الشمالي ينضم إلى الهجوم الأمريكي على أفغانستان يعود إلى الخلاف القومي والديني القديم في هذا البلد.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ممثلي الطالبان والتحالف الشمالي التقوا مرَّات عديدة في إطار مجموعة (٦+٢)[١]، قبل حادثة الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م وقد تمخضت هذه اللقاءات والمحادثات التي جرت فيها عن تحقيق أول لقاء ثنائي بين الطرفين وجهاً لوجه في العاصمة الأزبكستانية (طاشقند) في ٩ حزيران عام ١٩٩٩م، وكان هدف محادثات هذا اللقاء هو تشكيل حكومة موسعة في أفغانستان،

---

(١) في عام ١٩٩٧م شكلت مجموعة تعرف باسم (٦+٢) لإيجاد حل سياسي في أفغانستان، وتشكلت هذه المجموعة من ستة دول مجاورة لأفغانستان هي: إيران، وباكستان، وأزبكستان، وطاجيكستان، وتركمنستان، فضلاً عن أمريكا وروسيا. وتمَّت المحادثات في إطار هذه المجموعة تحت إشراف الممثل الخاص للأُمم المتحدة في الشأن الأفغاني.

وإلى جانب تشكيل هذه الحكومة مراعاة مسائل مثل: حقوق الإنسان. لكن المشكلة هي أنَّ (التحالف الشمالي) و(حركة الطالبان) كان كل منهما يعتبر نفسه الممثل الحقيقي للشعب والحكومة في أفغانستان.

وأهم اللقاءات والمحادثات التي جرت بين الطرفين هي تلك التي حصلت في حزيران ٢٠٠١م والتي تمخضت عن لقاء وزير خارجية الطالبان (ملا متوكل) مع وزير خارجية التحالف الشمالي (عبد الله عبد الله) لكن هذه اللقاءات لم تسفر عن نتيجة خاصة، فمع أنَّ حركة الطالبان كانت تحت ضغوط حصار الأُمم المتحدة، إلاَّ أنَّها لم تبد أي استعداد لإعطاء امتياز أو تنازل للطرف الآخر، وذلك بسبب شعورها بأنَّ كفَّتها العسكرية هي الأرجح، وبالتالي هي الطرف القوي، والحقيقة أنَّ (حركة الطالبان) كانت غير جادة في هذه المحادثات، إنَّما كانت تعتبرها مناورة لكسب الوقت اللازم لالتقاط الأنفاس، ولوصول قوات جديدة إلى ساحة المعركة.

التقسيم غير العادل للسلطة ودوره في سقوط الطالبان:

النزاع على السلطة في (أفغانستان) له جذور تاريخية، وقد لعب التنوع القومي في أفغانستان والتوزيع الجغرافي للقوميات الأفغانية في مناطق جغرافية محددة، دوراً مؤثراً في إذكاء هذا النزاع واستمراره، ويمكن رسم خط افتراضي يمتدّ من جنوب (هرات) نحو الشمال إلى (كابول) العاصمة والمرتفعات الجبلية التي تنتهي بـ(واخان) حيث تنتشر قبائل البشتون في الجنوب والشرق من هذا الخط الافتراضي، بينما ينتشر الطاجيك والأزبك في شمال هذا الخط، وبالطبع تتداخل هذه القوميات مع بعضها البعض عبر هذا الخط الافتراضي بحيث

يشكل هذا التداخل أقلية بشتونية في المناطق الطاجيكية والأزبكية، وبالعكس يشكل أقليات طاجيكية وأزبكية وشيعية في المناطق البشتونية[1].

لم ترض القومية البشتونية في أي فترة من الفترات التأريخية عن باقي القوميات الأفغانية الأُخرى، وعلى خلفية هذا الموقف تجنَّبت هذه القومية تشكيل حكومة ائتلافية مع القوميات الأُخرى. وإذا كانت القومية البشتونية تحرص على حصر السلطة فيها، فإنَّ (حركة الطالبان) ذهبت إلى أبعد من ذلك، فهي حصرت السلطة في مجموعة محددة من البشتون على حساب المجموعات البشتونية الأُخرى، فقد حصرت المراكز والمواقع الحساسة والمهمة في أهالي مدينتي (قندهار وأرزكان). وهؤلاء المسؤولون يتصرفون مع بقية الأقوام وحتى مع البشتون في بقية المناطق بغلظة وجلافة، ويتصرفون مع الكثير من مناطق البلد كمحتلين وغرباء، فهم يعتبرون الذين يخالفون الإمارة الإسلامية (بغاة) ومتمردين، وبالتالي تكون محاربتهم مشروعة[2].

وفي نفس الوقت يعتبر (الطالبان) أُناساً مغرورين ومتعالين على الآخرين، لأنَّهم يحتقرون المعارضة الداخلية ولا يعيروها أي اهتمام. وانطلاقاً من شعور الثقة بالنفس وبالقوَّة تصور (الطالبان) بعد الهجوم

---

(١) (الملك عبد الرحمن خان) هاجر إلى الشمال بقصد إدغام قبائل البشتون، لكن هذا العمل عورض من قبل الطاجيك والأزبك والهزارة والبشتون المهاجرون وكانوا يسيطرون على أجود وأخصب الأراضي في المنطقة، بينما الأقوام ذات الجذور التاريخية في هذه المناطق كانت محرومة من هذه الأراضي.. وهذه سياسة واصلها واستمر عليها (الملك ظاهر شاه) بعد مجيئه إلى الحكم.

(٢) مجده، وحيد، أفغانستان وخمس سنوات تحت حكم الطالبان، دار ميوند (كابول: ٢٠٠٢م) ص٧٧.

الأمريكي على أفغانستان أنَّهم سيخوضون مع (أمريكا) حرباً كلاسيكية، ولا يسمحون للمعارضة الداخلية باستعراض قوتها معهم.

وعندما بدأت (أمريكا) بإطلاق التهديدات لأفغانستان، اجتمع (الطالبان) و(تنظيم القاعدة) و(المتطوعون الباكستانيون) وتباحثوا من أجل الإعداد لخوض الحرب على جبهتين، حيث توصلوا إلى اتفاق يقضي بإناطة مهمة مواجهة (قوات التحالف الشمالي) إلى المتطوعين الباكستانيين والعرب والأزبكستانيين، لتشكل هذه القوات خط الدفاع الأول أمام زحف قوات التحالف الشمالي، وتقوم (قوات الطالبان) بدعم هذه القوات بتشكيل خط الدفاع الثاني.

هذا التكتيك ينهي احتمالات تسليم (قوات الطالبان) إلى (قوات التحالف الشمالي). وهو تكتيك مقصود لهذا الغرض.

استقرت (قوات الطالبان) في المناطق الحدودية وخصوصاً الحدود الجنوبية حتى تستعين بالقبائل البشتونية في هذه المناطق لمواجهة القوات الأمريكية والبريطانية والدفاع عن أفغانستان، لأنَّ (الطالبان) كانوا يتوقعون دخول القوات العسكرية الأمريكية والإنجليزية إلى الحدود الأفغانية من تلك المناطق، وخوض حرب برية معهم، لكن بعض القوات الأمريكية تمركزت وانتشرت في شمال أفغانستان، وبالتعاون والتنسيق مع (قوات التحالف الشمالي) شنَّت هجوماً برياً وجوياً على (حركة الطالبان). وفتحت أكثر من جبهة على (الطالبان) ونجحت بالتالي في عزل (قوات الطالبان) عن بعضها البعض الآخر، ما تسبب في إرباك (القوات الطالبانية) لأنَّها لم تكن تعرف على أي جبهة تحارب.

يضاف إلى ذلك أنَّ (قوات التحالف الشمالي) كانوا يعرفون المناطق الشمالية بشكل جيد، وتعاونوا مع منتسبي وكالة الاستخبارات الأمريكية (السي. آي. أي) ومع قوات وزارة الدفاع الأمريكية الخاصة التي دخلت بشكل سري إلى مقرات قوات (أحمد شاه مسعود) المنتشرة في شمال أفغانستان، التي تعرف تلك المناطق. فقوات التحالف الشمالي وقفت إلى جانب القوات الخاصة لوزارة الدفاع، وقامت بتوجيه قاذفات القنابل الأمريكية إلى مواقع قوات الطالبان وقصفها، وبالنتيجة دفعت (الطالبان) خسائر فادحة.

التطهير القومي دفع التحالف الشمالي إلى التعاون مع الأمريكيين:

تعود جذور حرب (التحالف الشمالي) مع (حركة الطالبان) إلى التطهير العرقي الذي مارسته هذه الحركة مع باقي القوميات منذ عام ١٩٩٧م. فخلال الحروب الضارية التي شهدتها أفغانستان خلال هذه السنين قسَّمت البلاد من الشمال إلى الجنوب، والكل شارك في التطهير القومي. فالطالبان مارسوا القتل العام في صفوف الشيعة الهزارة[١]، الذين يبلغ عددهم أربعة ملايين في أفغانستان، ويشكلون

---

(١) في ٨ آب ١٩٩٨م دخلت قوات الطالبان إلى مدينة (مزار الشريف) بعد انكسارها السابق، وقامت بعمليات قتل جماعي ونوعي، وانتقمت من أهالي المدينة لانكسارها قبل عام. وكانت قوات الطالبان تجوب شوارع المدينة بسيارات الداستون (بيكب) وتقتل النساء والأطفال وأصحاب المحلات المشغولين بالبيع والشراء... وخلافاً للشرع الإسلامي لم يسمح الطالبان بدفن الجثث إلاَّ بعد ستة أيام. «هذه المعلومات منقولة عن شخص طاجيكي كان قد تمكن من الفرار بعد وقوع المذبحة». المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة أيضاً كانت قد أجرت مقابلات مع جملة أشخاص من الذين نجوا من الإبادة، وأعدت تقريراً سرياً بهذا الشأن وأرسلته إلى الأمين العام للأمم المتحدة جاء فيه: أنَّه كان أبناء =

أكبر مجموعة شيعية في أفغانستان، ويعود العداء الطائفي بين (البشتون السُّنَّة) و(الهزارة الشيعة) إلى سنين سابقة. على أنَّ (الطالبان) عمَّقوا هذا العداء بأُمور جديدة، حيث اعتبروا أنَّ الشيعة إمَّا منافقين أو كفار. وانطلاقاً من هذه الرؤية فإنَّهم فعلوا بأهالي مدينة (باميان) التي تعتبر مركزاً لشيعة الهزارة مثل ما فعلوا بأهالي مدينة (مزار شريف) وبدافع الانتقام من الشيعة، هاجموا مدينة باميان، ومنعوا دخول قوافل المواد الغذائية إليها، لحملها على الاستسلام، واستخدموا هذا الأسلوب كسلاح في الحرب[1]، ليس مع مدينة باميان وحسب، وإنَّما مع باقي المدن التي تبدي مقاومة ضدهم.

عمليات التطهير التي قامت بها (حركة الطالبان) والتي طالت الشيعة طالت أيضاً الطاجيك[2]، وقد تسببت هذه الكوارث التي

مدينة (مزار الشريف) يفرون إلى بيوتهم تخلصاً من حملات القتل التي كان (الطالبان) يقومون بها بعد دخولهم المدينة، وقام الطالبان بملاحقتهم إلى بيوتهم وإبادة العائلة كلها. كما زجت الحركة بعد هذه المذبحة بالآلاف من (الهزارة) في سجن مزار الشريف، وعندما امتلأ السجن بهؤلاء الناس، حولت الكابينات المغلقة إلى سجون وملأتها من أهالي المدينة، فقضى أكثرهم خنقاً... ويضيف التقرير أنَّه بعد سيطرة الطالبان على المدينة أعلن ملالي الطالبان من مساجد المدينة أنَّ الشيعة أمامهم ثلاث خيارات: إمَّا أن يتحولوا إلى المذهب السنّي، وإمَّا أن يذهبوا إلى إيران، أو نبيدهم. ولا يمكن معرفة عدد الأفراد الذين قتلوا هناك، ولكن الصليب الأحمر الدولي قدَّر الذين قتلوا من أهالي المدينة من خمسة إلى ستة آلاف شخص.

(١) سقطت (باميان) في ١٣ أيلول عام ١٩٩٨م واستسلم عدد من قيادات الهزارة إلى الطالبان بينما (كريم خليلي) وباقي قيادات حزب الوحدة فروا إلى الجبال، قوات الطالبان واصلت ارتكاب المذابح بحق أهالي المدينة الشيعة، ولم ينجو من بأسهم حتى تمثال بوذا الذي يعتبر تراثاً أفغانياً قديماً ظل منتصباً لقرابة الألفي عام.

(٢) خلال الهجوم على مدينة (مزار الشريف) أجبر (الطالبان) المزارعين الطاجيك على الخروج من الوادي الشمالي. بعض القادة الأزبكية التحقوا بالقوات الطالبانية بعد =

اقترفتها (حركة الطالبان) شمال أفغانستان بحق القوميات الأُخرى في تعميق الخلافات والشروخ القومية بين مكونات الشعب الأفغاني، وقسمت (أفغانستان) إلى مناطق شمالية وجنوبية، ومناطق بشتونية وغير بشتونية. وبالتالي كل الفرق مارست التطهير العرقي. فعلاوة على ما قامت به (حركة الطالبان) فإنَّ الطاجيك والأزبك والهزارة مارسوا بدورهم التطهير العرقي ضد بعضهم البعض الآخر.

الأزبك والهزارة قتلوا المئات من سجناء الطالبان، كما قتلوا القرويين البشتون في شمال العاصمة كابول وأطرافها.

و(الطالبان) بعد هجومهم الأول على (مدينة مزار شريف) الذي انتهى إلى الفشل، ذبحوا الشيعة الهزارة في قرية (قاضي آباد) الواقعة شمال (مزار شريف) خلال تراجعهم إلى الوراء بعد فشل هجومهم على المدينة[١].

وعندما سيطر جيش (الجنرال دوستم) مجدداً على (شيبرغان) فقأ عيون ألفي شخص من قوات الطالبان.[٢].

أن استلموا مبالغ ضخمة من الأموال، أما باقي القوات الأزبكية فقد أسرت الحركة (٨٠٠) جندياً منهم، والباقي أُبيدوا، فيما فرَّ (دوستم) قائد الأزبك إلى (تركيا) ما جعل (قوات الهزارة) الشيعة التي تحافظ على مدينة (مزار الشريف) مكشوفة أمام خطر جدي من الطالبان.

(١) Peters gre Tehran massa cye s prampt fears of ethnic escalation ap is feb 1998 Yausufzai.. ranimullah dozstam uueaths mass graves 16 desemper 1997.

(٢) أعلن (بيك جان هاني) المراسل الخاص للأُمم المتحدة، والذي حقق في المقابر الجماعية أنَّه قيل للسجناء سوف ننقلكم للمبادلة بسجنائنا لدى الطرف الآخر، لكن بدلاً من ذلك نقلوهم إلى حفر عميقة كانت معدَّة لهم ورموهم فيها، وقبل ردم هذه الحفر أطلقوا الرصاص على السجناء وفجَّروهم بالقنابل اليدوية.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار الانقسامات القومية بين (البشتون) وسائر الأقليات القومية الأُخرى يمكن أن ندرك لماذا أقدم (التحالف الشمالي) المعارض للطالبان على تبنِّي سياسة التعاون مع أمريكا في مواجهة الطالبان، على أنَّ (التحالف الشمالي) لم يتماشى مع الخطة الأمريكية الخاصة بأفغانستان بشكل كامل، فرغم مخالفة الأمريكان دخلت قوات التحالف الشمالي إلى العاصمة (كابول) بعد أن لاحت معالم هزيمة حركة الطالبان. ذلك أنَّ (التحالف الشمالي) كان يتوقع أنَّه إذا لم يسيطر على العاصمة كابول فإنَّ احتمال إقدام أمريكا على عقد صفقة أو اتفاق مع الأكثرية البشتونية وارداً. وبناءاً على ذلك فإنَّ (التحالف الشمالي) قام بدور فعَّال في إسقاط حركة الطالبان وفي نفس الوقت أجبر الأمريكان على التعامل معه بحكم الخضوع للأمر الواقع.



الخلاصة

حقيقة الأمر أنَّ (جماعة طالبان) لم تكن جماعة منسجمة من الناحية القومية والدينية، فهم يعتبرون أنفسهم ممثلين عن البشتون، لكنَّهم لم يكونوا سوى أقلية في هذه القومية، كما إنَّ قاعدتهم الاجتماعية لم تكن قاعدة عريضة وقوية. وأغلب الأحزاب البشتونية لم تدعمهم، وهم أيضاً لم يتمكنوا من كسب تلك الأحزاب، فحتى (حزب حكمتيار الإسلامي) الذي هو أحد هذه الأحزاب لم يتماشى مع (طالبان) خلال فترة حكمهم. وفي ضوء هذه المعطيات أصيبت (طالبان) بازدواجية في خطابها الإعلامي، فتارة تعتبر نفسها ممثلة عن قومية البشتون، وتارة أُخرى تنادي بالشعارات الإسلامية على الصعيد العالمي.

ومن أهم الأسباب التي أدَّت إلى سقوط (حركة طالبان) هو عدم تلقيها للدعم الشامل من قبل قبائل البشتون. وقد انعكست الحالة على سائر القوميات التي فشلت (طالبان) في نيل دعمها، من قبيل قوميات: الطاجيك والأزبك وشيعة الهزارة. فهذه القوميات لعبت الدور الرئيسي في سقوط الطالبان. فضلاً عن أنَّ جبهة الشمال وقفت أيضاً أثناء الهجوم الأمريكي على أفغانستان إلى جانب أعداء الطالبان.

العامل الآخر الذي ساهم في سقوط (حركة الطالبان) يعود إلى طريقة ممارسة (الملا عمر) لقيادته في حكومة الطالبان، ففي بداية

الحكم كانت (حركة الطالبان) تتخذ قراراتها عن طريق الإجماع أو عن طريق الشورى، ثم تغيَّرت الحالة بالتدريج لتصبح القرارات فردية، فالملا عمر هو الذي يتخذ القرارات دون الرجوع إلى الشعب الأفغاني، ودون التشاور مع ممثلي هذا الشعب، وفي الواقع إنَّ (الملا عمر) لم يكن على ارتباط مع الجماهير الأفغانية، يضاف إلى ذلك أنَّه لقب نفسه بأمير المؤمنين كي يستبدّ برأيه، ويتخذ القرارات بصورة مستقلة، ويحصل من هذا اللقب على مبررات شرعية ودينية.

وكانت الأحكام التي تصدر عن (جماعة الطالبان) أحكاماً متطرفة ودون أن تأخذ بنظر الاعتبار ما يحتاجه المجتمع، كما إنَّ الاستبداد، وإرغام النساء على تغطية الوجه بالكامل كان من مظاهر التعسُّف والظلم، وهو ما أفقد (طالبان) قاعدتها الشعبية.

وهناك أمثلة أُخرى من قبيل: منع النساء من الاستمرار في الدراسة، وإرغام الرجال على إطالة لحاهم بصورة عجيبة، ومنع استخدام (كاميرات التصوير والتلفزيون) كل ذلك ساهم في عزل الطالبان عن الشعب، فضلاً عن أنَّ (قوات الطالبان) كانت تفتقر إلى الخبرة والتدريب العسكري لمواجهة التكتيك العسكري الأمريكي.

آلاف الباكستانيين من أهالي مناطق القبائل على الحدود الباكستانية الأفغانية أعربوا عن استعدادهم للحرب ومواجهة القوات الأمريكية، غير أنَّ القصف الأمريكي المركَّز على منطقة (مزار شريف) باغتهم لأنَّهم كانوا يفتقدون للمعسكرات وللمعرفة الكاملة بالمنطقة ويجهلون تضاريسها وطبيعتها.

ومن ناحية أُخرى كان الجميع يتوقعون أن تشهد (مدينة قندهار) مقاومة

شديدة، ولما وصل القصف الأمريكي إلى تلك المدينة ترك قائد طالبان (الملا عمر) مقر إقامته فاراً كي لا يكتشف الأمريكيون مخبأه. ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ القيادات الطالبانية المحلية كانوا يتلقون الأوامر من (الملا عمر) وبانقطاع اتصالاتهم به؛ هبطت معنوياتهم، ودبَّ فيهم الإحباط والضعف عن مواصلة القتال، فاضطروا للانسحاب والفرار.

وإلى جانب هذه المشكلة كان هؤلاء القادة يواجهون مشكلة أُخرى، وهي النقمة الشعبية. ويعود السبب في ذلك إلى سياسة القمع التي كانوا يمارسونها تجاه الشعب الأفغاني، فهاتان المشكلتان جعلتا (طالبان) تتحمل ضربات موجعة نظراً للقصف الأمريكي الذي راح يلاحقهم عند انسحابهم من مناطق (مزار شريف) و(باميان) ولانسحابهم الفوضوي والمرتبك على خلفية القرارات الارتجالية والاستعجال في الخروج من هذه المدن تفادياً لنقمة أهلها عليهم. وبسقوط (مدينة قندهار) سقط مركز قوَّة طالبان.

ومن العوامل الأُخرى التي يمكن الإشارة إليها كأسباب لسقوط طالبان هي: وجود الاختلافات الداخلية في جماعة طالبان. فرجال الدِّين الذين يطلق عليهم لقب (مولوي) و(ملا) كانوا لا يتنازلون لبعضهم البعض، وكل منهم كان يعتبر نفسه قائداً.

على أنَّ هذه الخلافات أخذت طابعاً آخر عندما تمَّ تعيين المولوي (وكيل أحمد متوكل) وزيراً للخارجية في حكومة الطالبان، فكان (متوكل) يعتقد أنَّ (بن لادن) و(تنظيم القاعدة) هما عامل عدم استقرار حكومة الطالبان في أفغانستان، لذلك كان ينوي إجراء اتصالات مع الأمريكيين لتحجيم (بن لادن) وحصره في الزاوية. ولكن (الملا عمر) أعلن معارضته للفكرة، وهذا ما تسبب في حصول الانشقاق داخل صفوف

طالبان. ففريق منهم كان يعتقد بأنَّ (بن لادن) وباقي أعضاء القاعدة هم ضيوف لدى طالبان، وقدموا مساعدات كثيرة للطالبان. فيما الفريق الآخر كان يعتقد بأنَّ هؤلاء الضيوف يعملون على تدمير حكومة الطالبان. واستمرت هذه الخلافات في صفوف طالبان حتى سقوطهم.

كان أغلب (قوات الطالبان) من القرويين الذين لم يعيشوا في المدن. وكانوا يجهلون ثقافة وطبيعة الحياة في المدن. وحسب الخبراء فإنَّ هذا الجهل ناتج عن الأُميَّة التي كانت متفشية بينهم. فأغلب سكان القرى كانوا يحرمون بناتهم من دخول المدارس. وهذا ما جعل المنظمات الدولية توجه انتقادات حادة للطالبان. وحتى (منظمة المؤتمر الإسلامي) أبدت هي الأُخرى احتجاجاتها على الطالبان، إلاَّ أنَّهم لم يكترثوا لكل هذه الانتقادات والاحتجاجات، ولم يتراجعوا عن مواقفهم. وكانت مشاكل التعليم وتدني المستوى التعليمي في عهدهم قد توسعت حتى داخل الوسط التعليمي وإلى مدارس البنين في المدن أيضاً الأمر الذي جعل الكثير من الأسر الأفغانية تهاجر من بلادها إلى باكستان وإيران كي يواصل أبناؤها التعليم والدراسة.

وأما عن الهيكلية الإدارية ونظامها فإنَّ (حركة طالبان) لم تغير نظامها التقليدي (الانديوالي). فطبقاً لهذا النظام كانت المناصب الحكومية توزع بين المقربين والأقارب وأشراف القبيلة. وكانت (حكومة طالبان) تعتبر أغلب القوانين أمراً إضافياً ولا حاجة لها. كما كانت الشريحة النسائية في المجتمع الأفغاني محرومة من قلَّة الحقوق الشهرية. وهذا ما جعل الكثير منهم يتركون دوائرهم ليقوموا بعمل آخر وبالنتيجة انهار النظام الإداري في أفغانستان.

* * *

الفصل الخامس

الأسباب الخارجية لسقوط الطالبان

- حادثة الحادي عشر من أيلول، وتغيير سياسة أمريكا تجاه الطالبان
- تنظيم القاعدة هو سبب سقوط الطالبان
- تغير السياسة الباكستانية تجاه الطالبان
- دور إيران في سقوط الطالبان
- السعودية وتغيير المواقف
- الغزو الأمريكي لأفغانستان من منظار القانون الدولي

مدخل

عند تقصّي الأسباب الخارجية لسقوط (حركة الطالبان) يبرز الهجوم العسكري (الأمريكي ـ البريطاني) المشترك كأول سبب في هذا الإطار. ولمعرفة جذور أسباب الحملة العسكرية الأمريكية على أفغانستان لا بدَّ أن يؤخذ في الاعتبار حادث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م، وتغيير سياسة أمريكا والسعودية وباكستان إزاء (حركة الطالبان). كما إنَّ دعم باكستان القوي لـ(بن لادن) وتنظيم القاعدة، وعدم تسليمها (بن لادن) لأمريكا يعدّ من أسباب الحملة العسكرية الأمريكية على أفغانستان. وفضلاً عن ذلك يمكن أن يؤخذ في الحسبان دور (إيران) المهم والمؤثر في الحملة العسكرية على الطالبان.

فهل (القاعدة) كانت وراء الهجوم على برجي (مركز التجارة العالمي) ووزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) في أمريكا؟

هناك شكوك وغموض كثير حول صلة (القاعدة) بأحداث الحادي عشر من أيلول. . . فيما الحكومة الأمريكية لم تتمكن من عرض أدلة ووثائق دامغة وذات مصداقية توضح من الذي يقف وراء هذا الهجوم، وكيف نفذه، وما هي الأساليب التي استخدمها؟ فالحكومة الأمريكية

وتنظيم القاعدة كلاهما أبديا روايات متناقضة، وتقصَّدا إثارة الغموض حول القضية.

ثم لماذا رفضت (حركة الطالبان) طلب أمريكا بتسليم (بن لادن) إليها باعتباره المتهم الأصلي بأحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م وبالتالي وفَّرت المبررات اللازمة لاحتلال أمريكا لأفغانستان؟

وهل كانت (الحركة) تعلم أنَّ رفضها لهذا الطلب سوف يجرُّ الأُمور إلى احتلال أفغانستان، أو أنَّها كانت مطمئنة إلى أنَّها سوف تلحق الهزيمة بالقوى المحتلة؟

وإلى ما قبل حادثة الحادي عشر من أيلول.. كانت (حركة الطالبان) تحظى بالدعم العسكري والسياسي والاقتصادي من جانب الحكومة الباكستانية، فما هي الأسباب التي حدت بالحكومة الباكستانية إلى تغيير سياستها رأساً على عقب تماماً من حركة الطالبان؟ أي من داعم قوي لها إلى مخالف؟

هل أُجبرت الحكومة الباكستانية على تغيير سياستها، أو أنَّها أقدمت على هذه السياسة بملىء إرادتها واختيارها؟

ماذا كان دور السعودية؟ وما هي التغييرات التي طرأت على السياسة السعودية بعد حادثة الحادي عشر من أيلول، بينما تمكن (بن لادن) من ممارسة نشاطه الواسع في أفغانستان بدعم عقائدي وأمني سعودي؟

وماذا كان دور (إيران) في هذه الأحداث؟ ولأنَّ (حركة الطالبان) كانت حركة عقائدية فهي تعتبر إيران الشيعية أكبر عدو لها بين الدول الجارة لأفغانستان، لكن عندما قررت أمريكا شنَّ هجوم

عسكري على أفغانستان خالفت إيران ذلك، فما هي التغيرات التي حصلت في مواقف كل من: الطالبان وإيران إزاء بعضهما البعض؟

وطبيعي أن يطرح السؤال التالي نفسه وهو: لو أنَّ (حركة الطالبان) استجابت لطلب أمريكا وأخرجت (بن لادن) من أفغانستان، فهل ستصرف أمريكا النظر عن شنّ حملتها العسكرية على أفغانستان؟ أو أنَّها ستخلق حجَّة أُخرى لتبرير حملتها على أفغانستان كما فعلت مع العراق وقامت باحتلال هذا البلد؟

* * *

حادثة الحادي عشر من أيلول
وتغيير سياسة أمريكا تجاه الطالبان

طرحت فرضيات مختلفة لتحليل حادثة الحادي عشر من أيلول، إحدى هذه الفرضيات تقول:

إنَّ الحادثة كانت من تخطيط مجموعة في المؤسسة الأمريكية الحاكمة تعرف بالمحافظين الجدد.

وفرضية أُخرى تقول: إنَّ (تنظيم القاعدة) كان من القوَّة بحيث استطاع ـ وبتدريبات معقدة ـ أن يخطط لمثل هذه العمليات الواسعة والكبيرة، ويوجه هذه الضربة لأمريكا.

وإلى ذلك هناك فرضية أُخرى تقول: إنَّ (تنظيم القاعدة) كان تحت نفوذ الولايات المتحدة، وما يقوم به هذا التنظيم ـ أراد أو لم يرد ـ كان يخدم أهداف التدخل الأمريكي في الدول الأُخرى، مثل شفرتي المقص يتحركان بصورة متضادة، لكن حركتهما تؤدِّي إلى نتيجة واحدة.

إنَّ بحث ودراسة هذه الفرضيات يساعد في التوصل إلى معرفة أسباب تغيير السياسة الأمريكية في أفغانستان. وقبل التعرض إلى هذه الفرضيات لا بدَّ من الإشارة إلى أن (حركة الطالبان) كانت ترتبط خلال فترة حكمها على أفغانستان بروابط خفية مع الولايات المتحدة

الأمريكية من جانب، ومن جانب آخر تتلقى الدعم من أجهزة الأمن الباكستانية ومن المملكة العربية السعودية، لكن بعد حادثة الحادي عشر من أيلول تغيرت السياسة الأمريكية، وأظهرت أمريكا العداء للطالبان.. والآن إلى الفرضية الأولى:

١ ـ فريق المحافظين الجدد وراء حادثة الحادي عشر من أيلول:

حسب هذه النظرية يقف المحافظون الجدد[١] في البيت الأبيض الأمريكي وراء حادثة الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م، لخلق المبررات اللازمة لشن الحرب والقيام بمهاجمة الدول الأُخرى. ولكشف حقيقة الجهة التي تقف وراء الحادثة، لا بدَّ من أن نعرف الجهة التي تستفيد من هذه الحادثة. ففي كلِّ الأحوال من الصعوبة بمكان القول إنَّ (القاعـدة) تعتبر المسبب الأصلي للحادثة، فالضحية الأساسية لأحداث الحادي

(١) صحيفة كريستين ساينز مونيتور نشرت في عددها بتاريخ ٢٠ تموز ٢٠٠٥م تقريراً تحت عنوان «صناع الأمبراطورية» ذكرت فيه ١٢ شخصاً من المنظّرين الأساسيين للسياسة الخارجية الأمريكية يمارسون دورهم وراء الكواليس، وكل هؤلاء من اليهود وهم: ايرونيك كريستول الأب الروحي للمحافظين الجدد. ونورمن بدهرتز رئيس صحيفة كافتيري وتنشرها لجنة من يهود أمريكا. بول ولفوفيتز رئيس البنك الدولي. ريتشارد بيرل وهو من مهندسي سياسة الفوضى الخلاَّقة من أجل إعادة بناء الشرق الأوسط التي تبدأ بالهجوم على العراق. وبول من مديري صحيفة أورشليم بوست. دوغلاس فيث مساعد وزير الدفاع الأمريكي وأحد مؤيدي حزب الليكود الإسرائيلي. لويس لايبي مستشار ديك تشيني لشؤون الأمن القومي. جون بولتن السفير الأمريكي في الأُمم المتحدة. اليوت إبرامز معاون مساعد الرئيس الأمريكي. روبرت كاكان الذي وضع بمعية وليم كريستول مشروع القرن الأمريكي الجديد في عام ١٩٩٧م. مايكل ورين الذي يعمل في مؤسسة انترابرايز ومن المتحمسين الأساسيين لتغيير النظام في إيران. وليم كريستول رئيس تحرير صحيفة ويكلي استندارد وابن مؤسس أفكار المحافظين الجدد. فرانك جفني مساعد وزير الدفاع الأمريكي.

عشر من أيلول كانت (حركة الطالبان) و(القاعدة) حيث لا يمكنهم بأيّ وجه تبرير قتل المدنيين أمام الرأي العام.

وفي الحقيقة، إنَّ أيّ مجموعة تدَّعي الدفاع عن هدف إلٰهي وعقيدة إسلامية لا يمكن تصور أنَّها تقوم بعمل يسيء إلى اسمها ويخدش أُصولها الدينية.

من جانب آخر، كان الفائز في هذه الحادثة طلاب الحرب، ومهندسو الاستراتيجية الأمريكية الجديدة للتدخل في الشرق الأوسط في القرن الحادي والعشرين. خصوصاً وأنَّ الحكومة الأمريكية بدلاً من أن تسعى لمحاكمة المتَّهمين وإظهار الشواهد والأدلة؛ هدَّد الرئيس الأمريكي (جورج بوش) فوراً وأعلن الحرب. ففي ١٥ أيلول، أي بعد ٤ أيام من الحادثة، فقط وجَّه اتهامه نحو العالم الإسلامي، واعتبر الحرب على الإرهاب حرباً صليبية جديدة، ما أدَّى إلى ردود فعل سلبية واسعة النطاق في دول العالم الإسلامي، بل وحتى في الدول الأوروبية حليفة واشنطن، الأمر الذي دفع مستشار البيت الأبيض إلى حذف عبارة (الحرب الصليبية) من خطاب بوش[١].

وبعد فترة قصيرة اضطر (بوش) إلى التراجع إثر الانتقادات المتزايدة له، وعبَّر عن أسفه لما سببه استخدامه عبارة (الحرب الصليبية) من انزعاج وردود فعل سلبية[٢].

إنَّ أمريكا حققت أقصى استفادة من حادثة الحادي عشر من

---

(١) Hitpillnews bbc.co.uk= America widens «ctusade on terror» 16 september 2001.

(٢) قال المتحدث باسم البيت الأبيض (آري فيشر) بتاريخ ١٩ أيلول ٢٠٠١م: «إنَّ الرئيس جورج بوش كان يقصد من عبارة (الحرب الصليبية) الحرب الشاملة على الإرهاب، وقد عبَّر عن أسفه لاستخدامه هذه العبارة.

أيلول، ومرَّرت من خلالها مشاريعها العسكرية الواحد تلو الآخر. وتجدر الإشارة إلى أنَّ أيّ من العناصر الأساسية في (تنظيم القاعدة) و(حركة الطالبان) لم يتضرر في الحملة العسكرية الأمريكية على أفغانستان نسبياً. فأمريكا شنَّت هجومها العسكري على أفغانستان بحجَّة إلقاء القبض على (بن لادن) لكنَّها إلى الآن تحتل هذا البلد بينما عملها انتهى مع (بن لادن)! فكل التقارير تقريباً تشير إلى أنَّ قيادات القاعدة والطالبان قد فرّوا إلى منطقة بلوشستان ووزيرستان الباكستانية، لكن هذا الموضوع قد أسدل الستار عليه.

على أساس هذه الفرضية. فإنَّ الطائرات الأمريكية الحديثة المتقدمة والمجهزة بأنظمة كومبيوترية يمكن التحكم بها عن بعد كانت قد نظمت أجهزتها بحيث تصيب هذه الأهداف؛ لأنَّ أي من عناصر (تنظيم القاعدة) كان غير قادر على قيادة مثل هذه الطائرات، وأي منهم لم يدخل دورة تدريبية متقدمة على قيادات هذه الطائرات.

الموضوع الآخر الذي يعزز هذه الفرضية هو عدم ذهاب الآلاف من الموظفين اليهود[١] في ذلك اليوم إلى مركز التجارة العالمي لممارسة

---

(١) كتب الباحث الفرنسي (تيري ميسان) في كتابه «الخديعة المرعبة» أنَّ الشركة الإسرائيلية (أوديكو) الخاصة بالاتصالات الإلكترونية كانت قد تلقت إنذاراً بأنَّ مركز التجارة العالمي والبنتاغون سيتعرضان إلى هجوم بعد نصف ساعة، «ويحتمل أنَّ خروج الموظفين اليهود من مركز التجارة العالمي قبل الحادثة كان على أثر هذا الإنذار». وفي هذا السياق أيضاً كان (اندي مارتين) مراسل شبكة الإذاعة الوطنية الأمريكية polic قد أعلن أنَّ إسرائيل كانت على علم بحادثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م قبل وقوعها، لكنَّها لم تسرب مثل هذا الخبر حتى لا ينكشف الجواسيس الإسرائيليون. فهؤلاء الجواسيس كانوا على اطلاع دقيق بتحركات المختطفين ومكالماتهم الهاتفية، ولكنَّهم لم يعرفوا بالضبط زمان الهجوم ومكانه.

عملهم، حيث كانوا قد أخبروا بعدم الذهاب إلى عملهم حتى لا يلحق بهم أي ضرر، وعلى هذا الأساس فإنَّ المحافظين الجدد كانوا قد خططوا لمهاجمة أفغانستان[١] قبل الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م.

٢ ـ تنظيم القاعدة يقف وراء هجوم ١١ أيلول ٢٠٠١م:

وحسب هذه الفرضية قام عناصر من (تنظيم القاعدة) في الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م بعمليات منسَّقة، واختطفوا عدداً من الطائرات المدنية، وبين هذه العناصر طيارون ماهرون قادوا هذه الطائرات ـ دون مواجهة أية مشكلة ـ نحو برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك ووزارة الدفاع والبيت الأبيض[٢] في واشنطن، وتمكَّن الطيارون من تحقيق أهدافهم في (نيويورك) بالاصطدام ببرجي مركز التجارة العالمي. واصطدم أحدهم بالبنتاغون، وطائرة أُخرى أسقطت قبل اصطدامها بالبيت الأبيض.

وترجع جذور عمليات الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م إلى

---

(١) (جان بيكلر) أحد الصحفيين الأمريكيين الذي كان يكتب في صحيفة «morror» ونشرة «mew statsman» أعلن في مقابلة معه يوم ٧ تشرين الثاني أنَّ رئيس الوزراء الباكستاني السابق قال: إنَّ المسؤولين الأمريكيين أخبروه في شهر حزيران ٢٠٠١م أنَّ أمريكا ستقوم في أكتوبر بهجوم عكسري على أفغانستان.

(٢) كتبت الصحف الأمريكية في ١٣ أيلول ٢٠٠١م أنَّ اثنين من الطلاب من ذوي الأُصول العربية اسمهما: (محمد عطا) و(الشيخي) كانا المسببين الأصليين في الهجوم على برجي مركز التجارة العالمي، فهما كانا قد أنهيا في شهر تشرين الثاني عام ٢٠٠٠م، دراستهما في إحدى مؤسسات التدريب على الطيران وقيادة الطائرات في ولاية فلوريدا الأمريكية. بينما أعلن والد (محمد عطا) في حديث له مع إذاعة طهران العربية أنَّه تحدث مع ابنه في ١٥ أيلول ٢٠٠١م عبر الهاتف، وأخبره أنَّه حي ولم يقتل في أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م.

الأحداث التي شهدتها السنوات السابقة لهذا التاريخ، حيث كان (بن لادن) قد أصبح أحد أهم الممولين لنشاطات المجموعات الإسلامية، وبهذا الشأن أصدرت (وزارة الخارجية الأمريكية) في آب عام ١٩٩٦م تقريراً أوضحت فيه أنَّ (بن لادن) يموِّل المعسكرات الإرهابية في كل من: الصومال ومصر والسودان واليمن وأفغانستان. وفي ذلك الوقت وقع الرئيس الأمريكي السابق (بيل كلينتون) قانوناً ضد الإرهاب يسمح لأمريكا بتجفيف المصادر المالية للمنظمات الإرهابية، وقد استفيد من هذا القانون في منع (بن لادن) من الوصول إلى أمواله التي تربو على (٢٥٠) مليون دولار[١].

وبعد عدَّة أشهر أعلن جهاز الأمن المصري أنَّ (بن لادن) يدرب (١٠٠٠) مقاتل من الجيل الثاني للأفغان العرب للقيام بثورات إسلامية في البلدان العربية[٢].

وفي نيسان ١٩٩٧م أعلنت وكالة الاستخبارات الأمريكية (السي. آي. أي) أنَّها شكلت مجموعة خاصة للذهاب إلى مدينة بيشاور الباكستانية لإخراج (بن لادن) من باكستان، وأنَّ الأمريكيين طلبوا مساعدة الأفغان والباكستانيين في إنجاز هذه المهمة. لكن الأمريكيين أوقفوا العمل بهذه المهمة، ولم يصدروا توضيحات مقنعة عن سبب توقف (السي. آي. أي) عن هذه المهمة.

وبعد عدَّة أشهر أصدرت المجموعات المتحالفة مع (القاعدة) بياناً أعلنت فيه دعم الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود

---

(١) Giacomo carol, us, lists Saude businessman as extremist sponsor, Washington, post 14 augast 1996.

(٢) Afp, «bin laden taraining young islamists alleges eygpt» 18 February 1997.

والمسيحيين[1]. وتضمن هذا البيان فتوى بهذا المضمون تقول: «إنَّ حكم قتل الأمريكيين وحلفائهم من العسكريين أو غير العسكريين واجب شخصي على كل مسلم في أية دولة يستطيع القيام بهذا العمل».

وفي آب ١٩٩٨م فجِّرت السفارات الأمريكية في كل من: كينيا وتنزانيا. وقتل (٣٢٠) شخصاً، واتهمت أمريكا حينها (بن لادن) بأنَّه وراء هذه التفجيرات، وقام الجيش الأمريكي بعد (١٣) يوماً من تفجير السفارات بقصف مقرات (بن لادن) الواقعة في أطراف (خوست وجلال آباد) بـ(٧٠) صاروخاً من نوع كروز مستهدفة (مواقع البدر) و(خالد بن الوليد) و(معاوية) تحديداً. وقتل في هذا القصف (١٧) شخصاً من العرب و(٧) من الباكستانيين و(٢) من الأفغان، أي أنَّ عدد القتلى بلغ نصف عدد الصواريخ التي أطلقت على تلك المواقع.

وفي ذلك الوقت كانت الحكومة الأمريكية قد جعلت من (بن لادن) غولاً تنسب إليه كل ما يستهدف أمريكا من أعمال. في حين توجد لدى بعض أوساط الخبراء الأمريكيين شكوكاً كثيرة جداً[2] بشأن هذا الأمر، أي وقوف (بن لادن) وراء أكثر العمليات التي تستهدف المصالح الأمريكية[3].

---

(١) في ٢٣ شباط ١٩٩٨م صدر بيان عن اجتماع عقد في المقر الأصلي في مدينة خوست الأفغانية جاء فيه: «تحتل الولايات المتحدة منذ أكثر من سبع سنين الأراضي الإسلامية وبالأخص الأماكن المقدَّسة في الجزيرة العربية، وتستنزف ثرواتها، وتتآمر على حكَّامها، وتذلّ رجالها وتحتقرهم، وتخيف جيرانها، فيما تحولت قواعدها العسكرية إلى رأس حربة تحارب بها المسلمين في البلدان المجاورة».

(٢) Newsweek magazine, making asymbol of terror, 1 march 1999.

(٣) في الشكوى التي أقيمت على (بن لادن) من قبل محكمة نيويورك، أتهم (بن لادن) بقتل (١٨) جندياً أمريكياً في (مقاديشو) العاصمة الصومالية عام ١٩٩٣م وموت =

أحد أعضاء (القاعدة) كان قد تحدَّث قائلاً: «إنَّه في أوائل عام ٢٠٠١م أصدر قائد تنظيم القاعدة أمراً بإعداد قائمة من الأفراد الذين لديهم استعداد للقيام بعمليات انتحارية. وقد أبدى (١٢٢) شخصاً من: قندهار وكابول وشرق أفغانستان استعدادهم للقيام بهذ العمل. وكان أعضاء القاعدة يصرِّحون في كل محفل ومناسبة قبل عدة أشهر من أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م بأنَّ هناك عمليات كبرى ستحصل ضد أمريكا، حتى تسرَّبت معلومات عن هؤلاء قولهم: إنَّنا نقلنا ثلاثة آلاف كيلوغرام من المتفجرات من مكان إلى آخر لتوجيه ضربة قاصمة للعدو غير قابلة للجبران، ولهذا السبب اتهمت القاعدة في اللحظات الأولى من الهجوم على نيويورك وواشنطن بأنَّها المسؤول الأول عن هذه الحملات[1].

٣ ـ حادثة ١١ أيلول ذريعة لشن الحرب الصليبية:

بحسب هذه الفرضية إنَّ كلاً من (بوش) و(بن لادن) كانا وراء الحرب الصليبية، وكلاهما يعتقدان أنَّ ١١ أيلول بداية الحرب الصليبية الجديدة بين الإسلام والمسيحية، ولهذا السبب اتهم (بوش) فور وقوع حادثة الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م العالم الإسلامي، واعتبر في خطاب كان قد أعدَّ مسبقاً أنَّ ذلك سيكون بداية لحرب

خمسة عمال بتفجيرهم بقنبلة في الرياض عام ١٩٩٥م وموت (١٩) عسكرياً أمريكياً آخر، وبتفجيرات برجي مركز التجارة العالمي عام ١٩٩٣م، وخطة قتل (كلينتون) الرئيس الأمريكي في (الفلبين) وخطة لتفجير عدة طائرات مدنية في عام ١٩٩٥م. (صحيفة «time» طبعة أمريكا ٢١ أيلول ١٩٩٨م).

(١) مجده، وحيد، أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان (كابول: ٢٠٠٢م) دار ميوند، ص٥٢.

صليبية جديدة، وأعلن أنَّ هذه الحرب ستكون قريبة ضد الإرهاب، وستستغرق زمناً طويلاً. وقد ووجه تصريح بوش بالحرب الصليبية بحملة انتقادات في أمريكا وفي أوروبا وفي الدول الإسلامية، الأمر الذي دفع بالمسؤولين الأمريكيين إلى حذف عبارة (الحرب الصليبية) من خطاب بوش. أما المحللون والمطلعون على الأُمور فقد كانوا يعتقدون أنَّ (بوش) كان صادقاً في خطابه الأول فيما يخص إشارته إلى الحرب الصليبية.

الخطوات العسكرية والمواقف السياسية التي اتخذتها أمريكا فيما بعد في العالم الإسلامي تشير إلى أنَّ (بوش) و(بن لادن) كلاهما وراء إثارة حرب جديدة بين العالمين المسيحي والإسلامي[1]. (بوش) و(بن لادن) كلاهما لديهما أفكار متطرفة، وكلاهما لا يمثلان إلاَّ شريحة صغيرة، لكن كليهما حينما يتحدث، يتحدث وكأنَّه يمثل المسيحية

---

(١) تحتاج القوى الكبرى كما هو معروف إلى خلق عدو قوي لتبرير أعمالها وسياساتها.. ففي أي وقت لا يوجد فيه منافس حقيقي يقوم المفكرون بخلق منافس وهمي حتى ينقذوا القوى السلطوية من الركود والاضمحلال، فالأمبراطورية الرومانية تعتبر نموذجاً تأريخياً في الحضارة الغربية على ذلك. فعندما سيطر الجيش الروماني على (حضارة الكارتاج) لم يبق أمام الأمبراطورية الرومانية أي منافس آخر، وحينها طرح هذا السؤال، وهو: إذا كان لا يوجد منافس للأمبراطورية الرومانية فسوف تضعف بالتدريج وستضمحل حضارتها في مثل هذا الحال. لذلك أقدم المفكرون الرومان على تقسيم جديد للعالم، هو أنَّ العالم ينقسم إلى روم أهل المدنية والحضارة، وعالم متوحش، وبهذا التقسيم أوجدت الأمبراطورية الرومانية عدواً جديداً، وفتحت جبهات حرب لها. لذلك فإنَّ (جورج بوش) ورفاقه بعد سقوط الاتحاد السوفياتي المنافس الحقيقي للولايات المتحدة؛ استخدموا نفس الأسلوب الروماني، حيث وضع صاحب فكرة صراع الحضارات (صموئيل هانغتون) خطة مشابهة للمفكرين الرومان، واختلق عدواً جديداً للحضارة الغربية واعتبر ما يُسمَّى بالإرهاب الإسلامي هو العدو الجديد للغرب.

بالنسبة لبوش، أو يمثل الإسلام بالنسبة لـ(بن لادن) في العالم. . . بينما نجد أنَّ كل منهما يكمل عمل الآخر.

وعلى أساس هذه الفرضية: إنَّ للقاعدة دوراً في حادثة الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م. .

لكن كيف قامت (القاعدة) بهذا الدور؟

تقول هذه الفرضية: إنَّ ثمة جهاز قوي يقف خلف الستار، لدرجة أنَّه حتى قيادات (القاعدة) قد لا تعرفه، وقد استدرج هذا الجهاز (تنظيم القاعدة) للقيام بعمل ينسجم مع ما يريده الآخرون. ولهذا السبب: إنَّ المنفذين لهذه العمليات لم يكونوا على اطلاع على كل أبعاد هذه العمليات. فأشخاص على مستوى من المعرفة والتحصيل الدراسي ويعيشون عيشة مرفهة يقومون بمثل هذا العمل، ويجرُّون آلاف الأشخاص الآخرين معهم إلى الموت أمر لا يصدق. لذا: إنَّ المنفذين لحادثة الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م هم مجرد أدوات لفريق المحافظين اليهود الجدد في أمريكا. فهؤلاء ركبوا الطائرات المدنية يوم الحادثة، ولكن بتحطم الطائرات لم يبق أي أثر منهم لمعرفة الحقيقة. وحتى إذا قبلنا أنَّ المنفذين كانوا يعلمون بأنَّهم يذهبون إلى الموت ويجرُّون آلاف الأشخاص معهم إلى هذا المصير المحتوم، يُثار السؤال التالي وهو:

كيف تمكَّن هؤلاء من اختطاف عدَّة طائرات مدنية بشكل منظم والسيطرة عليها؟

وكيف استطاع هؤلاء استدراج هذه الطائرات الضخمة وبمهارة فنية نحو الاصطدام ببرجي مركز التجارة العالمي؟

ثمَّ لماذا لم تبد منظومة الدفاع الجوي الأمريكية خلال هذه الفترة أي رد فعل وتسقط هذه الطائرات؟

وإذا كانت الطائرات قد اختطفت، فلماذا لم يستفد الطيار من أزرار قيادة الطائرة أتوماتيكياً؟ ولماذا لم يستفد من زر الخطر الموجود أمامه على اللوحة؟

لماذا لم يخبر الطيار بأيّ تقرير حول اختطافهم واتجاههم نحو البرج؟

إذا كانت ثمان طائرات قد اختطفت، فالأربع طائرات الأُخرى ماذا حصل لها؟

إذا قبلنا أنَّ الطائرات قد اختطفت، فكيف تمكن طيارون قليلو الخبرة وبدون التنسيق والاتصال مع المطار من قيادة هذه الطائرات نحو برجي مركز التجارة العالمي، وبدون موافقة ورضى الطيارين الأصليين؟

كيف تمكن المختطفون من اختطاف (٤ ـ ٨) طائرات في مدة ربع ساعة؟

لماذا ألغى رئيس وزراء إسرائيل سفره الذي كان مقرراً يوم الحادي عشر من أيلول إلى أمريكا عشية وقوع الحادثة؟

ويظهر أنَّ عدم اتضاح الحقائق أفاد كلاً من (تنظيم القاعدة وبوش) في مواصلة ادعاءاتهم حول الحرب الصليبية، فالقاعدة استطاعت أن تظهر نفسها كمنظمة قوية وصاحبة سطوة، وأمريكا أيضاً تمكنت من تبرير هجماتها العسكرية على الدول الإسلامية. فأمريكا ما أن تغيَّرت سياستها بعد الحادي عشر من أيلول حتى قررت استهداف

(القاعدة والطالبان) معاً في هجماتها العسكرية. وبذلك فقد (الطالبان والقاعدة) مواقعهما في أفغانستان وفرَّ (الملا عمر وبن لادن) وسائر قيادات كلا المجموعتين. أمَّا أمريكا فقد أسدلت الستار على موضوع إلقاء القبض عليهما واعتقالهما، بعدما احتلت هذا البلد واستقرت فيه.

على أيِّ حال، فإنَّ حادثة الحادي عشر من أيلول خلَّصت الأمبراطورية الأمريكية من مشكلة عدم وجود عدو جديد، فقد خلقت لها عدواً جديداً حتى تفرض نفسها قطباً أحادياً على العالم، وتتمكن من إقامة قواعد عسكرية في مناطق الشرق الأوسط وآسيا. وهذا العدو الوهمي الذي خلقته أمريكا يعتبر نفسه أنَّه يستند إلى الحضارة الإسلامية العظيمة، وعلى هذا الأساس، فإنَّهم يريدون أن يوضحوا أنَّ حرب الحضارات قد وقعت، وأنَّ حادثة الحادي عشر من أيلول كانت تستهدف في الظاهر رمز الحضارة الأمريكية، وهذا ما كان يحتاجه المحافظون الجدد اليهود في البيت الأبيض لكي يحركوا ماكنة حربهم.

وعلى أيِّ حال، فإنَّ الحقائق الخاصة بأحداث الحادي عشر من أيلول لم تتكشف بعد، إذ أنَّ الكثير من الأُمور ما زالت غامضة، و(حكومة بوش) ليس لديها استعداد للإجابة على التساؤلات المطروحة حول هذه الحادثة، وتوضيح كيفية اصطدام طائرات مدنية ببنايات معروفة في أمريكا.

(حكومة بوش) وظفت هذه الحادثة في استصدار العديد من القرارات من الأُمم المتحدة ضد الإرهاب، كالقرار (١٣٦٨) الذي صادق عليه مجلس الأمن بتاريخ ١٢ أيلول ٢٠٠١م[١].

---

(١) يتضمن القرار (١٣٦٨) إدانة هجوم ١١ أيلول إضافة إلى: المطلوب من جميع الدول =

فهم الأمريكيون هذا القرار على أنَّ (مجلس الأمن) قد منحهم التفويض لشن الحرب على أفغانستان، ولكن هل القرار يمنح الأمريكيين فعلاً مثل هذا التفويض؟

(كوفي عنان) الأمين العام للأمم المتحدة كان قد قال: إنَّ القرار يلمح إلى هذا التفويض، ولا يمكن أن يكون أساساً للهجوم على أفغانستان. بل حتى لو كان (تنظيم القاعدة) مسؤولاً عن الحادثة، وامتنعت (حكومة الطالبان) عن تسليم عناصر القاعدة إلى الولايات المتحدة، فإنَّ هذه الحجَّة لا يمكن أن تكون مبرراً للهجوم العسكري على أفغانستان.

ويبدو أنَّ (الطالبان) و(القاعدة) ما كانوا يتوقعون أنَّ الهجوم العسكري الأمريكي سيكون بهذا المستوى من الضخامة، وسيستهدف إسقاط النظام الطالباني. ولكن رغم أنَّ (الطالبان) فوجئوا باتساع نطاق الحملة العسكرية الأمريكية البريطانية إلاَّ أنَّ هناك بعض العوامل ساهمت في إسقاط (حركة الطالبان) بعد وقوع الهجوم العسكري الأمريكي البريطاني منها ما يلي:

١ ـ توقف الدعم العسكري الباكستاني لحركة الطالبان. ممَّا أدَّى إلى نقص شديد في الدعم اللوجيستي للحركة.

التعاون فيما بينها بشكل سريع من أجل تقديم المقصرين والمنظمين والمسؤولين عن هذه الهجمات، والتأكيد على اعتبار كل من يدعم أو يحتضن المسببين والمنظمين والمخططين لهذه العمليات مشاركاً في المسؤولية عنها. وجاء في بند آخر من القرار: يعلن مجلس الأمن أنّه على استعداد تام لاتخاذ الخطوات اللازمة للرد على هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١م الإرهابية، والتصدي لكل أشكال الإرهاب ضمن مسؤولياته التي يحددها ميثاق الأمم المتحدة.

٢ ـ عدم وجود قيادة عسكرية ذات خبرة ومقتدرة وقادرة على مواجهة الدول القوية، ثم إنَّ (قوات الطالبان) لم تكن متدربة على خوض مثل هذه الحروب.

٣ ـ فقدان الطالبان لدعم الشعب الأفغاني، حيث كانت تفتقد إلى القاعدة الشعبية العريضة في الكثير من مناطق أفغانستان وخصوصاً في شمال هذه البلاد ووسطها.

٤ ـ تعاون (قوات التحالف الشمالي) مع (القوات الأمريكية) من أجل إيجاد جبهة داخلية لتسريع إسقاط حركة الطالبان.

* * *

تنظيم القاعدة هو سبب سقوط الطالبان

تأسس (تنظيم القاعدة) خلال فترة (حرب المجاهدين) مع الجيش الروسي في مدينة (بيشاور) الباكستانية بواسطة (بن لادن)[١]. باسم (قاعدة الأنصار) والهدف من تأسيس هذا التنظيم هو مساعدة الشباب العربي الذين جاءوا إلى (أفغانستان) للمشاركة في (الجهاد) ضد الروس.

بعد سقوط النظام الشيوعي، وتشكيل (حكومة المجاهدين) في أفغانستان، عايش هؤلاء الشباب العرب الحرب الداخلية بين

---

(١) (أسامة بن لادن) هو الابن السابع عشر لأب يمني ولأمّ سعودية ولد عام ١٩٥٧م ودرس في المدارس السعودية، وحصل على درجة الماجستير في موضوع (الإدارة التجارية) في (جامعة الملك عبد العزيز) في جدة. وبعد ذلك اتجه إلى الدراسات الإسلامية. وطبقاً لما قاله (أحمد رشيد) الصحفي الباكستاني المعروف، والذي كان له حضور وسط (حركة الطالبان) لسنين طويلة إنَّ منظمة استخبارات الجيش الباكستاني (الآي اس آي) كانت قد طلبت من (تركي بن فيصل) رئيس الأمن السعودي إرسال أحد الأمراء السعوديين ليصبح قائداً لقوات المجاهدين العرب الذين جاءوا من السعودية ومن باقي البلدان العربية، غير أنَّ أياً من هؤلاء الأمراء الأثرياء لم يكونوا على استعداد للذهاب إلى أفغانستان التي لا تتوفر فيها وسائل الراحة والترف التي اعتادوا عليها في بلادهم، أما (أسامة بن لادن) الذي كان مقرباً من العائلة السعودية والثري جداً فقد قبل بأن يكون قائداً للقوات التي جاءت من السعودية. وأصبح (بن لادن) و(الأمير فيصل) والعميد (كل) رئيس جهاز (الآي. اس. آي) الباكستاني أصدقاء حميمين وتجمعهم دوافع مشتركة.

المجاهدين، وأفقدتهم هذه المشاهد الميدانية الأمل في إقامة حكومة إسلامية في أفغانستان، حيث يئسوا تماماً من تحقيق هذا الهدف، ولذلك عاد (بن لادن) إلى السعودية، وهناك قدَّم للحكومة السعودية اقتراحاً على خلفية معرفته بخطورة نظام (صدام حسين) ينص هذا المقترح على تشكيل فرقة إسلامية للدفاع عن المنطقة، لكن الحكومة السعودية خالفت هذا الاقتراح، فيما سافر (بن لادن) إلى السودان.

وفي عام ١٩٩٦م التقى ثلاثة أشخاص من قيادات (مجلس جلال آباد) كانوا قد دعوا إلى (السودان) للمشاركة في احتفالات الثورة السودانية. وفي هذا اللقاء اقترح هؤلاء على (أسامة بن لادن) المجيء إلى أفغانستان[١]. إذ كانت الحكومة السودانية تتعرض إلى ضغوط أمريكية لإخراج (أسامة بن لادن) من السودان، فخرج (بن لادن) من السودان. وأصبح تحت حماية (مولوي خالص). وفي هذه الأثناء كانت (حركة الطالبان) القوَّة الجديدة تتقدم بسرعة في مناطق البشتون، حيث سيطرت على (مدينة جلال آباد) وأصبح (أسامة بن لادن) إلى جانبها. واستطاع (بن لادن) وبالاستفادة من أمواله تحقيق نفوذ مهم داخل (حركة الطالبان).

بعد لقاء (أسامة بن لادن) بـ(أيمن الظواهري) معاون قائد (حركة جماعة الجهاد المصرية) تحدث معه حول تشكيل تنظيم مشترك، وفي النهاية أعلنا عن اتحاد (قاعدة الأنصار) و(جماعة الجهاد) بشكل

(١) وحيد، مجده، كان قد أشار في كتابه (أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان) إلى هؤلاء الأشخاص الثلاثة وهم: مهدي محمود من الحزب الإسلامي الذي يقوده مولوي خالص، فضل الحق مجاهد من الحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار، سازنور من الاتحاد الإسلامي بقيادة سياف.

رسمي، وسميت المنظمة الجديدة بـ(قاعدة الجهاد) وأصبح (أسامة بن لادن) قائد المنظمة و(أيمن الظواهري) معاونه. وأسندت المهام العسكرية في المنظمة إلى (أبو حفص) وبعد مصادقته للملا عمر انتقل (بن لادن) وفريقه من (جلال آباد) إلى (مدينة قندهار).

١ ـ تأثير (بن لادن) على الطالبان:

يعتقد بعض خبراء القضية الأفغانية بأنَّ حضور (بن لادن) ومجموعته إلى جانب قيادات الطالبان في (قندهار) أدَّى إلى تغيير جذري في مواقف هذه القيادات السياسية بالنسبة إلى التطورات الدولية. فحتى ما قبل حادثة الحادي عشر من أيلول كانت (حركة الطالبان) تسعى إلى انتزاع اعتراف رسمي بها من الولايات المتحدة الأمريكية. وفي الخامس من شباط عام ٢٠٠١م أي بعد شهر واحد من مجيء الرئيس الأمريكي (جورج دبليو بوش) أعلن وزير خارجية الطالبان (وكيل أحمد المتوكل) استعداد دول العالم للاعتراف الرسمي بحكومة الطالبان، وبعد عدة أسابيع أي بعدما هيأت (ليلى هلمز)[١]

---

(١) (ليلى هلمز) امرأة أفغانية هاجرت منذ الصغر إلى الولايات المتحدة، وتزوجت من روجر هلمز. جدها من أبيها والمسمى بـ(فيض محمد خان زكريا) كان وزير خارجية أفغانستان في عهد حكومة (ظاهر شاه) وزوجها (ابن ريتشارد هلمز) الرئيس السابق لوكالة الاستخبارات الأمريكية (السي آي أي) (ليلى هلمز) سعت إلى إقناع الأمريكيين بحركة الطالبان وبعقائدها بتحسين صورة الحركة وإعطاء انطباع إيجابي عنها، وفي هذا الإطار أعلنت في ربيع عام ٢٠٠٢م خلال لقاء لها مع فصلية bard polotitik أنَّ الطالبان أكثر من حركة أصولية، فإنَّها انعكاس أو تعبير لعادات قبيلة البشتون، وردة فعل قبال حركة الأخوان المسلمين، فحتى تتمكن من منافسة الإخوان والمجاهدين الأفغان يجب أن تكون أكثر منهم يمينية وأكثر التزاماً بالشريعة لكي تكتسب الشرعية.

الأرضية للقاء مبعوث (الملا عمر) مع المسؤولين الأمريكيين، جاء (الملا رحمت الله هاشمي) بصفته المستشار والممثل الخاص للملا عمر[١] جاء إلى أمريكا يوم ١٨ آذار عام ٢٠٠١م وبقي هناك حتى يوم ٢٣ آذار، وتمكن من لقاء مسؤولين في (السي آي أي) وفي البتناغون ووزارة الخارجية الأمريكية[٢]. (ليلى هلمز) قالت في حديث لها مع فصلية (bard politik عدد ربيع ٢٠٠٢):

«إنَّ رحمت الله هاشمي ممثل الملا عمر التقى بأحد المسؤولين السابقين للسي آي أي وكنت أرافقه في هذا اللقاء أيضاً. وقد سأل الشخص المذكور هاشمي قائلاً: لماذا لا ترمون (بن لادن) في قعر بئر؟ أجاب هاشمي: لماذا لا تقوم بمثل هذا العمل أنت؟ المسؤول السابق في السي آي أي قال: نحن اكتشفنا مكانه فأقمارنا الاصطناعية تمكنت من إعداد الصور حول مكانه، ولكن القرار الذي اتخذه المسؤولون الكبار في البيت الأبيض منعنا من القيام بأية عمليات ضده»[٣].

وفي نفس الوقت مارست (الولايات المتحدة الأمريكية) بعد التفجيرات التي حصلت في أفريقيا في آب ١٩٩٨م الضغط على الحكومة السعودية من أجل تسليم (بن لادن) للسلطات الأمريكية.

إثر ذلك سافر (الأمير تركي بن فيصل) رئيس جهاز المخابرات السعودي مرتين إلى (قندهار) وطلب من مسؤولي الطالبان تسليم (بن

---

(١) الأنصاري، خواجه بشير أحمد، أفغانستان في حريق النفط (كابول: ٢٠٠٣م) دار ميوند، ص٧٧.

(٢) New york times march 19, 2001.

(٣) الأنصاري، خواجه بشير أحمد، أفغانستان في حريق النفط (كابول: ٢٠٠٣م) دار ميوند، ص٧٩.

لادن) لكن (الملا عمر) ردَّ على العائلة السعودية بلغة شديدة اللهجة.
وقد أوضح (بن لادن) ما جرى بين السعوديين والملا عمر قائلاً:

«الأمير تركي بن فيصل التقى الملا عمر حتى يسلمنا إلى الوطن، أو يخرجنا من أفغانستان، وأجاب الملا عمر: لا توجد أي روابط مع النظام السعودي حتى يأتي ويطلب منَّا تسليم بن لادن»[١].

ومنذ تلك الحادثة أرسل (بن لادن) المئات من قواته لمساعدة الطالبان في حربها مع معارضيها في مناطق مختلفة من أفغانسان، ومنها أنَّ هذه القوات شاركت في الهجوم الذي شنته (حركة الطالبان) على قوات (أحمد شاه مسعود) وفي المجازر التي اقترفتها الحركة بحق (الشيعة الهزارة) أيضاً.

(الطالبان) في البداية تعاملوا مع قضية (بن لادن) بحيث جعلوها وسيلة مساومة مع أمريكا، فإذا اعترفت أمريكا بشكل رسمي بحكومة الطالبان فالحركة سوف تسمح لابن لادن بالخروج من أفغانستان، ولكن حينما وصلت محادثات الطرفين إلى الطريق المسدود[٢] اتضح للطالبان بأنَّ المصالحة مع أمريكا غير ممكنة، وآنذاك كان (بن لادن) يتمتع بنفوذ مهم داخل (حركة الطالبان) إذ تأثرت الحركة بشعارات (بن لادن) الشمولية والعالمية.

---

(١) Time magazine interview with binladen 19, ganuary, 2-1999.

(٢) الصحفي الباكستاني (أحمد رشيد) في لقاءاته مع الدبلوماسيين الأمريكيين في كانون الثاني عام ١٩٩٩م والتي ضمنها كتابه «الطالبان والمرأة وتجارة المافيا ومشروع النفط العظيم في آسيا الوسطى» يذكر أنَّ وزارة الخارجية الأمريكية كانت على اتصال مباشر مع (الملا عمر) بواسطة خط هاتفي عبر الأقمار الاصطناعية، وكلا الطرفين بحثا نقاطاً مختلفة، ولكن المحادثات لم تنته إلى نتيجة.

٢ ـ (بن لادن) سبب اختلاف حركة الطالبان:

كان عدد من أفراد (حركة الطالبان) لا يفكرون بالشعارات العالمية والمواجهة مع الظلم والاستكبار؛ إنَّما كانوا يسعون إلى إيجاد أرضية مناسبة لقبول (حركة الطالبان) في الساحة الدولية. وهؤلاء يعتقدون أنَّ (تنظيم القاعدة) وشخص (بن لادن) حالا دون تحقيق أهدافهم هذه. وعلى رأس هؤلاء الأفراد (وكيل أحمد متوكل) فهذا الأخير ما أن أصبح وزيراً للخارجية عقب (الملا حسن) حتى قرر إخراج (حكومة الطالبان) من العزلة، لكن (بن لادن) شكَّل عقبة أمام تحقيق أهدافه تلك، ولذلك طلب (متوكل) من(الملا عمر) تحجيم نشاطات (بن لادن) وتحديدها أكثر من ذي قبل، الأمر الذي أزعج (بن لادن) ودعاه إلى الشكوى والتصريح بالقول:

«مرجعيتان تخالفان الجهاد إحداهما أمريكا، والأُخرى وزارة خارجية الطالبان»[١].

(وحيد مجده) الذي كان مساعداً لوزير الخارجية في حكومة الطالبان يقول:

«في صيف عام ٢٠٠١م جاء أحد مراسلي القنوات التلفزيونية العربية إلى أفغانستان لإجراء مقابلة مع (بن لادن) غير أنَّ ضغوط الطالبان منعته من إجراء تلك المقابلة، لكن المراسِل حضر مأدبة طعام كان يحضرها عدد كبير جداً من قيادات القاعدة. وفي هذه المأدبة قال (أيمن الظواهري) نحن سنقوم في القريب العاجل بهجمات كبيرة جداً

---

(١) مجده، وحيد، أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان (كابول: ٢٠٠٢م) دار ميوند، ص١٤٠.

ضد أهداف أمريكية، وأفشى الصحفي هذا الخبر بعد عودته من أفغانستان، وأثار ضجة عالمية، ما اضطر (الظواهري) إلى تكذيب الخبر، لكن بعض الضيوف الذين كانوا قد حضروا المأدبة أكدوا أنَّ (الظواهري) قال مثل هذا الكلام»[١].

بعد انتشار هذا الخبر تولد عند (متوكل) اعتقاد بأنَّه من الآن فصاعداً سيحمِّل العالم (الطالبان) مسؤولية أي هجوم تتعرض له أهداف أمريكية، وسيعتبرها مقصرة في هذا الجانب. أما (الملا عمر) فقد قال:

«إنَّ تصريحات الظواهري كانت غير صحيحة، لكن هذا الشيء حصل والاختلاف حوله ليس بذي فائدة. (متوكل) أوضح موقف الطالبان من (بن لادن) بالشكل التالي: حركة الطالبان كانت تريد تقديم (أسامة بن لادن) إلى محكمة إسلامية مشتركة أو وضعه تحت رقابة مشتركة، غير أنَّ هذا الأمر رفض، ونتيجة لاستمرار هذا الوضع في أفغانستان فرضت الولايات المتحدة في البداية، ثم تلتها الأُمم المتحدة عقوبات على هذا البلد. استمرار هذه العقوبات أبقى الشعب الأفغاني تحت طائلة آثار سوء الأحوال الاقتصادية، ثم انقطاعه عن العالم الخارجي، وأصبحت الحملات الإعلامية على الطالبان أكثر شدة»[٢].

(متوكل) كتب في كتابه بعد حادثة الحادي عشر من أيلول يصف الوضع الأفغاني قبل الهجوم الأمريكي قائلاً:

---

(١) مجده، وحيد، أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان (كابول: ٢٠٠٣م) دار ميوند، ص١٤٠.
(٢) متوكل، مولوي وكيل أحمد، أفغانستان وطالبان (كابول: ٢٠٠٥م) دار ميوند، ص٦٧.

«أصبح الوضع في أفغانستان أكثر سوءاً، و(الطالبان) باتت أمام خيارين، إما تسليم (بن لادن) أو سيبدأ الائتلاف الدولي بدعم باكستان حملته العسكرية على الطالبان».

وفيما يخص معارضته لقرار (الملا عمر) بعدم تسليم (بن لادن) كتب متوكل:

«في النتيجة إنَّ حكومة الطالبان سوف تسقط، وبالتالي تصبح المشكلة ليست مشكلة الضيف (بن لادن) وحسب، بل الضيف والمضيف (الطالبان) فكلاهما سيكونان في مأزق مماثل»[١].

على أنَّ الاختلاف بين (متوكل) و(بن لادن) تصاعد واشتد إلى درجة أنَّ (ملا أمير خان متقي) وزير الأمن والثقافة في (حكومة الطالبان) ذهب من (كابول) إلى (قندهار) لحل هذا الخلاف بين الطرفين[٢].

وفي حديثه مع (متقي) شكى (بن لادن) من الطالبان وقال:

«الطالبان ضيعوا أربع سنين من عمري، وأوجدوا العقبات في طريق جهادنا، فيما الجهاد في الظرف الحالي واجب وفرض عين علينا»[٣].

شكوك الطالبان بخصوص (بن لادن) أدَّى إلى وضع لم يسمح فيه لـ(بن لادن) وتنظيم القاعدة بالخروج من أفغانستان، ولم يسمح لهما ممارسة نشاطاتهما في هذا البلد بحرية.

---

(١) متوكل، مولوي وكيل أحمد، أفغانستان وطالبان (كابول: ٢٠٠٥م) دار ميوند، ص٦٨.

(٢) بين عناصر (حركة الطالبان) كان (طيب آغا) رئيس المكتب الخاص للملا عمر و(عبد الحي مطمئن) من مقربي الملا عمر من حماة (بن لادن).

(٣) مجده، وحيد، أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان (كابول: ٢٠٠٢م) دار ميوند، ص١٤٢.

هذه الأوضاع وفَّرت لأمريكا فرصة مناسبة مكَّنتها ـ بدون معوقات ـ من وضع خطة لشن حملة عسكرية على أفغانستان.

(وكيل أحمد متوكل) شرح هذه الأوضاع قائلاً:

«عندما وقعت حادثة الحادي عشر من أيلول كانت ردة الفعل الرسمية لطالبان هي إدانة هذا العمل، وحذَّرت أمريكا من الهجوم على أفغانستان. وفي هذا الوقت كانت (أمريكا) قد أعلنت أنَّه يجب على (الطالبان) تسليم (بن لادن) وإغلاق كل المعسكرات العائدة للعرب المقيمين في أفغانستان، ووضعها تحت المراقبة الدولية.

ولاتخاذ قرار بشأن مصير (بن لادن) دعت الطالبان (مجالس العلماء) في كافة أنحاء أفغانستان لإبداء رأيها. وقررت هذه المجالس أن يطلب (الملا عمر) من (أسامة بن لادن) الخروج من أفغانستان، غير أنَّ هذا القرار لم ينفذ، والشعب الأفغاني لحد ذلك الوقت لم يكن يعرف لماذا لم ينفذ القرار»[١]؟

هذا وكان (مجلس علماء أفغانستان)[٢] قد أعلن في ذلك الوقت أنَّه إذا هوجمت أفغانستان؛ فسيصبح الجهاد واجباً على كل

---

(١) متوكل، مولوي وكيل أحمد، أفغانستان والطالبان (كابول: ٢٠٠٥م) دار ميوند، ص٧٨.

(٢) راديو الشريعة، راديو الطالبان بث بتاريخ ٢٠ أيلول ٢٠٠١م تقريراً حول فتوى علماء أفغانستان قرأه (أمير خان متقي) وزير الأمن والثقافة في حكومة الطالبان عبر فيه علماء أفغانستان عن مواساتهم لعوائل المنكوبين في الحادثة، وطالبوا الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي بإجراء التحقيقات اللازمة لكشف منفذي هذه الحادثة، وأوصى علماء حركة الطالبان أيضاً بتشجيع (بن لادن) على الخروج من أفغانستان بإرادته وفي وقت مناسب، والإقامة في مكان آخر.

المسلمين في هذه البلاد، وكل من يتعاون مع الكفار يصبح قتله واجباً أيضاً[1].

٣ ـ جهل الطالبان بالوضع العالمي:

في ظل المعادلة المعقدة بين (بن لادن) و(تنظيم القاعدة) وبين (الحكومة الأمريكية) لم تتمكن (حركة الطالبان) من معرفة وتشخيص الظروف الدولية يومذاك بشكل جيد. ثم إنَّ التعاليم العقائدية التي تلقاها أتباع الطالبان في مدارس (جمعية علماء الإسلام) الباكستانية الدينية كان لها أيضاً دوراً مؤثراً في عدم معرفة الطالبان للظروف الدولية. فخلال الهجوم العسكري الأمريكي على أفغانستان أعلنت (جمعية علماء الإسلام) الباكستانية الجهاد ضد أمريكا، وأرسلت وسائر الأحزاب الدينية الأُخرى الآلاف من المتطوعين إلى جبهات الحرب في أفغانستان. وقد استفادت أمريكا وبريطانيا من أفكار الطالبان المتحجِّرة، ووظفتاها في خدمة مصالحهما، فكانتا تطرحان طلباتهما على (حركة الطالبان) بالشكل الذي يجعل خيارات ردّ الحركة الطلابية على هذه الطلبات الرفض فقط، بمعنى أنَّه بسبب عدم معرفة الطالبان بالتحولات الدولية أصبحت قراراتها بالشكل الذي يخدم المصالح الأمريكية، أو بعبارة أُخرى جعل قراراتها بالاتجاه الذي ينسجم مع سياسة وتحركات الحكومة الأمريكية.

وعلى هذا الأساس فإنَّ مسار الأحداث كان متوقعاً لطرف وغير متوقع لطرف آخر، أي أنَّ أمريكا كانت تعرف الخطوات التي ستقدم عليها الطالبان، فيما الطالبان لا تعرف ما ستقدم عليه أمريكا. . .

---

(١) راديو الشريعة ٢٠ أيلول ٢٠٠١م.

ولذلك فالطالبان أثبتت في مقطعي الظهور المفاجىء والسقوط المفاجىء من خلال تعاطيها مع الأُمور، ومن خلال سلوكها؛ أثبتت أنَّها لم تكن على معرفة بأوضاع المنطقة وأوضاع العالم. ففي الوقت الذي كانوا يحققون فيه الانتصارات وبسرعة كبيرة، ما كانوا يعرفون لماذا في كثير من الحالات تستسلم إليهم القيادات المحلية قبل حملتهم العسكرية على مناطق هذه القيادات؟ لم يكونوا يعرفون أنَّهم مدعومين دعماً مباشراً من باكستان، وغير مباشر من الولايات المتحدة وبريطانيا والسعودية والإمارات، ولهذا السبب لم يدركوا أنَّ الظروف قد تغيَّرت بعد حادثة الحادي عشر من أيلول، وأنَّ الداعمين والحماة قد تخلوا أخيراً عن هذا الدعم وهذه الحماية.

ذلك أنَّ التقاليد القروية وبعض التصورات الخرافية في معتقداتهم الدينية كانت تطغى على التحليل السياسي للحركة[1] فالعالم الخارجي أساساً لا وجود له في أذهان الطالبان، بل إنَّ مقولة العالم خارجة عن تفكيرهم، وليس لها أي تأثير على مستقبلهم وقراراتهم، ودون شك: إنَّ تعاطي الطالبان السطحي مع قضايا العالم ناتج عن ثقافتهم القبلية. ولو لم تكن (الطالبان) على هذا الشكل لأبدت مرونة أكثر من أجل الاحتفاظ بسلطتها. وتمكنت قيادات القاعدة من إقناع الطالبان بالتخلي عن تسليم (بن لادن) لأمريكا لمعرفتهم بثقافة الطالبان وطريقة تفكيرهم، وإقناعهم بأنَّ عدم تسليمه سيفرض احترام العالم لحركة طالبان.

---

(١) قيل إنَّ (الملا عمر) قال لأحد الصحفيين الباكستانيين: «نحن لدينا تجارب في هزيمة الكفر، هزمنا الكفر الشيوعي وطردناه من أفغانستان، والآن جاء دور الكفر الأمريكي».

وإلى ذلك فإن العادات والتقاليد القبلية للبشتون لا تسمح بتسليم الضيف أو اللاجىء إليهم إلى عدوه. وأي شخص يرفض لجوءه لسبب قبلي فإنَّ القبيلة ملزمة بتوفير وسائل خروجه وحمايته من المنطقة التي تحت نفوذها. ولكن إذا قبل فإنَّه يصبح عضواً في أسرة القبيلة، وتصبح حمايته والدفاع عنه من قبل القبيلة واجبة وملزمة بنفس الدرجة التي هي لسائر الأعضاء الأصليين فيها[1]. فـ(بن لادن) يعتبر ضيف الطالبان ومن حماة الجهاد في أفغانستان، وكان حليفاً للحركة في حربها الداخلية ضد التحالف الشمالي، فالطالبان يعتبرون عدم الاهتمام بهذه السنن عاراً على الحركة، ولذلك فهم غير مستعدين لتسليم (بن لادن)[2] ومن أجل ذلك كانوا على استعداد لدفع ثمن باهظ أمام الهجوم العسكري الأمريكي على أفغانستان.

كما إنَّ قيادات الطالبان كانوا مغرورين ومعاندين أيضاً، وأخطأوا في تقييم قوتهم بعد حادثة الحادي عشر من أيلول، وإلى ذلك فإنَّ هذه القيادات لم تعر أية أهمية لأرواح الناس، بل حتى لأرواح أتباعهم في الحركة. فلأنَّهم لم يواجهوا الانكسار والهزيمة لمرات عديدة، كان يصعب عليهم التصديق بالانكسار والهزيمة، وكانوا يتوقعون أنَّ أقصى ما ستفعله أمريكا هو كما فعلته في المرة السابقة حيث قصفت مواقع (بن لادن) في (خوست)[3] ومثل هذا

---

(١) البعض يعتقد أنَّه لو كانت قيادات الطالبان تنحدر من مجتمع المدينة لأجرت تسوية مع أمريكا عن طريق المفاوضات ولاستطاعت تبرير ذلك بحفظ المصالح الوطنية.

(٢) البعض يعتقد أنَّ العلاقة النسبية بين (الملا عمر) و(بن لادن) هي التي أدَّت إلى عدم تسليم (بن لادن) للمسؤولين الأمريكيين.

(٣) في السابع من آب عام ١٩٨٨م فجرت سفارات أمريكا في (كينيا وتنزانيا) بالمتفجرات، وحملت أمريكا حينها (بن لادن) المسؤولية عن تلك التفجيرات. =

القصف لا يؤدِّي إلى تدمير هذه المواقع، بل سوف يرفع من محبوبية ورمزية (بن لادن) و(تنظيم القاعدة) لدى الشعوب الإسلامية. وفي أسوأ الأحوال كانت (قيادات الطالبان) ترى أنَّه حتى ولو انكسرت الحركة من جراء الهجمات الأمريكية، فيمكن أن تتغير الظروف وتعود الحركة مرة ثانية إلى السلطة، وفي مثل هذه الحالة فإنَّ (الطالبان) ليست على استعداد للمصالحة مع أمريكا، ثم إنَّه من منطلق مبادئهم ومبانيهم الفكرية والعقائدية لا يمكن تسليم (مجاهد) لأمريكا.

وكان البعض يعتقد أنَّ (الطالبان) عند شنّ أمريكا هجومها العسكري لن تبد أية مقاومة، وتبقى قياداتها سالمة على خلفية هذا الأمل، وهو أنَّ الظروف ستتغير، وفي النهاية مع خروج العسكريين الأمريكيين من أفغانستان ستتوفر الأرضية للعودة إلى السلطة مرة أُخرى. ولهذا السبب فرَّت قيادات (الطالبان والقاعدة) من ساحة المعركة. ولا يستبعد أن يكون (تنظيم القاعدة) هو صاحب هذه الفكرة.

* * *

وفي تاريخ ٢٠ آب ١٩٨٨م قصفت أمريكا مواقع (بن لادن) في (خوست وجلال آباد) الأفغانية بسبعين صاروخ كروز، وقتل ٢١ شخصاً جراء هذا القصف.

تغيّر السياسة الباكستانية تجاه الطالبان

على الرغم من أنَّ (حكومة باكستان) لم تكن لديها رغبة في التفريط بالوضع الأفغاني الذي خططت له على مدى سنين كثيرة، إلاَّ أنَّ (برويز مشرف) شخَّص أنَّه من أجل بقاء باكستان فلا بدَّ من صرف النظر عن الطالبان.

و(مشرف) كان يتصوَّر في البداية أنَّه بإيجاد (طالبان معتدلة) يمكنه الاحتفاظ ببعض العناصر الطالبانية التي ربتهم وصنعتهم باكستان على عينها، والتضحية بالعناصر المتطرفة، غير أنَّ هذه السياسة أخفقت أيضاً على الصعيد العملي، ولم تؤدِّ إلى نتيجة.

على أيٍّ حال، إنَّ التغيير السياسي الذي حصل في (الباكستان) كان على قدر كبير من الأهمية والخطورة، ولو لم تكن (حكومة مشرف) الانقلابية قوية فإنَّ هذا التغيير السياسي كان من ممكن أن ينجرّ إلى اضطراب في المجتمع الباكستاني وإلى عدم استقرار في البلد.

تغيير سياسة (حكومة باكستان) بعد حادثة الحادي عشر من أيلول إزاء (الطالبان) كان قاطعاً، لكن هل هذا التغيير كان مفاجئاً أم كان متدرجاً؟

وهل توقف دعم باكستان للطالبان كلياً أم تقلَّص هذا الدعم؟

وهل كان تغيير السياسة الباكستانية تكتيكياً أم استراتيجياً؟

هذا الموضوع نوقش مرَّات عديدة من قبل النخب الفكرية والمسؤولين الباكستانيين. والنقطة المشتركة في الكثير من هذه النقاشات والتحليلات هي أنَّ باكستان كانت مضطرة لانتخاب أحد خيارين: إمَّا بقائها بوقف دعمها للطالبان، وإمَّا استمرار هذا الدعم، وبالتالي يصبح بقائها مهدداً.

وفي هذا السياق قال (الجنرال مشرف):

«من أجل الدفاع عن البلد وضعت الحكومة في أولوياتها أربعة قضايا مهمة هي: حفظ الأمن، والوحدة الوطنية مقابل التهديدات والأخطار الخارجية، وزيادة المساعي والجهود من أجل إحياء الوضع الاقتصادي، والمحافظة على القدرات التي تمكن باكستان من ممارسة الضغط، وتجعلها مهابة مثل: القدرات النووية والصاروخية، وقضية كشمير»[١].

وأكد (مشرف) أنَّ اتخاذ أيِّ قرار خاطىء يعرِّض البلد وبقائه إلى الخطر. وفي محاولة لتحريك الشعب الباكستاني قال أيضاً:

«إنَّ عدونا الهند يريد أن يطرح باكستان كبلد إرهابي حتى تتوفر المبررات لتوجيه ضربة للممتلكات والقدرات الاستراتيجية الباكستانية».

وكأنَّ (مشرف) يريد القول أنَّه من أجل المحافظة على القدرات

---

(١) من خطاب (مشرف) المتلفز للشعب الباكستاني بتاريخ ١٩ أيلول ٢٠٠١م.

النووية للباكستان مقابل الهند، أجبرنا على أن نبتعد عن (إرهاب الطالبان) وإيجاد توازن استراتيجي مقابل الهند، والمحافظة على موقع باكستان في (كشمير) أهم بكثير من المحافظة على موقع باكستان في أفغانستان.

لكن من الناحية العسكرية تعتبر (أفغانستان) العمق الاستراتيجي لباكستان في أية حرب مع الهند. ولذلك فالرأي العام في باكستان والقيادات العسكرية في هذا البلد لم يستوعبوا هذا التغيير في السياسة الباكستانية بسهولة، ما اضطر (مشرف) إلى عقد لقاءات واجتماعات متعددة مع الأحزاب والصحف وجنرالات الجيش الباكستاني، لإقناع هؤلاء بسياسته، حتى اضطر لتغيير بعض قيادات الجيش في إطار هذا الهدف.

أما (أمريكا) فكانت تحتاج لحملتها العسكرية على أفغانستان، ونزول قواتها في الأراضي الأفغانية إلى إسناد جوي، وحتى إلى قواعد تكتيكية في الأراضي الباكستانية و(برويز مشرف) وضع كل الإمكانات اللازمة تحت تصرف الجيش الأمريكي[1]. وقيل إنَّ القرار النهائي بهذا الشأن اتخذ في لقاء سري عقد في مقر أركان الجيش الباكستاني في مدينة (راولبندي) وقد حضر هذا اللقاء كل من: الجنرال مشرف، وقيادات الجيش، والنخب السياسية الباكستانية.

---

(١) من حديثه لقناة (السي. أن. أن) التلفزيونية الأمريكية بتاريخ ٣٠ أيلول ٢٠٠١م، قال (مشرف) بخصوص مساعدة باكستان لأمريكا في حربها على أفغانستان: «أرادوا منَّا وضع معلوماتنا العسكرية حول الطالبان تحت اختيار أمريكا، وأرادوا منَّا الاستفادة من الأجواء الباكستانية، وأرادوا أيضاً أن ندعمهم لوجستياً، ونحن في كل هذه الموارد الثلاثة سوف نتعاون معهم».

وفي نهاية هذا اللقاء التاريخي أقصى (مشرف) الجنرالات الذين لم يوافقوا على التعاون العسكري مع أمريكا من مناصبهم، وعيَّن مكانهم جنرالات آخرين. ذلك أنَّ (مشرف) كان يعرف أنَّ الهجوم العسكري الأمريكي على أفغانستان وإسقاط الطالبان أمر قطعي لا نقاش فيه، وإذا لم تساعد باكستان أمريكا في هذه الحرب فإنَّها ستصبح في جبهة الخاسرين.

مساعي باكستان لإقناع أمريكا بالتفاوض مع الطالبان المعتدلين:

وصلت مساعي (باكستان) في إقناع (الطالبان) بتنفيذ مطالب أمريكا إلى الطريق المسدود. لكن عسكريي باكستان لم يستسلموا لليأس ولم يقطعوا الأمل بشكل كامل من الوصول إلى نتيجة إيجابية مع الحركة. فالجيش الباكستاني كان قد طلب من الأمريكيين الامتناع عن قصف المواقع والمقرَّات الرئيسية لحركة الطالبان، واستجابة لهذا الطلب الباكستاني، لم تتعرض الخطوط الأولى للجبهة ـ في الأسبوعين الأوليين من الهجوم الأمريكي ـ إلى القصف، فخلال هذه المدة كانت الطائرات الأمريكية تقصف المواقع التي أخلاها الطالبان، من مطارات ومقرات الفرق وما إلى ذلك..

فباكستان كانت تريد من وراء ذلك المحافظة على بقاء (القوات الطالبانية) في الخطوط الأولى للجبهة، ومنع قوات (التحالف الشمالي) من السيطرة على مناطق أكثر والانتشار فيها. ومن جهة أُخرى تريد فرصة كافية لتغيير قيادة الطالبان وسياستها من الداخل[1].

---

(١) انديشمند محمد إكرام، سنوات العدوان والمقاومة (كابول: ٢٠٠٤م) دار بيمان، ص٢٦٩.

ففي هذه المدة جاء كل من (وكيل أحمد متوكل) وزير خارجية الطالبان، و(مولوي جلال الدِّين حقاني) وزير (ولاية سرحدات) وحاكمها إلى (إسلام آباد) والتقيا بالمسؤولين في جهاز مخابرات الجيش الباكستاني (الاس. آي. أس) وأجريا معهم مباحثات حول الأمر، لكن المباحثات لم تؤدِّ إلى نتيجة فيما يخص رؤية باكستان بتغيير قيادة الطالبان وحكمها.

على أنَّ الحكومة الباكستانية ـ التي كانت تتابع هذا الأمر ـ طرحت مجموعة من (قيادات الطالبان) على أنَّها تمثل الخط المعتدل في (حركة الطالبان) لخلق أجواء إمكانية المحادثات معهم، وبالتالي إيقاف الحرب.. وتنفيذاً لهذه الخطة دفعت باكستان ـ وبمساعدة العسكريين الأمريكيين ـ أحد قيادات البشتون المسمى (عبد الحق) إلى أفغانستان لكي ينسق مع بعض عناصر الحركة لتغيير قياداتها، لكن هذه الخطة فشلت بإلقاء الطالبان القبض على (عبد الحق) وتنفيذ حكم الإعدام به[١].

أوضح (مشرف) سياسته الرامية إلى استمرار الاتصال مع (حركة الطالبان) قائلاً:

«لحدِّ الآن نحن على صلة وارتباط بأفغانستان والطالبان، نريد تغيير سياسة الطالبان، وجعلها أقل تشدداً وأكثر اعتدالاً، وتقريبها ممَّا

(١) التقى (عبد الحق البشتوني) خلال سفره مع الكثير من الأفراد في أفغانستان. وعندما قرر الخروج من (مدينة لوكر) بطائرة هيليكوبتر أمريكية ألقي القبض عليه من قبل رئيس مخابرات مدينة لوكر من حركة الطالبان، وخلال الاعتقال عثر معه على قائمة الأفراد الذين اتصل بهم (عبد الحق) ونسَّق معهم. قيادات الطالبان قالوا إنَّهم سيرسلونه إلى كابول، ولكنَّهم أعدموه في بداية الطريق إلى العاصمة.

يريده المجتمع الدولي. ولحدِّ الآن نواصل المساعي من أجل إنجاز هذا العمل وتحقيقه»[1].

ولكن السياسة الباكستانية هذه وصلت إلى الطريق المسدود بعد انقضاء أسبوعين على بدء الهجمات الجوية الأمريكية على أفغانستان، وإثر ذلك بدأت القوات الجوية الأمريكية بقصف المواقع الرئيسية لحركة الطالبان في مدينة قندهار. وحينذاك حاولت (باكستان) توفير فرصة لحفظ (قيادات الطالبان) من الموت بفرارهم إلى مناطق القبائل الباكستانية، وحسب تقارير (القوات البريطانية) فقد أدَّى قصف (القوات الأمريكية) إلى إرباك (قيادات الطالبان) ومنعهم من إدارة الحرب بشكل مناسب، الأمر الذي أجبر هذه القيادات على ترك مواقعها القيادية إلى أماكن أُخرى. كما إنَّ الاتصال بين (قوات الطالبان) ومواقعها الخلفية قطع نتيجة توقف العمل بأجهزة الهاتف التي تعمل بالأقمار الصناعية، والتي كانت تشكل وسيلة الاتصال الوحيدة بين (القوات الطالبانية) ما أدَّى إلى الارتباك والفوضى بين هذه القوات، وانتهاء التنسيق فيما بينها. واضطرها ذلك إلى التراجع[2].

التناقض في السياسة الباكستانية:

استمرت سياسة الدعم الباكستاني لحركة الطالبان بعد الانقلاب

---

(١) من حديث لـ(مشرف) مع قناة (السي. ان. ان) التلفزيونية الأمريكية بتاريخ ٣٠ أيلول عام ٢٠٠١م.

(٢) "Center for strategec and international stnlies» «سايت انترنيت مركز المعلومات الاستراتيجي والدولي» الكاتب cordas man- nthony. H. بتاريخ ١٤ تشرين الثاني ٢٠٠١م.

العسكري الذي قام به (برويز مشرف) عام ١٩٩٩م، ولذلك استمر إمداد باكستان للطالبان بالسلاح والتجهيزات العسكرية، لكن عدداً مهماً من الضباط في جهاز مخابرات الجيش الباكستاني (الاس. آي. اس) الذين كانوا يعملون كمستشارين عسكريين للطالبان استدعوا للرجوع إلى بلادهم[١].

وكانت باكستان ترتبط بالطالبان بثلاثة أنواع من الروابط هي: الروابط الأيديولوجية[٢]، والروابط الاستراتيجية، والروابط القومية.

مع صعود (مشرف) ومجيئه للحكم ضعفت الروابط الأيديولوجية بالتدريج حتى تلاشت في النهاية. لكن هناك أفراد داخل الجيش الباكستاني مثل: الجنرال (حميد كل) والجنرال (إسلام بيك) وكلاهما يعدّ من المنظرين الباكستانيين الذين كانوا يعتقدون أنَّ بإمكان (باكستان) ـ باعتبارها قوَّة نووية وقوَّة بشرية، وبمساعدة الدول

---

(١) WWW. chechpiont- Online. ch. 19 march 2004.

(٢) يذكر الصحفي الباكستاني (أحمد رشيد) في نيسان عام ١٩٨٩م، حيث تمَّ خروج كل القوات الروسية من أفغانستان قائلاً: «في طريق العودة من كابول إلى باكستان شاهدت حافلة في منطقة (تشمن) الحدودية ممتلئة بالمجاهدين. لكنَّهم ليسوا من الأفغان إنَّما من الغربيين ذوي البشرة البيضاء والعيون الزرقاء، إنَّهم كانوا من دول آسيا الوسطى، وفي نفس هذه الليلة كانت (بي نظير بوتو) رئيسة وزراء باكستان السابقة قد أقامت مأدبة عشاء للصحفيين في (إسلام آباد) وكان (الجنرال حميد كل) رئيس جهاز مخابرات الجيش الباكستاني (الأس. آي. أس) حاضراً في هذه المأدبة فانتهزت الفرصة وسألته: ألا تشكل دعوة المتطرفين الإسلاميين في البلدان الإسلامية والذين يشكلون مصدر قلق لدولهم خطراً على السياسة الخارجية الباكستانية، وتثير حساسية تلك الدول؟ وفي إجابته قال الجنرال كل: نحن الآن في حالة جهاد، وهذه أول مجموعة إسلامية دولية في الوقت الحاضر. الشيوعيون لديهم مجموعتهم الدولية، والغربيون لديهم حلف الناتو، فلماذا لا يتحد المسلمون ويشكلون جبهة مشتركة»؟.

والمجموعات الإسلامية في آسيا الوسطى وجنوب آسيا ـ بإمكانها إقامة منطقة تحالف أو تجمع إقليمي إسلامي قومي قبال الهند[١].

طبقاً لهذه النظرية كان لأفغانستان دوراً أساسياً بالنسبة لباكستان وكذلك للمجموعات الجهادية والإسلامية، فهي كانت تقدم أكبر مساعدة لحكومة باكستان، لكن بعد انقلاب (برويز مشرف) اهتزت هذه النظرية، وأبدى (مشرف) قلقه من المتطرفين الدينيين في باكستان. ولذلك كان يريد تغيير مناهج التعليم في المدارس الدينية الباكستانية، وإضافة دروس غير دينية في برامج التدريس[٢]، إضافة إلى أنَّ (مشرف) كان يرى أنَّه بدلاً من اعتبار الدول والمجموعات الإسلامية عامل قوَّة ودعم لباكستان، فإنَّ الترويج لفصل الدِّين عن السياسة يعتبر عاملاً لنجاح باكستان.

وتمكن (برويز مشرف) بعد حادثة الحادي عشر من أيلول من طرح نظريته بصراحة وبجرأة أكبر، وأبدى قلقه من خطر المتطرفين الدينيين.

وفيما يخص الروابط الاستراتيجية بين باكستان وأفغانستان تغيَّرت هي الأُخرى بعد حادثة ١١ أيلول، فالذين كانت بيدهم زمام الأُمور في عهد (ضياء الحق) رئيس الوزراء السابق كانوا قد تقدموا بسياسة العمق

---

(١) من حديث (الدكتور روان فرهادي) الممثل الدائم لحكومة أفغانستان بقيادة (برهان الدِّين رباني) مع مراسل الجمهورية الإسلامية في إيران بتاريخ ١٥/٨/٢٠٠١م.

(٢) في حديث له مع قناة (السي. ان. ان) التلفزيونية الأمريكية بتاريخ ٣٠ أيلول ٢٠٠١م أعلن (برويز مشرف) أنَّ في باكستان حوالي ٧ ـ ٨ آلاف مدرسة دينية يواصل فيها حوالي ٦٠٠ ـ ٧٠٠ ألف طالب دراستهم، ويجب أن نضع برامج تعليمية لهذه المدارس، ونريد أن نضيف لبرامج التدريس دروساً غير دينية، إضافة إلى الدروس الدينية.

الاستراتيجي في مواجهتهم للهند. وعلى هذا الأساس كانت (باكستان) دائماً تسعى إلى توسيع نفوذها السياسي والعسكري والاقتصادي في أفغانسنان. ولكن بعد أحداث الحادي عشر من أيلول أصبحت (الحكومة الباكستانية) أمام خيارين: إمَّا أن تعتبر (أفغانستان) فرصتها في الدفاع عنها، وتحسبها عمقها الاستراتيجي. أو أن تعتبر (الطالبان) تهديداً لها، وتلتحق بالاستراتيجية الأمريكية في محاربة الإرهاب.

على أنَّ (برويز مشرف) كان يريد اتباع طريق وسط، يحفظ فيه الروابط العسكرية والاقتصادية والسياسية مع أفغانستان من جهة، ويؤمن لباكستان الانضمام إلى جبهة التحالف الدولي على الإرهاب من جهة أُخرى.

لكن هذه النظرية واجهت مشكلة على صعيد التطبيق العملي، وهي: أنَّ جمعاً من السياسيين والعسكريين والأمنيين الباكستانيين عبروا عن امتعاضهم من سياسة مواجهة الطالبان باعتبارها مجموعة داعمة للإرهاب. وعلى هذا الأساس أحسوا بخطر خسارة كل رأسمالهم المتمثل في كل ما بنوه وأوجدوه في أفغانستان بعد خروج القوات الروسية من أفغانستان، ومن ذلك (حركة الطالبان) نفسها. والأحزاب الدينية من جهتها حذَّرت أيضاً من اصطفاف (باكستان) إلى جانب (أمريكا) من أجل مهاجمة أفغانستان[1]. وهنا اضطر (مشرف) من أجل تبرير تغيير سياسته إلى عقد لقاءات مع: القيادات العليا

---

(١) مع إصدار (مجلس علماء باكستان) فتوى الجهاد ضد أمريكا وحلفائها في حال أقدموا على مهاجمة أفغانستان، حذَّر هذا المجلس ـ باعتباره هيئة دينية عليا في باكستان ـ قائلاً: «إنَّنا نحذِّر رئيس الجمهورية مشرف بأنَّه قبل أن يتخذ أية خطوة لدعم أمريكا يجب أن يأخذ بنظر الحسبان مشاعر الشعب الباكستاني». وكالة الأنباء الفرنسية بتاريخ ١٩/أيلول/٢٠٠١م.

للجيش الباكستاني، ومجلس الأمن القومي، والشخصيات الوطنية والدينية، ورؤساء القبائل، والقيادات الكشميرية، ورؤساء الصحف في البلد حول هذا الأمر.

بين العسكريين الباكستانيين بعض الضباط الشبان الذين لديهم ميول نحو الأحزاب الدينية، كانوا غير مرتاحين للوقوف مع أمريكا في إسقاط الطالبان، ولذلك أصبح (مشرف) من جهة تحت ضغط الحكومة الأمريكية لكي يقدم المساعدات العسكرية لها في الهجوم على أفغانستان(١) ومن جهة أُخرى كان يتعرض للضغط الداخلي كي لا تخسر (باكستان) كل نفوذها وامتيازاتها في (أفغانستان) بسبب وقوفها إلى جانب أمريكا ودعمها إيَّاها في حملتها على (طالبان)(٢).

وفي النهاية اضطر (مشرف) إثر الضغط الداخلي والخارجي المتضاد إلى اتخاذ سياسة متناقضة وغامضة إزاء الطالبان، فهو من جهة أعلن رسمياً أنَّه يتعاون مع (أمريكا) في العمليات ضد الإرهاب في مجال المعلومات والدعم اللوجستي واستفادة أمريكا من أجواء باكستان(٣). وشكك في قدرة (طالبان) على المواجهة قائلاً:

---

(١) أشارت صحيفة الواشنطن تايمز بتاريخ ١٤ أيلول ٢٠٠١م إلى الضغط الأمريكي على باكستان، ونقلت تصريحات وزير الخارجية الأمريكية (كولن باول) في هذا الإطار قوله: «نحن نعتقد أنَّ هذا جيد ـ في إشارة إلى قيادة باكستان ـ فنحن عولنا عليها، وننتظر منها المساعدة والدعم الكاملين».

(٢) (الجنرال مشرف) قال في برنامج تلفزيوني حي بتاريخ ١٩ أيلول عام ٢٠٠١: «أنا وحكومتي قلقون إزاء أفغانستان وطالبان، وأكدنا في كل محادثاتنا ولقاءاتنا مع مسؤولي العالم وقياداته على ضرورة المحادثات مع (الطالبان) بدلاً من عزلهم».

(٣) من حديث لمشرف مع المراسلين والصحفيين الباكستانيين والأحزاب في (إسلام آباد) بتاريخ ١٢ تشرين الأول ٢٠٠١م.

«لا أعتقد أنَّ الطالبان لديها القدرة الكافية للمقاومة أمام هذه الهجمات».

ومن جهة أُخرى دافع (مشرف) ـ حسبما جاء في تصريحاته ـ عن المحافظة على علاقات (إسلام آباد) الدبلوماسية مع (الطالبان) واعتبر ذلك في اتجاه تأمين المصالح الوطنية لباكستان. وأضاف في هذا السياق قائلاً:

«سنجعل الطريق مفتوحاً للحديث مع الطالبان، فيمكن لأي أحد من العالم الاستفادة من هذه الفرصة»[1].

(مشرف) إذاً كان غير مطمئن لمستقبل (أفغانستان) واعترف بأنَّه عقب (العمليات الأمريكية) في (أفغانستان) سيحصل فراغ سياسي في هذا البلد، ولكن يجب ألا يسمح للتحالف الشمالي بملأ هذا الفراغ[2].

تغير سياسية باكستان إزاء الطالبان تركت تداعيات على هذا البلد منها: إزاحة (الجنرال محمود أحمد) رئيس جهاز مخابرات الجيش الباكستاني (الآي. اس. آي) وقد تزامنت إزاحة هذا الجنرال مع الهجوم الأمريكي العسكري على أفغانستان[3].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) سافر (الجنرال محمود أحمد) قبل أسبوع من أحداث الحادي عشر من أيلول إلى أمريكا، والتقى هناك مع المسؤولين في وزارة الخارجية والبنتاغون و(السي. آي. أي) وحسب ما جاء في تقرير صحيفة النيويورك تايمز أنَّ هذه المحادثات استمرت وراء الكواليس إلى أيام ١٢ و١٣ أيلول. صحيفة التايمز الهندية من جهتها كتبت في هذا السياق أنَّ (الجنرال محمود أحمد) كان قد ساعد (محمد عطا) أحد المتهمين باختطاف الطائرات بمبلغ ١٠٠ ألف دولار بواسطة (عمر الشيخ) أما المتحدث باسم الحكومة الباكستانية فقد قال إنَّ (أحمد) قدم طلب إحالته على التقاعد يوم ٨ تشرين الأول.

(مشرف) كان يأمل في تغيير السياسة الباكستانية إزاء أفغانستان، وقيام أمريكا بإلغاء الحصار الاقتصادي الذي فرض على (باكستان) بعد صناعتها للسلاح النووي، وقيامها بتجارب على الصواريخ بعيدة المدى. ومن أجل أن تحافظ على مصالحها في أفغانستان، وصلت إلى هذه النتيجة وهي: أنَّ الحكومة الأفغانية الحالية سوف تسقط، ولا بدَّ من دعم مجموعة جديدة قبال (جبهة التحالف الشمالي).

أما سياسة (الولايات المتحدة) فكانت تتمثل بدعم (الملك الأفغاني ظاهر شاه) وهذا الأخير كان في فترة حكمه مدعوماً من الغرب، ويخالف المظاهر الدينية في المؤسسات الحكومية. ولأنَّ هوى الأمريكان يتجه نحو (ظاهر شاه). أقدم (مشرف) على دعوته للحوار معه حول أُمور (أفغانستان) ومستقبلها السياسي. وقد استجاب (ظاهر شاه) لهذه الدعوة، فجاء إلى (إسلام آباد) على رأس وفد بعد شهر تقريباً من حادثة الحادي عشر من أيلول للقاء المسؤولين الباكستانيين والحوار معهم. ولكن (قوات التحالف الشمالي) تمكنت خلال الهجمات الجوية الأمريكية على أفغانستان من السيطرة على كابول، ما أنهى ذلك أمل (أمريكا) في وصول (ظاهر شاه) إلى السلطة، وبالتالي سقط هذا المشروع نهائياً.

* * *

دور إيران في سقوط الطالبان

يمكن النظر إلى العلاقات الإيرانية الأفغانية من الزاوية التأريخية، فالشعبان الأفغاني والإيراني يرتبطان بروابط ثقافية ودينية ولغوية قديمة. وإذا كان هذا واقع الشعبين فإنَّ الشعب الأفغاني في الجزء الشمالي من أفغانستان يرتبط بروابط أكثر عمقاً، فالطاجيك وأهالي (مدينة هرات) يتكلمون اللغة الفارسية، فيما (الهزارة) ينتمون إلى المذهب الشيعي ويتكلمون الفارسية. وفي الجزء الجنوبي من أفغانستان توجد صلات قرابة بين البشتون السُّنَّة والبلوش السُّنَّة الإيرانيين، وروابط ثقافية ودينية.

ولذلك فإنَّ السياسة الرسمية للجمهورية الإسلامية الإيرانية كانت تتمثل في دعم حكومة قوية ومستقرة تشارك فيها كل القوميات والطوائف الدينية. بينما كانت (حكومة الطالبان) لا تمثل كل القوميات، ولا تعترف ببقية قوميات وشرائح الشعب الأفغاني بشكل رسمي، ما منع ذلك (إيران) من الاعتراف بهذه الحكومة، سيَّما وأنَّ الجمهورية الإسلامية الإيرانية تعتقد أنَّ (مجموعة الطالبان) غير مستقلة ومدعومة من باكستان والسعودية والولايات المتحدة الأمريكية.

وعلى أساس هذا الموقف أعلنت كل من: إيران وروسيا دعم (قوات التحالف الشمالي) في وجه (حركة الطالبان). بدورها (حركة

الطالبان) كانت تعتقد أنَّ (إيران) خلال أزمة مدينة (مزار شريف) كانت ترسل الأسلحة إلى هذه المدينة بمعدل (٢٢) رحلة جوية يومياً[1].

وعلى أيٍّ حال، فإنَّ حكم الطالبان في كابول ظل على خلاف دائم مع الجمهورية الإسلامية في إيران، وإيران كانت تعتبر الطالبان مجموعة قومية ودينية متطرفة غير منسجمة مع شعاراتها في السياسة الخارجية، وعلى رأس هذه الشعارات: وحدة العالم الإسلامي. بينما على العكس من ذلك ظلت الطالبان تذكي الخلاف الشيعي ـ السني.

إيران والمحافظة على موقعها في أفغانستان:

أقدمت (حركة الطالبان) في آب عام ١٩٩٨م على قتل الدبلوماسيين والموظفين في القنصلية الإيرانية في مدينة (مزار شريف) إثر ذلك تدهورت العلاقات الإيرانية مع نظام الطالبان إلى حدٍّ كبير، وأصبحت أكثر تأزماً من ذي قبل. وبدلاً من أن تبادر (الطالبان) إلى تخفيف التوتر، عبَّرت عن مواقف متناقضة في تبريرها لهذا العمل[2].

وفي المقابل تحركت وحدات عسكرية إيرانية من عدة فرق، واستقرت في منطقة الحدود مع أفغانستان استعداداً لاحتمالات نشوب

---

(١) من حوار لأحمد رشيد الصحفي الباكستاني المعروف مع (الملا محمد عباسي) وزير الصحة في (حكومة الطالبان) بتاريخ ١٥ تموز ١٩٩٩م، تضمنه كتاب: الطالبان والمرأة وتجارة المافيا والمشروع العظيم لنفط آسيا الوسطى. ترجمة نجلة خندق، ص١٢٥.

(٢) أعلن الطالبان مرة أنَّ قتل الدبلوماسيين الإيرانيين ليس من عملهم، وفي مرَّة أخرى تحملوا مسؤولية هذا العمل، فمثلاً (الملا محمد حسن أخوند) وزير الخارجية قال للمراسلين في كابول: «إنَّ الأشخاص الإيرانيين الذين قتلوا لا يعتبرون من وجهة نظرنا دبلوماسيين، لأنَّهم ليس لديهم تأشيرة دخول لأفغانستان من جانب الإمارة الإسلامية».

الحرب بين الطرفين، لكن رغم هذه الأجواء المتوترة احتفظت (إيران) برباطة جأشها وكظمت غيظها، لأنّها تعتقد أنَّ الحرب في المستنقع الأفغاني لا يخدم المصالح الإيرانية في مثل هذه الظروف.

من جانب آخر، أوضح بعض رؤساء (حركة الطالبان) أيضاً أنَّ حادثة قتل الدبلوماسيين الإيرانيين الإرهابية في (مزار شريف) هي جزء من التنافس بين إيران وباكستان على النفوذ في أفغانستان. والباكستانيون يريدون أن تسوء العلاقات بين إيران وطالبان يوماً بعد آخر. ويبدو أنَّ هناك تحليلاً مشابهاً لما تقدم في إيران أيضاً. فكلا الطرفين أصبحا متفقين على أنَّه بدلاً من الحرب والصدام العسكري، ينبغي القيام بتوسيع علاقاتهما الاقتصادية بشكل محدود[1]. وفي هذا الإطار قررت (الحركة) فتح طريق العبور في (إسلام قلعة) عند نقطة الحدود بين البلدين، وكانت (الحركة) قد أغلقته بعد إغلاق سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في (كابول) من قبل الطالبان أنفسهم.

وإلى ذلك، جاءت هيئة تضم تجاراً أفغان برئاسة رئيس التجارة الأفغانية الطالباني لبحث سبل تقوية التبادل التجاري بين البلدين. ونظر البعض إلى هذا التطور على أنَّه اختراق لاحتكار الهيمنة الباكستانية على السوق الأفغانية، فهذه السوق كانت مقفلة لباكستان وحدها، أما فتح الطالبان لطريق (إسلام قلعة) الحدودي، وسماحها للنشاط التجاري بين البلدين فإنَّه يشكل بنظر البعض ضربة اقتصادية لباكستان، لأنَّ البضائع الإيرانية أعلى جودة وأقل سعراً من مثيلاتها

(١) عندما كانت الأزمة بين الطرفين قد وصلت إلى أوجها، أقدمت (الطالبان) على إطلاق سراح عدد من سائقي الشاحنات من الإيرانيين الذين كانت الحركة قد اعتقلتهم وحولتهم إلى أسرى لديها. وساهم هذا الإجراء في تهدئة الرأي العام في إيران.

الباكستانية. ولذلك تحركت (باكستان) لعرقلة تطور العلاقات التجارية بين إيران وطالبان، بل وظلت تسعى إلى قطع هذه العلاقة[1]. غير أنَّ الظروف السياسية والاقتصادية السائدة في ذلك الوقت في المنطقة لم تسمح لباكستان من تحقيق هذا الأمر، وحالت دون وصول الباكستانيين إلى هذا الهدف.

استفادت (إيران) من موقعها الحسَّاس، فقبل هجوم (أمريكا) على أفغانستان تبنت (إيران) لعبة مزدوجة في الساحة الأفغانية، فمن جانب كانت (إيران) تقدم المساعدات العسكرية لجبهة التحالف الشمالي، ومن جهة أُخرى كانت تقيم علاقات سياسية واقتصادية محدودة مع الطالبان. وكان هدف (إيران) من تبني هذه السياسة أن لا تخسر موقعها في (أفغانستان) تحت أي ظرف.

إيران تعتمد طريقاً ثالثاً قبال أمريكا والطالبان:

بعد أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م وتهديد أمريكا بالهجوم العسكري على أفغانستان تغيَّرت الأوضاع في المنطقة. وحذر رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية في رسالة بعث بها إلى أمين عام الأُمم المتحدة (كوفي عنان) من أيّ ردّ فعل متسرّع على هجوم الحادي عشر من أيلول، وأعلن أنَّ الأُمم المتحدة التي تضمّ كل دول

---

(١) عقب الانفجار الذي وقع بالقرب من منزل (الملا عمر) في (قندهار) قتل اثنان من إخوان (الملا عمر) وإحدى زوجاته، وسعت (باكستان) بالاستفادة من وثائق مزورة إلى إلصاق هذا الانفجار بإيران. (وحيد مجده) الذي كان معاوناً لوزير خارجية الطالبان قال في كتابه: أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان ما يلي: «إنَّ باكستان كانت تريد من إبراز هذه الوثائق المزورة تعميق ضغينة (الملا عمر) إزاء إيران».

العالم تعتبر المكان المناسب لإيجاد سبيل وحل مناسب وعادل لاقتلاع جذور هذه الظاهرة (الإرهاب)[1]. وقال (السيِّد محمد خاتمي) أيضاً:

«يجب ألاَّ يردّ على الفاجعة بارتكاب فاجعة أُخرى، ولا ينبغي مهاجمة وإلحاق الضرر بأفراد أبرياء في أفغانستان أو في أيّ مكان آخر»[2].

وإلى ذلك رفضت (إيران) المشاركة في الحرب عندما دعتها أمريكا لهذه المشاركة في الحملة ضد الإرهاب. وفي هذا السياق جاء الموقف قاطعاً وحاسماً عندما أجاب قائد الثورة الإسلامية على مثل هذا الطلب، حيث قال سماحته:

«لا يمكن أن تشارك إيران الإسلامية في عمل تقوده أمريكا»[3].

وبعد الهجوم الأمريكي على أفغانستان، اعتبرت (إيران) أنَّ الهجوم من جانب واحد وبدون موافقة (مجلس الأمن الدولي) هي بدعة أمريكية[4]. وأدانت (إيران) قصف الأهالي الأبرياء في المدن الأفغانية المختلفة. أما في واقع الحال، إذا دققنا بنظرة أعمق في الساحة الأفغانية، فإنَّ إسقاط الطالبان كان يصبُّ في مصلحة إيران

---

(١) وكالة الأنباء الفرنسية بتاريخ ١٧ أيلول ٢٠٠١م.

(٢) وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية في إيران بتاريخ ٢٠/٩/٢٠٠١م حديث السيِّد محمد خاتمي مع رئيس وزراء بريطانيا عبر الهاتف.

(٣) وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية في إيران بتاريخ ٢٧/٩/٢٠٠١م.

(٤) أعلن قائد الثورة الإسلامية السيِّد علي الخامنئي قائلاً: «في أي مكان من العالم تحصل مثل هذه السابقة؟ إنَّهم يتهمون البعض بممارسة الإرهاب، ثم يجعلون من أنفسهم قضاة، ويعينون العقوبة، وبعد ذلك وبذريعة تنفيذ الحكم بحق المتهمين يعرضون شعب بلد بأكمله للصواريخ والقصف الجوي».

الوطنية وأمنها القومي. فمن وجهة النظر الإيرانية تعتبر (حركة الطالبان) مجموعة متطرفة ومنحرفة دينياً.

فالطالبان تعتبر (الشيعة) أعدائها بحسب معتقداتها الدينية، ومن ناحية الانتماءات القومية فهذه الحركة لا تعترف رسمياً بأي طرف آخر من مكونات الشعب الأفغاني سوى البشتون. ومن الناحية السياسية والأمنية كانت مرتبطة بجهاز أمن إحدى الدول الخارجية أو عدد منها.

وعلى هذا الأساس فإنَّ شطب مثل هكذا مجموعة وإزاحتها عن السلطة كان مفيداً لإيران. أما أن يكون إسقاط نظام الطالبان بواسطة القوَّة العسكرية لأكبر قوَّة في العالم أمريكا، فهذا ما كانت تعارضه إيران ولم توافق عليه. لأنَّ مثل هذا الأمر يستجلب خطراً آخر لإيران، أي أنَّ القوات العسكرية الأمريكية باحتلالها لأفغانستان سوف تستقر عند الحدود الشرقية لإيران، وتقيم لها هناك قواعد عسكرية. ومن هذا المنطلق سعت إيران إلى اتخاذ مواقف متفاوتة من جبهة أمريكا وجبهة الطالبان، وتبنَّت خطاً جديداً، وكانت مضطرة في بعض الأحيان إلى الاشتراك مع الجبهات المتخاصمة.

وعند مقارنة خطر (حكومة الطالبان) مع استقرار العسكريين الأمريكيين في أفغانستان يلاحظ أيّ الخطرين أكبر على إيران. رؤية الجمهورية الإسلامية في إيران تقول إنَّ خطر الطالبان كان أكبر، لأنَّ (حكومة الطالبان) تعتبر حكومة أيديولوجية وعدوة بجوار حكومة إيران الأيديولوجية. ثم إنَّ (حكومة الطالبان) تذكِّي الخلافات بين السُّنَّة والشيعة في أفغانستان وفي كل المنطقة. وعلاوة على ذلك فإنَّ أفغانستان تعدّ من الناحية الجيوبولتيكية القناة الرئيسية لنفوذ الحضارة الإيرانية واللغة الفارسية إلى دول آسيا الوسطى. وبإسقاط (حكومة

الطالبان) ينتهي الحاجز الجغرافي بين إيران ودول آسيا الوسطى في منطقة اللغة الفارسية.

وبناءاً على هذه الرؤية يمكن الإشارة إلى هذه القناعة وهي أنَّ المحتلين الأمريكيين لا يمكنهم البقاء طويلاً في هذا البلد، لأنَّ هذا البقاء يعتبر مكلفاً جداً بالنسبة لأمريكا. وعلى هذا الأساس رحبت الجمهورية الإسلامية الإيرانية في ذلك الوقت بإسقاط (حكومة الطالبان) على يد أمريكا، لكنَّها كانت تسعى لزيادة كلفة هذا العمل بالنسبة لأمريكا. ولأنَّ قصد أمريكا من إسقاط الطالبان كان إقامة حكومة بشتونية علمانية في أفغانستان؛ دعمت إيران جبهة التحالف الشمالي والشيعة في أفغانستان.

وكان (دعم إيران) لجبهة التحالف الشمالي قد استمر حتى في أوج الحرب بين أمريكا وحركة الطالبان[1] ولهذا السبب تمكنت هذه الجبهة ـ وخلافاً لإرادة أمريكا ـ من استرجاع مدينة كابول من الطالبان، وبذلك سجل المجاهدون انتصاراً إلى جانب الانتصار الأمريكي.

* * *

(١) أعلن (عبد الله عبد الله) وزير خارجية حكومة (برهان الدِّين رباني) المناوئة للطالبان خلال الهجمات العسكرية الأمريكية على أفغانستان. في مؤتمر صحفي قائلاً: «إنَّ إيران تدعم جبهة التحالف الشمالي من خلال قنوات هي أوسع من القنوات الدبلوماسية، وتقدم لنا المساعدات في مجالات مختلفة، ومن جملتها المساعدات العسكرية». (وكالة الأنباء الفرنسية بتاريخ ٣/ ١٠/ ٢٠٠١م).

السعودية وتغيير المواقف

كانت (السعودية) من ضمن مجموعة الدول الثلاث التي أقامت علاقات دبلوماسية مع (حكومة الطالبان) عندما وصلت هذه الأخيرة إلى السلطة في كابول. وقدَّمت الدعم الضخم لها لكي تنتصر على المجاهدين وتبسط نفوذها على كل أفغانستان. ومن جملة هذا الدعم: في تموز عام ١٩٩٨م أجرى (الأمير تركي بن فيصل) رئيس جهاز المخابرات السعودية لقاءات في مدينة قندهار، وبعد عدة أسابيع أهدى (٤٠٠) سيارة شاحنة صغيرة جديدة لا تزال لوحات أرقامها عربية، كتب عليها كلمة (دبي) أرسلت إلى (قندهار)[١].

كما إنَّ السعوديون ـ ومن أجل إعادة السيطرة الطالبانية على (مدينة مزار الشريف) في شمال أفغانستان ـ أمدوا (الطالبان) بالأموال الطائلة.

أما بالنسبة لموضوع دعم الطالبان لـ(بن لادن) فقد أثَّر تدريجياً على علاقات السعودية بالطالبان. ذلك أنَّ (السعودية) كانت لا تحبذ القبض على (بن لادن) ومحاكمته، لأنَّه يمكن أن يكشف علاقة (بن لادن) بعائلة (آل سعود) والعناصر الخفية لجهاز المخابرات السعودي،

---

(١) رشيد أحمد، الطالبان والمرأة وتجارة المافيا ومشروع النفط العظيم في آسيا الوسطى. ترجمة نجلة خندق (طهران: ٢٠٠١م). دار بقعة، ص٢٨٣.

فالسعودية كانت تحبذ موت (بن لادن) حتى تبقى حقائق الدعم السعودي السري لـ(بن لادن) و(الطالبان) خفية.

كان (السعوديون) في البداية يتصوَّرن أنَّه إذا أجبرت الطالبان على إخراج (بن لادن) من أفغانستان، فإنَّ (الطالبان) سوف تسلمه إلى الحكومة السعودية، لكن عودة (بن لادن) إلى السعودية ستؤدِّي إلى تشديد الضغط الأمريكي على الحكومة السعودية، ولذلك كانت السعودية تسعى إلى حل هذه المشكلة من خلال (حركة الطالبان) حتى يتجنّب السعوديون مثل هذه التبعات. . . وفي هذا الإطار كان (سلمان العربي) السفير السعودي في كابول قد قال لوزير خارجية الطالبان (الملا محمد حسن) في لقاء له في العاصمة الأفغانية وبلغة شديدة اللهجة: «يجب أن تحل مشكلة (بن لادن) على وجه السرعة، يجب أن تصفوا هذا الرجل أو تسلموه إلى أمريكا».

فردَّ عليه (ملا محمد حسن): «كنَّا نحترمكم لأنَّ قبلتنا في الأرض السعودية المقدَّسة، وإلاَّ فإنَّ غيرتكم ورجولتكم كانت معروفة عندنا من قبل»[(١)].

واعتبرت الحكومة السعودية هذا الرد إهانة واحتقاراً لها، وخففت إثر ذلك من علاقاتها مع الطالبان، بينما كانت هذه العلاقة على مستوى بحيث أنَّ ممثل الحكومة السعودية في كابول كان يطّلع من (الطالبان) على دقائق الأُمور في أفغانستان، وتخبره بكل العمليات التي تقوم بها قبل تنفيذها.

---

(١) مجده، وحيد، أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان (كابول: ٢٠٠٢م) دار ميوند، ص١١٣.

لكن بعد تورط (بن لادن) في تفجير السفارات الأمريكية في أفريقيا قطعت السعودية مساعداتها للحركة[1]. ثم انتقلت السعودية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول وكما فعلت باكستان، من الجبهة الداعمة لهذه الحركة إلى الجبهة المضادة لها[2]. ولكن لم تقدِّم أي دعم عسكري للأمريكيين خلافاً لما قام به (برويز مشرف).

بعد مرور تسعة أيام على أحداث الحادي عشر من أيلول ذهب وزير الخارجية السعودي (سعود الفيصل) إلى واشنطن للقاء الرئيس الأمريكي ووزير دفاعه، وأعلن هناك قائلاً:

«كانت للسعودية علاقات دائمة مع كابول (أي مع الطالبان) ولكن عدم تسليم المجرمين أدَّى إلى قطع علاقاتنا مع طالبان».

وعبَّر (سعود الفيصل) عن أمله بأن تسلِّم الطالبان الشخص المشتبه به والمجرمين معه[3].

تغيّر السياسة السعودية إزاء الطالبان، ووجه بردود فعل سلبية داخل السعودية لأنَّ الرأي العام في هذا البلد كان يعارض الحملة العسكرية على أفغانستان، ويرفض السياسة الرسمية لبلده. وقد أدَّى هذا الأمر إلى الاختلاف حتى بين علماء الدِّين السعوديين. ولذلك

---

(١) من حديث للدكتور (روان فرهادي) مندوب جبهة التحالف الشمالي الأفغاني في (منظمة الأمم المتحدة) مع مراسل وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية في إيران بتاريخ ١٥/٨/٢٠٠١م.

(٢) قال وزير الخارجية السعودي (سعود الفيصل) للصحفيين بعد لقائه الرئيس الأمريكي جورج بوش بتاريخ ٣٠ أيلول ٢٠٠١م: «السعودية سوف تسعى بكل قوتها من أجل مواجهة بلاء الإرهاب».

(٣) وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية في إيران بتاريخ ٢٠/أيلول/٢٠٠١م.

كانت الحكومة السعودية قلقة من احتمال صدور فتوى مشتركة من هؤلاء العلماء في شهر رمضان المبارك، حيث كانت الحملات الأمريكية تتواصل على أفغانستان[1]. وبسبب هذا القلق أرسلت الحكومة السعودية رسالة ـ حسبما ذكرته الصحافة الباكستانية ـ أرسلت رسالة سرية إلى (إسلام آباد) أرادت فيها إيقاف الحملات الأمريكية على أفغانستان في شهر رمضان المبارك[2].

لكن في هذه الأثناء أصدر الشيخ (محمود الشاهدي) فتوى بالجهاد ضد أمريكا. وفي نفس الوقت قامت الحكومة السعودية ـ ومن أجل السيطرة على الأوضاع الداخلية ـ بتغيير رئيس جهاز المخابرات السعودي (تركي الفيصل) الذي كان حلقة الوصل بين الحكومة السعودية والطالبان. ووصل الأمر إلى أنَّ الحكومة السعودية سعت حتى إلى إنكار وجود علاقات بينها وحركة الطالبان. بل أنكر السفير السعودي في أفغانستان بعد تغيير نظام الطالبان دور السعودية في إيجاد هذه الحركة، وقال بهذا الصدد:

«إنَّ أمريكا وباكستان هما اللذان أوجدا حركة الطالبان».

في حين أنَّ (الرياض) عندما وجدت أن الطالبان في بداية انطلاقتها قد سيطرت على أكثر من ٩٠٪ من الأراضي الأفغانية والشعب الأفغاني بدأ يشعر بالأمن؛ اعترفت رسمياً بحكومة الطالبان. في الحقيقة كانت الحكومة السعودية تريد إخفاء دورها الأيديولوجي في

---

(١) من الوجوه الأساسية بين علماء السعودية الناشطة والفعَّالة من أجل دعم (حركة الطالبان): الشيخ عبد العزيز بن باز المفتي الأكبر ورئيس المجلس الأعلى لعلماء السعودية، والشيخ محمد بن جابر الذي كان وزيراً للعدل.

(٢) صحيفة (نيوز) الناطقة باللغة الإنجليزية، طبعة راولبندي بتاريخ ٥/١١/٢٠٠١م.

إيجاد الطالبان، بينما كانت تريد طرح (نظام الطالبان) إذا لم يسقط كنموذج مناسب لتصدير أفكار الوهابية. ذلك أنَّ إيجاد مثل هذا النموذج إلى جوار (الحكومة الشيعية في إيران) ينطوي على أهمية كبيرة بالنسبة للحكومة السعودية. لكن بعد تغيّر السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، تغيّر كل شيء ومن جملة ذلك انتهاء الدعم الأيديولوجي والسياسي والمساعدات الاقتصادية السعودية لحركة الطالبان.

* * *

الغزو الأمريكي لأفغانستان
من منظار القانون الدولي

تركت أحداث الحادي عشر من أيلول في نيويورك وواشنطن آثاراً مختلفة في الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية. وفي مجال (القانون الدولي) أيضاً يبدو أنَّه قد طرأت تغيّرات على بعض المفاهيم القانونية كمفهوم (الدفاع المشروع).

يمكن تعريف (الإرهاب) بأنَّه عبارة عن (أيّ عمل عنيف يُراد به نشر الرعب والهلع في الأذهان والإخلال بالنظام العام) لكنَّ (منظمة الأُمم المتحدة) لم تتمكن حتى الآن من بلورة معاهدة شاملة في ما يتعلق بالإرهاب. وعليه فإنَّ ثمة مشكلات أساسية ما زالت تعترض إعطاء تعريف لهذا الجرم.

لكن (منظمة الأُمم المتحدة) كانت قد أجرت دراسات حول الحالات الإرهابية حالة بحالة، ووضعت معاهدات خاصة لمواجهة الحالات المعينة، آخذة بعين الاعتبار المستجدات والحوادث الإرهابية.

وصل عدد هذه المعاهدات إلى اثنتي عشرة معاهدة تمَّت المصادقة عليها خلال الفترة بين عام ١٩٦٣ و١٩٩٩م وهي:

١ ـ معاهدة لاهاي (١٩٧٠م) بخصوص خطف الطائرات وتوقيفها غير المشروع.

٢ ـ معاهدة مونزيال (١٩٧١م) بخصوص مكافحة الأعمال غير المشروعة أثناء الطيران.

٣ ـ معاهدة (١٩٧٣م) بخصوص الحماية الدولية للأشخاص الذين يتمتعون بحصانة دولية (مثل الدبلوماسيين).

٤ ـ المعاهدة الدولية المناهضة لاحتجاز الرهائن (١٩٧٩م).

٥ ـ معاهدة مكافحة تهريب المواد النووية (١٩٨٠م).

٦ ـ المعاهدة المتممة لأمن الملاحة الجوية (١٩٨٨م).

٧ ـ معاهدة مكافحة القرصنة البحرية (١٩٨٨م).

٨ ـ معاهدة مكافحة الأنشطة والأعمال المعادية للمنشآت الساحلية (١٩٨٨م).

٩ ـ معاهدة وضع علامات مسجلة على المتفجرات البلاستيكية لمكافحة أعمال التفجير داخل الطائرات (١٩٩١م).

١٠ ـ معاهدة طوكيو بخصوص أمن الملاحة الجوية (١٩٩٣م).

١١ ـ قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة بخصوص مكافحة الإرهاب (١٩٩٧م).

١٢ ـ المعاهدة الدولية لتجفيف المصادر المالية الممولة للإرهاب والتي لم تصبح ملزمة حتى الآن (١٩٩٩م).

وفي تشرين الأول عام ١٩٩٩م أصدر مجلس الأمن القرار رقم

١ ـ معاهدة لاهاي (١٩٧٠م) بخصوص خطف الطائرات وتوقيفها غير المشروع.

٢ ـ معاهدة مونزيال (١٩٧١م) بخصوص مكافحة الأعمال غير المشروعة أثناء الطيران.

٣ ـ معاهدة (١٩٧٣م) بخصوص الحماية الدولية للأشخاص الذين يتمتعون بحصانة دولية (مثل الدبلوماسيين).

٤ ـ المعاهدة الدولية المناهضة لاحتجاز الرهائن (١٩٧٩م).

٥ ـ معاهدة مكافحة تهريب المواد النووية (١٩٨٠م).

٦ ـ المعاهدة المتممة لأمن الملاحة الجوية (١٩٨٨م).

٧ ـ معاهدة مكافحة القرصنة البحرية (١٩٨٨م).

٨ ـ معاهدة مكافحة الأنشطة والأعمال المعادية للمنشآت الساحلية (١٩٨٨م).

٩ ـ معاهدة وضع علامات مسجلة على المتفجرات البلاستيكية لمكافحة أعمال التفجير داخل الطائرات (١٩٩١م).

١٠ ـ معاهدة طوكيو بخصوص أمن الملاحة الجوية (١٩٩٣م).

١١ ـ قرار الجمعية العمومية للأُمم المتحدة بخصوص مكافحة الإرهاب (١٩٩٧م).

١٢ ـ المعاهدة الدولية لتجفيف المصادر المالية الممولة للإرهاب والتي لم تصبح ملزمة حتى الآن (١٩٩٩م).

وفي تشرين الأول عام ١٩٩٩م أصدر مجلس الأمن القرار رقم

(١٢٦٩) أوضح فيه سياسته العامة إزاء قضية الإرهاب. وأهم بنوده هي:

- إدانة الإرهاب بغض النظر عن الأهداف التي يتطلع إليها الإرهابيون.
- تأكيد الدور الأساس للأُمم المتحدة في التعاون الدولي لمكافحة الإرهاب.
- وفي الفقرة الخامسة: جاء التشديد على أنَّ الإرهاب هو تهديد للسلام والاستقرار الدوليين. وسبق أن اعتبر (مجلس الأمن) حادث تفجير الطائرة الإرهابي في (قضية لوكربي) تهديداً للسلام والاستقرار الدوليين.

وفي قضية الهجوم على السفارات الأمريكية أيضاً توصل (مجلس الأمن) إلى نتيجة مفادها أنَّ الإرهاب يهدِّد السلام والاستقرار في العالم. وبالاستناد إلى الفصل السابع من (ميثاق الأُمم المتحدة) أقدم (مجلس الأمن) على فرض العقوبات على أفغانستان.

وبعد وقوع حادث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م أصدر (مجلس الأمن) قرارين بخصوص العمليات الإرهابية، تضمنا نقاطاً جديرة بالاهتمام سنتطرق إليها فيما بعد.

السؤال الأول الذي يتبادر إلى الأذهان حول الهجوم الإرهابي الذي وقع في الحادي عشر من أيلول هو:

ماذا كانت ماهية هذ الهجوم؟

لقد قال (جورج بوش) في أول مقابلة معه بعد ذلك الحادث:

«نحن نعيش حالة حرب».

ربَّما لهذه العبارة ما يبرّرها من الناحية السياسية، لكنَّها غير صحيحة من الناحية القانونية. لأنَّ هذه الجريمة لا تعتبر جريمة حرب ولا اعتداء، إنَّما الذي حصل هو جريمة إرهابية بحتة.

وكان الأمين العام السابق للأُمم المتحدة (كوفي عنان) والمفوضة العليا لمنظمة حقوق الإنسان (ميري رابينسون) قد أعلنا في سياق ردود الأفعال على هذا الحادث بأنَّ ما حصل كان جريمة بحق البشرية. وكان بعض خبراء القانون قد اتخذوا أيضاً موقفاً مماثلاً تجاه هذا الحدث، وأعلنوا تأييدهم لهذا الموقف.

وقد استند هؤلاء إلى (المادة السابعة) من النظام الداخلي لمحكمة الجزاء الدولية التي تنصُّ على أنَّ الجريمة بحق البشرية تطلق على: «أي هجوم موسع أو منظم على جماعة مدنية، وينجم عنه القتل والاجتثاث والتعذيب و. . .».

غير أنَّ الجريمة المرتكبة كجريمة بحق البشرية، تتخذ طابعاً ومفهوماً أوسع كثيراً، وتسفر عنها أخطاء. وعليه يبدو أنَّه ليس ممكناً اعتبار ما حدث عملاً إجرامياً على البشرية من حيث الماهية. والأدلة على ذلك هي:

١ ـ إنَّ النظام الأساسي لمحكمة الجزاء الدولية لم يصبح ملزماً حتى الآن. كما إنَّ مفهوم الجريمة بحق البشرية المنصوص عليه في (المادة السابعة) في النظام الأساسي لمحكمة الجزاء الدولية، لم يتخذ بعد طابعاً عرفياً.

والتعريف الوحيد للجريمة بحق البشرية الذي اتخذ طابعاً عرفياً هو (المادة السادسة) لمحكمة نورنبرغ العسكرية. وهذه المادة تنصُّ على أنَّ:

«الجريمة بحق البشرية تشتمل على القتل والتدمير والطرد ونحوه من الأعمال اللاإنسانية التي تطال المدنيين و... والتي تتصل بالجريمة بحق السلام أو جريمة حرب».

وعليه فإنَّه طالما ليست هناك حرب في الوقت الراهن، فلا يعتبر هذا الهجوم جريمة بحق البشرية من منظار القانون الدولي العرفي.

٢ ـ لو قبلنا أنَّ العمل الإرهابي المنجز هو جريمة بحق البشرية، فذلك يعني بأنَّ لمحكمة الجزاء الدولية أن تمارس صلاحياتها في ما يتعلق بالأعمال الإرهابية، هذا في حين أنَّ التحقيق في الجريمة الإرهابية ليس من صلاحيات هذه المحكمة. واللافت أنَّ بعض البلدان مثل: الهند وتركيا وسريلانكا كانت قد اقترحت أثناء تدوين النظام الأساسي لمحكمة الجزاء الدولية اعتبار الإرهاب جريمة دولية، وإحالة النظر فيها إلى هذه المحكمة الدولية، لكن دولاً عديدة ومن بينها (الولايات المتحدة الأمريكية) عارضت هذا المقترح لأربعة أسباب هي:

أ ـ جريمة الإرهاب لم تعرّف بعد.

ب ـ جعل جريمة الإرهاب ضمن صلاحيات المحكمة الدولية سيؤدّي إلى تسييس المحكمة.

ج ـ بعض الأعمال الإرهابية ليست بالحجم الذي يمكن معه

النظر فيها من قبل المحكمة الدولية التي تتولى وفق الصلاحيات المخوَّلة إليها النظر في جرائم خطيرة وكبرى تمسّ مصلحة المجتمع الدولي وتثير اهتمامه ومتابعته لها.

د ـ كان الاعتقاد السائد آنذاك بأنَّ التحقيق والنظر في جريمة الإرهاب وإصدار الأحكام بشأنها من قبل المحاكم المحلية أجدى وأكثر فاعلية من إحالتها إلى محكمة الجزاء الدولية.

ولذلك ليس بمقدور (محكمة الجزاء الدولية) اليوم أن تستخدم صلاحياتها بخصوص جريمة الإرهاب.

٣ ـ إثبات وقوع جريمة بحق البشرية رهن بوقوع هجوم واسع. غير أنَّ حادث الهجوم الذي وقع في الحادي عشر من أيلول لم يكن واسعاً. بدليل أنَّ مفهوم (الواسع) بحاجة إلى شروط محددة تتمثل في مفهوم الزمان والمدة التي استغرقها الهجوم.

٤ ـ المدنيون هم المستهدفون من الهجوم الذي يتخذ طابع الجريمة بحق البشرية. بيد أنَّ الأحداث الأخيرة تبدو وكأنَّها استهدفت أصلاً الحكومة الأمريكية، وليس الناس العاديين.

والأدلة أعلاه هي أدلة واضحة لإثبات أنَّ تلك الجريمة كانت جريمة إرهابية، وليست جريمة بحق البشرية. ذلك لأنَّه إذا أطلقنا عليها اسم الجريمة بحق البشرية، نكون بذلك قد وسَّعنا كثيراً مفهوم وشمولية هذه الجريمة، وهذا يتناقض مع الواقع.

قرارات (مجلس الأمن) بخصوص الأعمال الإرهابية ودراسة مفهوم الدفاع المشروع:

في الثاني عشر من أيلول اعتمد (مجلس الأمن) القرار رقم (١٣٦٨) بأغلبية الأصوات بخصوص العمليات الإرهابية.

وفي الثامن والعشرين من أيلول أصدر أيضاً القرار رقم (١٣٧٣).

وصدر القراران بموجب (الفصل السابع) من (ميثاق الأُمم المتحدة) وعلى أساس أنَّ الإرهاب الدولي يشكِّل تهديداً للسلام والاستقرار الدوليين. واللافت هنا هو تصويت (الصين) إلى جانب القرارين. لأنَّ هذه الدولة ـ وخلال فترة الحرب الباردة ـ كانت تمتنع دوماً عن التصويت في حالات حساسة للغاية كالتي كان (مجلس الأمن) يعتزم استخدام القوَّة إزاءها. لكنَّها صوتت هذه المرة مع الدول الأُخرى الأعضاء في (مجلس الأمن) إلى جانب هذين القرارين. الأمر الذي يدلُّ على قلق (الصين) من ظاهرة الإرهاب.

كما إنَّ الأجواء النفسية التي سادت بعد وقوع حادث الحادي عشر من أيلول لم تكن تسمح لأية دولة بالامتناع عن التصويت بعد يوم من وقوع الحادث. وإلاَّ فإنَّ أية معارضة لمثل هذه القرارات، وفي ظل تلك الأجواء سوف تفسر بأنَّها دعم ضمني لهذا العمل الإرهابي، وهذا ما كانت لا ترضاه أية دولة.

القرار رقم (١٣٦٨) على مستوى من الغموض والإبهام بحيث أنَّه في الفقرة الخامسة من القرار يؤكد (مجلس الأمن) استعداده لاتخاذ كافة الإجراءات الضرورية للردِّ على الهجمات الإرهابية. بمعنىً آخر فإنَّ (مجلس الأمن) يعلن استعداده لتأييد أيّ إجراء

عسكري أو أيّ إجراء آخر. كما يوافق من جهة أُخرى على حق الدفاع المشروع فردياً كان أو جماعياً بشأن أحداث نيويورك وواشنطن. وعليه يلاحظ أنَّ هذا القرار متردّد بين تدخل (الأُمم المتحدة) ذاتها، وبين إحالة الأمر إلى (الولايات المتحدة) لتقوم بما يلزم بمفردها.

ويحتمل أن يكون الطلب الأمريكي القاضي بأن تتولى (الولايات المتحدة) الإدارة أحادية الجانب للأزمة دون الرجوع لمجلس الأمن لغرض الامتناع عن تقديم تقارير مستمرة لمجلس الأمن بشأنها، قد أدَّى إلى إحاطة الغموض بقرار مجلس الأمن.

ـ جاء في القرار أنَّ الإرهاب يشكِّل تهديداً للسلام والاستقرار العالميين. ولكن كما أسلفنا سابقاً فإنَّ هذا ليس منطقاً وأسلوباً جديداً. كما إنَّ القرار يؤكد مفهوم الدفاع المشروع أمام العمل الإرهابي، وهذه بدعة جديدة على صعيد القانون الدولي، سنقدِّم الإيضاح بشأنها لاحقاً.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار الغموض الذي يكتنف هذا القرار، يمكننا إعطاء تفسيرين له:

الأول: هو أنَّ (الولايات المتحدة) طبقاً لما ينصّ عليه القرار ليست بحاجة إلى إذن من (مجلس الأمن).

والثاني: هناك من يعتبر أنَّه ما دام (مجلس الأمن) لم يتدخل بنفسه في هذه القضية، فكان ينبغي أن يصدر ثانية إذناً بهذا الصدد. على أية حال الكثير من الدول مثل: الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهما من أعضاء (حلف شمال الأطلسي) قد فسَّرت هذا القرار بأنَّ

(مجلس الأمن) أصدر إذناً باستخدام القوّة العسكرية استناداً إلى مفهوم الدفاع المشروع، بحيث لم تستدع الحاجة إلى الحصول على إذن أو قرار آخر من المجلس. وأنَّ ما أقدمت عليه هذه الدول جاء على أساس مفهوم الدفاع المشروع والمادة (٥١) من ميثاق الأُمم المتحدة.

والسؤال هو: هل الحالة الأخيرة يمكن اعتبارها دفاعاً مشروعاً؟

وإذا كانت كذلك فعلاً، فهل تمَّت مراعاة شروط ومستلزمات الدفاع المشروع، أم أنَّ هناك محاولة لبلورة مفهوم جديد للدفاع المشروع؟

على ما يبدو أنَّ الدول الأعضاء في مجلس الأمن، وأعضاء حلف شمال الأطلسي، وجميع الدول الأُخرى التي لم تعترض على اللجوء إلى (المادة ٥١) قد ساوت بين هجوم إرهابي من قبل منظمة وبين هجوم عدواني من قبل دولة.

شروط الدفاع المشروع منصوص عليها في (المادة ٥١) والتي تقول:

«إذا وقع هجوم مسلح على دولة عضو في الأُمم المتحدة، يحق للدولة الضحية أن تمارس حق الدفاع المشروع إلى حين يتخذ مجلس الأمن الإجراءات اللازمة لضمان السلام والأمن العالميين».

إذاً لأجل إحراز حق الدفاع المشروع، يتعين وقوع هجوم مسلح (كما جاء في نص الميثاق باللغة الإنجليزية) أو وقع عدوان (كما جاء في نص الميثاق باللغة الفرنسية) وعليه طالما يستند (مجلس الأمن) في قراره الأخير على مفهوم الدفاع المشروع، فإنَّه يعني بذلك بأنَّ

الحادث الأخير كان هجوماً مسلحاً. وهذا حادث جديد من نوعه. لأنَّه:

أولاً: يجب أن يكون العدوان قد جاء من قبل دولة، وليس من قبل منظمة إرهابية. والمادة رقم (١) المنصوص عليها في القرار هي تعريف للعدوان الذي أكدته (الجمعية العامة للأُمم المتحدة) في قرارها رقم (٣٣١٤).

كما إنَّ جميع الطروحات حول تعريف جريمة العدوان التي قدمت مؤخراً إلى اللجنة الأولية لمحكمة الجزاء الدولية، تتضمن عنصر الدولة كشرط أساس لإحراز مفهوم العدوان.

ثانياً: في الحادث الأخير كان الهدف هو الدفاع المشروع أمام منظمة إرهابية، وليس أمام دولة. أي بمعنى أنَّه كان من المفروض استخدام القوَّة العسكرية على أراضي دولة آوت هذه المنظمة الإرهابية، وعملت على انتهاك سيادة دولة أُخرى من الناحية القانونية.

بدليل أنَّ تلك الدولة دعمت الإرهابيين، ولم تكترث لواجباتها والتزاماتها الدولية بموجب قرارات الأُمم المتحدة، وعليه يكون من المسموح انتهاك سيادتها. لكن فيما يخص هذا الموضوع المختلف فإنَّه تمَّت المساواة بين تقديم الدعم للإرهاب الدولي والتحريض عليه، وبين الهجوم المسلح، وذلك لكي يحظى استخدام القوَّة العسكرية بالشرعية. بيد أنَّ الكلّ يعرف بأنَّ دعم وتحريض جماعة إرهابية، لا يمكن أن يعتبر هجوماً عسكرياً.

وعليه يبدو أنَّ (الولايات المتحدة) قد استغلت الأجواء الملتهبة في الثاني عشر من أيلول، واستطاعت أن ترغم (مجلس الأمن) على

إصدار مثل هذا القرار، وهو بالطبع قرار استثنائي (اختصَّ فقط بنيويورك وواشنطن، ولا أساس له في ما يتعلق بالهجمات الإرهابية الأُخرى).

٥ ـ اللجوء إلى استخدام القوَّة عند الدفاع المشروع رهن بمراعاة وإحراز عدة شروط وهي:

أ ـ **أن لا تكون هناك وسيلة أُخرى لدرء الخطر.**

ب ـ **قضية حالة الفورية والوضع الوخيم:** فالدفاع المشروع هو في الواقع ردّ فعل إزاء عدوان. وإذا سمحت الدولة الضحية بأن يمضي عليه الزمن؛ استوجب قيام (مجلس الأمن) التابع للأُمم المتحدة بعمل الدفاع المشروع. وحينئذٍ لا يعود بإمكان الدولة الضحية أن تلجأ إلى استخدام السلاح انتقاماً. وفي هذه القضية يبدو أنَّ تلك الدول قبلت بمفهوم الرد المتأخر عوضاً عن المفهوم التقليدي للدفاع المشروع الذي يبتني على أساس الردّ الفوري.

أي بمعنى أنَّ الـ (delayed response) حل محل مفهوم الـ (immeidate reaction).

ج ـ **مدة الدفاع المشروع:** يجب وقف الدفاع المشروع في حال: وقف العمل العدواني، أو تدخَّل مجلس الأمن فوراً. في الدفاع المشروع التقليدي، يسهل تشخيص متى ينتهي الدفاع. لكن في القضية الحالية لم يتم تشخيص مدة

القيام بالدفاع المشروع. حتى قيل إنَّ هذه الحرب ستتواصل لسنوات طويلة.

د ـ **رفع تقرير إلى مجلس الأمن:** الشرط الآخر للدفاع المشروع هو وجوب أن ترفع الدول تقارير مستمرة إلى (مجلس الأمن) حول الدفاع المشروع. بيد أنَّ الولايات المتحدة وبريطانيا لم تقدما مثل هذه التقارير، كما لا يجوز أن تؤثر هذه الإجراءات إطلاقاً على مسؤولية مجلس الأمن في اتخاذ أي إجراء بموجب (ميثاق الأُمم المتحدة) في سبيل إعادة إحلال السلام والاستقرار العالميين.

ومن هذا المنطلق لو افترضنا مثلاً أنَّ الولايات المتحدة لم تكن بحاجة إلى إذن أو قرار من مجلس الأمن، لكن كان عليها على الأقل أن ترفع التقارير عن الإجراءات التي كانت تقوم بها إلى مجلس الأمن، وأن تطالبه على الأقل بأن يبرمج بعض ردود الأفعال العسكرية أو الاقتصادية إزاء الإرهابيين.

هـ ـ **ضرورة مراعاة حقوق الإنسان الدولية:** في القضية الحالية، لم يتمّ مراعاة مبادىء حقوق الصراعات المسلحة. وهذا ما يستوجب حتى العقاب الجزائي للمسؤولين والقادة العسكريين وكل من يتولى المهمة ممَّن لم يراعوا هذه الحقوق.

ففي (كوسوفو) و(أفغانستان) أيضاً، حاولت القوات البريطانية والأمريكية تقليص عدد ضحاياها خوفاً من ردود فعل الرأي العام في البلدين إزاء ارتفاع عدد الضحايا من تلك القوات. ولذلك كانت

طائراتها العسكرية تحلق على ارتفاع عال، وهي بطبيعة الحال في هذه الارتفاعات الشاهقة لم تكن قادرة على التمييز بين الأهداف العسكرية والمدنية، وهذا ما اعترف به حتى الأمريكان والبريطانيون.

وبموجب معاهدة لاهاي (١٩٧٠م) وبروتوكولها الإضافي، لا يتمتع الطرفان بمطلق الحرية في إلحاق الأذى بالعدو.

وأيضاً جاء في الفقرة (٧٨) من الرأي الاستشاري لديوان المحكمة الدولية حول قضية شرعية استخدام الأسلحة النووية (١٩٩٦م) ما يلي:

«لا يجوز للدول أن تستهدف المدنيين، وأن تستخدم السلاح إطلاقاً عندما يصعب التمييز بين العسكريين والمدنيين. وعلى هذا الأساس لا يحق لأية دولة استعمال وتحديد نوعية السلاح المستخدم بشكل مطلق».

بينما تحولت (أفغانستان) اليوم إلى مكان لاختبار أحدث الأسلحة الأمريكية وأكثرها تطوراً.

من جهة أُخرى إنَّ المبادىء الأساسية لحقوق الإنسان الدولية، هو مبدأ عدم إحداث آلام ومتاعب غير ضرورية، كما هو منصوص عليه في المادة (٤٨) من البروتوكول الإضافي الأول لمعاهدة جنيف عام (١٩٤٩م) بخصوص حماية ضحايا المواجهات المسلحة الدولية، وقد جاء فيه:

«إنَّه لأجل ضمان وحماية التجمعات والأهداف المدنية، يتعيَّن على القوى المتصارعة أن تميّز بين العناصر المدنية والعسكرية، وأن تستهدف فقط الأهداف العسكرية».

بينما (الشعب الأفغاني) البريء يواجه خطر المجاعة. وأنَّ تكثيف الهجمات الأمريكية على أفغانستان أدَّى إلى إصابة الأفغان بحالة من الذعر والخوف يعجز اللِّسان عن وصفها.

والهجوم على (أفغانستان) قد تجاهل أيضاً مبدأ التوازن، والذي هو مبدأ آخر من مبادىء المواجهات المسلحة. فالسؤال هو:

هل إنَّ الأدوات والأجهزة المستخدمة مناسبة للقبض على ابن لادن؟

وهل يمكن إلقاء القبض على (ابن لادن) بالقنابل العنقودية؟

وهل ثمة ما يبرر الهجوم الأمريكي المكثف على دولة ليست لها إلاَّ ما ندر من المنشآت؟

كما إنَّه لم يتم خلال الهجمات الأمريكية، مراعاة الضرورات العسكرية. فالمادة (٢٣) من (معاهدة جنيف الرابعة) تؤكد على أنَّه لا يجوز تدمير الثروات والمنشآت المدنية للعدو إلاَّ إذا اقتضت الضرورة العسكرية ذلك.

المبدأ الآخر من مبادىء حقوق المواجهات العسكرية والذي لم يتمّ مراعاته هو (مبدأ توخي الحذر) الذي يستدعي الانتباه عند اتخاذ القرار بشنّ الهجوم العسكري، والذي ينصُّ على إنَّه:

«إذا كنت في شك من أنَّ الهجوم قد يسفر عن نتائج سيِّئة للمدنيين، ولا يراعى فيه مبدأ التوازن؛ عليك أن تمتنع عن إصدار الأمر بالهجوم».

مراعاة المبادىء أعلاه تندرج في إطار القانون الدولي العرفي.

وعلاوة على ذلك فإنَّ الولايات المتحدة الأمريكية هي أيضاً عضو في معاهدات جنيف (١٩٤٩م) ما يحتمّ عليها أن تتصرف بهذا الخصوص وفق التزاماتها الدولية.

لو كان لدى الولايات المتحدة وبريطانيا إذن بالدفاع المشروع، لكنَّهما لم تراعيا مستلزمات الهجوم وحقوق المواجهات المسلحة، فذلك يمكن أن يلقي على مسؤولي البلدين مسؤوليات جزائية. بدليل أنَّ انتهاك بعض الأسس القانونية المتعلقة بالمواجهات المسلحة يعتبر جريمة حرب.

المادة (١٠٧) من (معاهدة جنيف الرابعة) تعتبر خرق أسس المادة (٥٣) بخصوص عدم مراعاة مبدأ التمييز. . . انتهاكاً صارخاً لحقوق وقانون المواجهات المسلحة. وهذا ما تترتب عليه مسؤولية جزائية يحاسب عليها قادة الجيش، وأولئك الذين يرتكبون مثل هذه الأعمال.

واليوم بات واضحاً السبب الذي جعل (الولايات المتحدة) تمتنع عن الانضمام إلى (محكمة الجزاء الدولية) لا بل تقدم أيضاً على تضعيفها. فأمريكا تريد مواصلة انتهاكها للقانون الدولي. وبما أنَّ المحكمة ستكون مستقبلاً هي الجهة المعنية بالنظر في الجرائم، حتى إنَّها تتمتع بصلاحيات تجعلها قادرة على محاكمة أيّ متهم حتى لو لم توافق بلاده على ذلك، لذلك فإنَّ (الولايات المتحدة) تخشى من هذه المحكمة.

وبالطبع إنَّ هناك من يعتبر بأنَّ (الفقرة الخامسة) من القرار رقم (١٣٦٨) تخوّل (مجلس الأمن) اتخاذ أي إجراء لازم لإحلال السلام

والاستقرار في العالم إذا ما تعرَّض لأيّ تهديد، ولكن طالما لم تصدر حتى الآن الإذن لأية دولة للقيام بعمليات عسكرية، فإنَّ الردّ العسكري الأمريكي يعتبر خرقاً لما هو منصوص عليه لفظاً في هذا القرار، كما يعتبر خرقاً للمادة (٥١) من (ميثاق الأُمم المتحدة).

وثمة من يستندون إلى ما جرى في (كوسوفو) لتبرير الإجراءات العسكرية التي تعرَّضت إليها أفغانستان. لكنَّ للرد على هؤلاء نقول:

إنَّ ما كان صحيحاً في (كوسوفو) فهو خاطىء في أفغانستان.

في عام ١٩٩٩م كان (مجلس الأمن) قد وصل إلى طريق مسدود بسبب الموقف الروسي والصيني. بيد أنَّ ما كان عليه الوضع يومذاك يختلف عمَّا هو عليه الآن. ثمَّ إنَّه إذا كان مسموحاً التدخل آنذاك لأغراض إنسانية، ولمنع دولة ما من مواصلة أعمالها الإجرامية، فإنَّه لا معنى اليوم لعبارة إعلان (الحرب الصليبية).

والمؤاخذة الأُخرى على العمليات العسكرية الأمريكية هي أنَّهم ليسوا مخوّلين بالردّ على الإرهاب بالإرهاب. وعليه فإنَّ ما قامت به (الولايات المتحدة) في أفغانستان، يبيِّن بوضوح نزعة الانتقام الأمريكية هناك. ولهذا السبب ليس مسموحاً القيام بهجوم عشوائي ومميت.

وعليه يبدو أنَّ (الولايات المتحدة) حتى إذا استندت إلى مبدأ الدفاع المشروع كما تقول، فإنَّها لم تراعِ مستلزمات الدفاع. وهنا يبرز السؤال التالي وهو:

كيف هي الحال إذاً إذا ما تعرَّضت دول أُخرى عدا (أفغانستان) إلى الهجوم بموجب قرارات مجلس الأمن؟

والجواب هو: إنَّ مثل هذا الهجوم غير مبرر من وجهة النظر القانونية ولعدة أسباب هي:

١ ـ ربَّما يتسبَّب الهجوم على هذه البلدان في توسع الأزمات الاقتصادية والسياسية، وفي نشوب صراع دولي. وهذا يأتي على نقيض الهدف الرئيس لمنظمة الأمم المتحدة، والذي يتمثل في ضمان السلام والأمن الدوليين.

٢ ـ مفهوم الدفاع المشروع هو من مستثنيات استخدام القوَّة المنصوص عليها في (ميثاق الأمم المتحدة) وتأكيداً في (البند الرابع) من (المادة الثانية) للميثاق، والذي هو من القواعد الآمرة في القانون الدولي التي لا يستند إليها إلاَّ في الحالات الاستثنائية. وعليه لا يحق للولايات المتحدة أن تشنّ هجوماً عسكرياً على أية دولة. لأنَّ ذلك هو من صلاحيات (مجلس الأمن) الذي يقرر كيف وبأي شرط يجوز استخدام القوَّة على الدول الأُخرى.

وعلى هذا الأساس فإنَّ هناك ضرورة لتقديم أدلة عن دعم الدولة لمنظمة إرهابية.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ (مجلس الأمن) كان قد دعا (الطالبان) مرة واحدة في عام ألفين وبموجب القرار رقم (١٣٣٣) إلى تسليم (ابن لادن) وإغلاق ملاجىء وقواعد تدريب الإرهابيين. وذلك لاعتقاده بأنَّ (طالبان) ومن خلال إيوائها للإرهابيين، وحثّهم على القيام بأعمال إرهابية قد خرقت التزاماتها الدولية، وشاركت عملياً في عمليات هدَّدت السلام والاستقرار العالميين.

وما يثير القلق هو احتمال أن يتحوَّل العمل الإرهابي ـ الذي يعتبره مجلس الأمن بمثابة هجوم مسلح ـ إلى مبدأ وسابقة مألوفة.

وكما أسلفنا فإنَّ هذا القرار هو قرار استثنائي، ويختص فقط بالأحداث الأخيرة. ولكن بطبيعة الحال يجب على الدول الأعضاء في (منظمة الأُمم المتحدة) أن تتدارس هذا القرار، ثم تؤكد ما إذا كان قراراً استثنائياً صدر فقط بشأن قضية الهجوم على نيويورك وواشنطن، وأنَّه جاء فقط للتعاطي مع تلك الحالة المختلفة، ولا يمكن أن يتحوَّل إلى مبدأ يحتذى به. وإلاَّ ونظراً لتزايد الأعمال الإرهابية في أقاصي العالم سيتم تجاهل مبدأ عدم اللجوء إلى استخدام القوَّة الذي يشكل الحجر الأساس لميثاق الأُمم المتحدة، وسيكون بمقدور كل دولة أن تضع هذا المبدأ جانباً تحت ذريعة الردّ على الهجمات الإرهابية.

بمعنىً آخر إنَّ المجتمع العالمي سيعود ثانية إلى ما كان عليه خلال فترة ما قبل صدور (ميثاق الأُمم المتحدة) وفي ظل أجواء كهذه، سينظر إلى البلدان التي تنسجم مع النظام الدولي كزمرة أعداء، وهذا ما سيشكل خطراً جسيماً.

وهنا نرى من الضروري أن نلقي نظرة على القرار رقم (١٣٧٣) الصادر عن مجلس الأمن في ٢٨ أيلول ٢٠٠١م:

هذا القرار لا يولي اهتماماً خاصاً بالقضية الأفغانية وبـ(ابن لادن) إنَّما هو قرار عام يركّز على تحديد الآليات والأدوات التي يمكن أن تستخدمها البلدان المختلفة في شتى الحالات.

يتضمن هذا القرار جميع الأسس والترتيبات المنصوص عليها في المعاهدات الاثنتي عشرة المتعلقة بظاهرة الإرهاب، والتي تلزم جميع

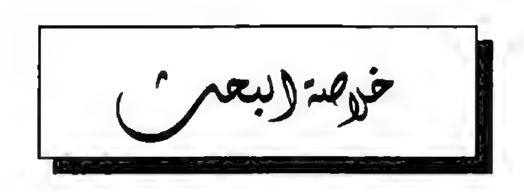
البلدان بتنفيذها. أي تنفيذ ما لم يتم حتى الآن وضعه في إطار قانون متفق عليه. بمعنى أنَّه يتعين على الجمهورية الإسلامية الإيرانية مثلاً وغيرها من البلدان التي ليست أعضاء في معاهدات العام ١٩٩٧م والعام ١٩٩٩م المتعلقة بمكافحة الإرهاب أن تراعي هذه المعاهدات بموجب هذا القرار، وعلى أساس المادة (٢٥) من (ميثاق الأُمم المتحدة) التي تنصُّ على أنَّ: «الدول الأعضاء في الأُمم المتحدة توافق على قبول وتنفيذ قرارات مجلس الأمن وفق هذا الميثاق».

وعليه يجب على جميع البلدان أن تطلع (مجلس الأمن) خلال (٩٠) يوماً حول ما أقدمت عليه مثلاً في ما يتعلق بالحسابات المصرفية الخاصة بالإرهابيين، وهل ضبطت وصول وإرسال الحوالات المالية منهم وإليهم؟ إذاً هذا القرار هو من ضمن التزامات البلدان.

ختاماً نقول: إنَّ (ميثاق الأُمم المتحدة) كان بمثابة ردّ على (الحرب العالمية الأولى) وأنَّ (ميثاق الأطلسي) كان ردّاً على الحرب الباردة، وأنَّ (محكمة الجزاء الدولية) جاءت ردّاً على الفجائع وعمليات الإبادة التي وقعت إبان الحرب الباردة.

واليوم أيضاً يمكن أن تكون الأحداث الأخيرة حافزاً لاعتماد وتنفيذ معاهدات جديدة مثل (معاهدة مكافحة الإرهاب الشاملة) في إطار القانون الدولي.

* * *



تعتبر حادثة الحادي عشر من أيلول، وتغيّر سياسة (أمريكا) تجاه (الطالبان) من أهم العوامل الخارجية في (سقوط حركة الطالبان) لأنَّه عقب تغيّر السياسة الأمريكية تجاه هذه الحركة غيَّرت بقية الدول سياستها أيضاً من الحركة، إما بضغط من أمريكا، أو تماشياً معها ومحاولة لإرضائها. فبريطانيا وباكستان والسعودية والإمارات العربية المتحدة الذين كانوا الداعمين الأساسيين السريين والعلنيين للطالبان قد سحبوا أيديهم من دعم الطالبان، ومهدوا الأرضية لسقوط هذه الحركة. وكانت توقعات وتصوَّرات (الطالبان) لأوضاع المنطقة في غير محلها، وكذا الأمر بالنسبة لدعمهم للمجموعات السنّية.

كما إنَّ (الطالبان) لا يبدون مرونة في سياستهم الخارجية، ولذلك فشلت معهم المساعي الباكستانية والسعودية في إقناعهم بالتخلي عن سياستهم المتعنّتة. وفي المقابل إنَّ الدول الداعمة لجبهة التحالف الشمالي الأفغاني أي: إيران وروسيا والهند. لم تغيِّر من سياستها ودعمها للجبهة الشمالية، وأستمر هذا الدعم حتى خلال الحملات العسكرية الأمريكية على أفغانستان.

ويمكن القول إنَّ (الطالبان) لم تساهم في توفير أجواء ومناخات

تحمل هذه الدول على تغيير سياساتها تغييراً أساسياً، وذلك باتخاذ خطوات مشجعة في هذا الاتجاه.

ولهذا فإنَّ فتح جبهات جديدة في الداخل ضد الطالبان، وتوقف الدعم الخارجي عنها، أدَّى إلى تسريع سقوطها.

ومن الناحية العسكرية إنَّ (أفغانستان) سقطت بيد الأمريكيين منذ الساعات الأولى لبدء هجومهم على هذا البلد. لأنَّ (الطالبان) يفتقدون إلى الأسلحة المتطورة، سوى عدة طائرات حربية قديمة ورثوها من النظام الشيوعي، وهي غير قادرة على مواجهة الطائرات الأمريكية الحديثة والمتقدِّمة. كما كانوا يفتقدون إلى المضادات الجوية المؤثرة والفاعلة في ردع الطيران الأمريكي.

وفي الحقيقة، امتنع الأمريكان عن قصف مواقع الطالبان الأساسية في البداية، كي يتظاهروا بأنَّهم يواجهون عدواً قوياً وصعباً. غير أنَّ قصفهم العشوائي للمناطق الأفغانية استهدف المدنيين أيضاً لإرعابهم وإخافتهم وحملهم على التسليم للقوات الأمريكية والبريطانية بعد احتلال بلدهم.

وعندما اشتد القصف الأمريكي أعلن (الطالبان) عن استعدادهم للتفاوض مع الأمريكيين حتى حول تسليم (بن لادن) كما جاء ذلك على لسان سفير الطالبان في إسلام آباد (الملا عبد السلام ضعيف) لكن الأمريكيين لم يلتفتوا إلى هذا الطلب، ولم يعيروه أي أهمية، لأنَّهم كانوا قد حسموا أمرهم بإسقاط (حركة الطالبان).

كانت قيادة العمليات الحربية خلال القصف الأمريكي لأفغانستان بعهدة (الملا عمر) الذي كان مختبئاً في مدينة قندهار. والقيادات

الميدانية كانت غير قادرة على الاتصال المباشر مع القيادات العليا، والارتباط بالواسطة لا يبعث على الاطمئنان، ولذلك فكل من هذه القيادات بدأ يتخذ قراره على أساس ما يفرضه عليه الواقع الميداني ومصلحته، أي انفراط دور القيادة المركزية للحرب عملياً. وفي ظل هذا الوضع تدهورت معنويات مقاتلي (الطالبان) بسرعة، وضعفت قواهم الدفاعية.

أما قوات (التحالف الشمالي) المكونة من: الطاجيك والأزبك والشيعة الهزارة الذين هم أعداء الطالبان، والذين تعرَّضوا للإبادة أكثر من مرة على أيدي الطالبان، لا سيَّما في (قندوز ومزار شريف وباميان).. هذه القوات سارعت إلى فتح جبهة برية جديدة ضد الطالبان، ما أن قامت أمريكا بقصف المواقع الطالبانية في مناطق الشمال الأفغاني، وزحفت نحو العاصمة كابول لإسقاطها والسيطرة عليها.

وكان بإمكان (أمريكا) حسم الأُمور بوقت أقل من الوقت الذي استغرقته حملتها العسكرية، غير أنَّ إطالة القصف من جانبها كان بهدف تجنُّب تقديم خسائر بشرية من القوات الأمريكية من جهة، ولاختبار قنابل جديدة وقوية جداً من جهة أُخرى.

على أيِّ حال خوف (الطالبان) وقلقهم من تحرُّك أهالي الشمال ضدّهم؛ حملهم على الخروج من هذه المناطق بشكل غير مدروس وفوضوي، ما جعلهم يتكبدون خسائر جسيمة. فالطالبان لم يكونوا يعرفون أنَّ أمريكا قوَّة عظمى، وسوف توظف كل إمكاناتها العسكرية والسياسية والإعلامية من أجل الانتصار العسكري. وهذا يشير إلى أنَّ (الطالبان) لم يكونوا يتوقعون حرباً وطيسة وبهذا الحجم واسع

النطاق. ثم بفرار (الملا عمر) من (قندهار) واستقراره في مناطق الحدود الباكستانية؛ انكسرت الحلقة العسكرية للطالبان بشكل كامل.

جهاز الأمن الباكستاني الذي كان قد ساهم في تأسيس (حركة الطالبان) حاول إغاثة قيادات الطالبان كي يستفيد منهم مستقبلاً في أفغانستان. ذلك لأنَّ (باكستان) هي الخاسر الأصلي في الساحة الأفغانية، وكانت مضطرة لاتخاذ سياسة مزدوجة، فهي من جهة تعتبر نفسها عدوة للطالبان والقاعدة، ومن جهة أُخرى كانت تحاول إيجاد طريق آخر للحفاظ على الطالبان تحت عنوان (الطالبان المعتدلين) ليحفظوا لها نفوذها في أفغانستان.

وفي بعض الأحيان كانت (باكستان) تبدي حسن نيّتها لأمريكا بإلقاء القبض على أتباع الطالبان وتسلمهم إلى القوات الأمريكية أو إلى حكومة أفغانستان. وفي أحيان أُخرى كانت تقصف مناطقها القبلية بذريعة مواجهة الإرهاب.

ولكن في كل هذه الحملات لم تستهدف أي من قيادات الطالبان. على أنَّ (باكستان) لم تستطع الاستمرار في هذه السياسة مدة طويلة، لأنَّ التغيُّر السياسي الشديد لـ(برويز مشرف) وإيقافه الدعم للطالبان، وتعاونه مع أمريكا في احتلال أفغانستان؛ أدَّى إلى اعتراض الأحزاب الدينية الباكستانية على سياسة (حكومة مشرف) وتسبب ذلك في زعزعة الاستقرار السياسي في باكستان.

أما بالنسبة إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فكانت معروفة تأريخياً بدعمها للوحدة الوطنية في أفغانستان، وبمعارضتها لاحتلال هذا البلد، وانطلاقاً من هذه السياسة امتنعت عن الاعتراف بحكومة

الطالبان لأنَّ هذه المجموعة لا تمثِّل كل شرائح الشعب الأفغاني، وحافظت على دعمها لحكومة (برهان الدِّين رباني) المعزولة والمستقرَّة في شمال أفغانستان، حتى سقوط حكومة الطالبان.

وافقت (إيران) على إزاحة الطالبان من السلطة لأنَّها كانت ترى ذلك في صالح الشيعة الأفغان. وأساساً كانت إيران وما تزال معارضة لإثارة الخلافات بين السُّنَّة والشيعة التي كانت تسعى إليها حكومة الطالبان، وكانت تعتبر (الطالبان) نقيضاً لشعار الوحدة الإسلامية. وخلال هذه الفترة كان التنافس على أشده بين إيران وباكستان من أجل تحقيق نفوذ أكبر في هذا البلد. يمكن تفسير قتل الدبلوماسيين الإيرانيين في (مزار شريف) على أساس هذا التنافس بين البلدين.

وعلى أية حال فإنَّ سقوط (حركة الطالبان) واحتلال القوات الأمريكية لأفغانستان جعل هذه القوات على مقربة من الحدود الشرقية لإيران، وهو تطوّر يقلق طهران ويجعلها تستشعر خطراً جديداً على حدودها. ولكن بالنظر إلى تاريخ الشعب الأفغاني الرافض للوجود الأجنبي، يمكن القول إنَّ خطر المحتلين يمكن أن يتلاشى على المدى الطويل.

فأفغانستان كانت المعبر الأصلي لنفوذ الحضارة الإيرانية واللغة الفارسية إلى دول آسيا الوسطى، وبإزاحة (حركة الطالبان) سوف تتقلص الموانع الأيديولوجية والثقافية واللغوية بين إيران وآسيا الوسطى. ولذلك فعلى الرغم من خطر الوجود العسكري للقوى الأجنبية في أفغانستان على إيران، لا يمكن القول إنَّ إيران كانت غير راضية عن إزاحة الطالبان عن السلطة.

* * *

الفصل السادس

مصير الطالبان
والآفاق المستقبلية لأفغانستان

- بقاء الطالبان كمجموعة منسجمة
- تفكيك الطالبان إلى عدَّة مجموعات
- التحديات التي تواجهها أفغانستان عقب انهيار الطالبان

مدخل

(حركة الطالبان) كتيار كان يدّعي عزمه على إقامة (حكومة إسلامية) قد أزيح من السلطة. بيد أنَّ أفكاره لا تزال باقية بين (البشتون) في أفغانستان وباكستان، ولكن السؤال هو:

هل من الممكن أن تعود (حركة الطالبان) إلى السلطة في المستقبل من جديد؟

وإذا كانت الإجابة بالنفي، فهل ستحتفظ (الطالبان) بمكانتها على الساحة الأفغانية كتيار فكري وسياسي؟

وإن لم تستطع ذلك، فهل من الممكن أن تتفكك هذه الجماعة، وتتحول إلى تيارين أو أكثر؟

وحينذاك أيّ تيار من تلك التيارات سيكون قادراً على مواصلة أنشطته؟

إذا كانت الإجابة بالنفي عن كل تلك التساؤلات، عندها يمكن القول إنَّ صفحة (الطالبان) قد طويت من تاريخ أفغانستان إلىٰ الأبد، مع أنَّها استطاعت أن تحكمها على مدى خمس سنوات.

في هذا الفصل سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات.

* * *

بقاء الطالبان كمجموعة منسجمة

خلال السنوات الخمس التي حكمت فيها (الطالبان) لم تتمكن من إعطاء تعريف شامل عن نوع الحكم الذي كانت تتطلع إليه. فهي لم تستطع إنشاء نظم ومؤسسات ضرورية لإدارة المجتمع الأفغاني في هذا العصر. كما إنَّها لم تتمكن من وضع آلية لضم الأطياف السياسية المختلفة في الحكومة.

فقد كانت البلاد في ظل سلطتها، تفتقر إلى (مجلس شورى إسلامي) أو (برلمان) أو (مجلس العموم). وعليه كان من المستحيل استيعابها من قبل الأغلبية الأفغانية، والاعتراف بحكومتها على الصعيد الدولي.

كما كانت (الطالبان) قد رفضت أي حوار أو مساومة مع الفصائل الجهادية الأفغانية.

وفي ذات الوقت كانت (مزارع الترياق) في ظل حكم الطالبان، تتوسع بشكل كبير، وكان يزداد خطر توزيع المخدرات في بلدان المنطقة والعالم. هذا بالإضافة إلى أنَّ الخسائر والأضرار الناجمة عن الحرب الأهلية في أفغانستان كانت في ازدياد مضطرد يوماً بعد يوم. حتى أنَّ الاتفاقيات التي أبرمت بين (الطالبان) وكلٍّ من: باكستان وتركمنستان. في التاسع والعشرين من نيسان عام ١٩٩٩م لإعادة العمل

بمشروع مدّ أنابيب الغاز، لم تأخذ طريقها إلى حيّز التطبيق بسبب الأوضاع الداخلية المتردِّية. كما إنَّ المحادثات التي كانت قد أجريت بين (الطالبان) وشركة (يونيكال الأمريكية) و(بريداس الأرجنتينية) لم تسفر عن أية نتيجة.

من جهة أُخرى إنَّ (الحكومة الباكستانية) التي هي كبرى الدول الداعمة للطالبان عسكرياً واستخبارياً واقتصادياً وبشرياً منذ عام (١٩٩٤م وحتى عام ٢٠٠١م) قد انقلبت عليها على حين غرَّة ووصمتها بالداعمة للإرهاب غداة حادث الحادي عشر من أيلول ذلك العام، وأوقفت دعمها الشامل لها.

والولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية اللتان كانتا تميلان للطالبان لتحقيق أهدافهما ومصالحهما في فترات معينة، ليس بوسعهما إعادة عجلة التاريخ إلى الوراء.

وعليه يبدو من المستحيل عودة (الطالبان) إلى السلطة طالما تفتقر إلى دعم الشرعية الدولية وكذلك الشارع الأفغاني. ومع ذلك تتطلع (الطالبان) قطعاً إلى حفظ انسجامها كجماعة أو كتنظيم مناضل ذي توجهات عقائدية. وكان (الملا عمر) زعيم الطالبان قد حضر اجتماعاً موسعاً في منطقة (باجور) الباكستانية في الثالث من أيلول عام ٢٠٠٥م بعدما قضى أربع سنوات مختبئاً في أفغانستان عقب الهجوم العسكري الأمريكي[١].

---

(١) قال (الملا عمر) في اجتماع سري حضرته مجموعة من كبار (قادة الطالبان) في ٣ أيلول ٢٠٠٥م: «وهبنا الله الحكومة مرة، ولكنَّنا ما استطعنا حفظها.. لا تقولوا ظلمنا إنَّما نحن ظلمنا أنفسنا لأنَّنا حاولنا بالضرب والسوط تطبيق الشريعة على الناس قبل أن نطبق أحكامها على أنفسنا».

وألقى هناك كلمة في حشد من أعضاء تنظيم القاعدة والطالبان، وعلى ما يبدو أنَّ الهدف من عقد ذلك الاجتماع، كان لأجل حفظ وحدة الطالبان بدعم مالي من (تنظيم القاعدة). وحاول (الملا عمر) في ذلك الاجتماع السري ـ الذي تسرَّبت الأنباء عنه من قبل أعضاء الطالبان ـ حاول أن يرسِّخ مكانته في الحركة كزعيم روحي[١]. كما حاول أن يزيل الشُّبهات التي أثيرت حوله[٢]. وقد حذَّر أعضاء الحركة من النزوات الدنيوية قائلاً:

«ليس مجاهداً ولا مهاجراً من يلهو بالدُّنيا والتجارة. فأبعدوا هؤلاء من بينكم وإلاَّ هزمنا في جهادنا، واستاء الشعب منَّا. فهذه الأعمال كانت قد دفعت الناس للقول: نفِّذوا ما يقوله الملالي، ولا تنفِّذوا أساليبهم... نحن في تنظيم الطالبان لا نسعى لأجل زيادة عددنا وتوسيع جماعتنا، بل يكفينا العضو المتدين والشجاع والمحب للوطن».

وحذَّر أيضاً بقوله:

«إذا أسأنا العمل مرة أُخرى؛ فقدنا مكانتنا في باكستان أيضاً».

---

(١) قال (الملا عمر) في هذا الاجتماع: «كان الغرض من الاجتماع هو الردّ على ما تنشره وسائل الإعلام المعادية بأنَّ (الملا عمر) قد قتل أو أنَّه هرب من باكستان إلى دولة أخرى، ولكنَّكم تروني الآن بينكم وأنا عليم بما تفعلون في كل ساعة، وأتحمل مسؤولية كبيرة تجاهكم، وإن تقاعست فأنا مسؤول أمام الله».

(٢) قال (الملا عمر): «أشاع البعض أنَّ الملا عمر يقضي أوقاته مع زوجته وأولاده، ولكن أخطأ من كانت لديه مثل هذه التصورات، لأنِّي ومنذ أربع سنوات خلت على وجودي في باكستان لم أر زوجتي أو أولادي أو والدتي حتى مرة واحدة. أنا أيضاً مشتاق لهم.. وأتمنى لو لم أتولَّ أية مسؤولية على عاتقي، وأكتفي بقدر من المال لإدارة شؤون أسرتي».

واقترح (الملا عمر) تشكيل لجنة سداسية من كبار العلماء كمرجع ينظر في أسباب فشل جهادنا إن فشلنا، ويجيب عمَّا يدور من تساؤلات وشكوك حول أفعالنا. كما طالب الأعضاء بالامتناع عن الاتصال بالأجانب أو تسلّم المساعدات منهم أو المتاجرة معهم.

بعد ذلك جاء دور (أيمن الظواهري) ليلقي كلمته التي حاول خلالها أن يجعل (جماعة الطالبان) متفائلين بمستقبلهم، وأن يطمئنهم بما يقدم لهم من مساعدات مالية[1].

وكان (الملا عمر) قد نبَّه في الاجتماع بشكل وبآخر إلى العوامل التي تهدِّد بتفكيك (جماعة الطالبان) ومنها:

أ ـ رفض زعامة الملا عمر.

ب ـ انحسار حوافز أفراد الجماعة في مواجهة الأجانب.

ج ـ النزاعات الداخلية.

د ـ رفض باكستان لدعم الطالبان، وحملها على تفكيك قواعدها داخل الأراضي الباكستانية.

بالطبع إنَّ لباكستان دوراً بارزاً في تكاتف (جماعة الطالبان) أو تفكيكها. فهذه الدولة تعاونت بشكل فاعل مع (الولايات المتحدة) في الهجوم على أفغانستان، الأمر الذي أدَّى إلى إحداث تغيير أساسي في المعادلات الإقليمية، وقد انطلقت (باكستان) للتعاون مع (الولايات

---

(١) قال الظواهري: «ليس هناك ولله الحمد ما يبعث على القلق من المصادر المالية. فقد وصلت المساعدات بما يكفي لمواصلة أنشطتكم... فادأبوا على جهادكم، وكونوا على ثقة من أنَّه لو ثابرتم عليه بجد لما استطاع الأمريكان من الصمود في أفغانستان لأكثر من عام».

المتحدة) من منطلق الحرب على الإرهاب. بيد أنَّ ما جرى قد جاء على نقيض المصالح القومية الباكستانية وأمنها. فقد حولت باكستان (الطالبان) إلى ضحية، ولم تكسب من تعاونها مع (الولايات المتحدة) إلاَّ عداء التنظيمات الدينية[1]، حتى إنَّ ذلك أدَّى إلى حسر نفوذها لدى (البشتون) الذين يشكلون أهم قومية في أفغانستان وباكستان. وحاول (الجنرال مشرف) أن يرسم سياسته بما يتناسب مع الاستراتيجية الأمريكية الجديدة، وتمثل ذلك في تأسيس تيار أو حركة جديدة من الطالبان والبشتون بحيث يكون ميَّالاً للغرب من الناحية السياسية، وإلى الطالبان المعتدلة من الناحية العقائدية.

ولكن هذا الموضوع يحتاج إلى نقاش على الصعيدين السياسي والأمني. فعلى الصعيد السياسي بدأت (حكومة مشرف) بإجراء مشاورات مع: الولايات المتحدة وبريطانيا والدول الغربية الأُخرى والمملكة العربية السعودية، لتحويل المساعدات الدولية لأفغانستان على أن يتم صرفها في مناطق البشتون بهدف تعزيز موقف عناصرها الموالية لأفغانستان.

وعلى الصعيد الأمني، اقترحت الحكومة الباكستانية أن تناط بجهاز المخابرات العسكرية الباكستاني الـ(آي. اس. آي) مهمة الاتصال بزعماء البشتون في أفغانستان لاستمالتهم مرة أُخرى للتعاون مع هذا الجهاز. وحاول (الجنرال مشرف) في ذات الوقت إقناع كبار

---

(١) يبدو أنَّ الاجتماع الموسَّع للطالبان وعدد من كبار قادة تنظيم القاعدة، قد عقد بتصريح من الـ(آي. اس. آي) جهاز استخبارات الجيش الباكستاني وبهدف انتزاع تنازلات من الإدارتين الأمريكية والأفغانية قبل إجراء الانتخابات البرلمانية في أفغانستان، والحصول على عدد أكبر من المقاعد البرلمانية للطالبان.

المسؤولين الأمريكيين بإعادة النظر في سياستهم بعد احتلال أفغانستان، لأنَّ الحكومة الباكستانية ترى بأنَّ ما يجري حالياً في أفغانستان سيؤدِّي ـ على المدى البعيد ـ إلى زعزعة المصالح الأمريكية، وخلق التوتر والاضطرابات في باكستان. باعتبار أنَّ تهديد البشتون ضد الولايات المتحدة والغرب بصفة عامة آخذ بالتصاعد، وأنَّه يخشى من أن تتولى السلطة في أفغانستان فصائل وأقوام تضمر عداءاً عتيداً لباكستان، وتبدي ولاءاً للجمهورية الإسلامية في إيران. وقد يسفر ذلك بالتالي عن توسع النفوذ الإيراني والروسي والهندي في أفغانستان.

وإلى ذلك يبدو أنَّ (الولايات المتحدة) قد أيقنت بأنَّ (البشتون) في أفغانستان يعيشون حالة من عدم الاستقرار الأمني والنفسي والسياسي، الأمر الذي يجعل من الصعب استتباب الأمن والاستقرار في المناطق ذات الأغلبية البشتونية إلاَّ من خلال إقامة جسر من العلاقات والارتباط مع الطيف البشتوني المناهض لوجود القاعدة ضمن حركة الطالبان، عسى أن يقود ذلك إلى تكريس الوجود العسكري والأمني الأمريكي في أفغانستان. وبذلك فإنَّ الولايات المتحدة وباكستان اللاعبتين الأصليتين على المسرح الأفغاني، تعارضان الوجود المنسق والكامل للطالبان تحت قيادة المتشددين في أفغانستان[1].

من ناحية أُخرى فإنَّ الأجواء داخل (جماعة الطالبان) قد مهَّدت

---

(١) بالطبع فإنَّ جهاز الـ(آي. اس. آي) الباكستاني يبذل ما بوسعه وإلى آخر الشوط من أجل استغلال المتشددين من عناصر الطالبان لممارسة الضغط على الحكومة الأفغانية وحتى الحكومة الأمريكية، وانتزاع تنازلات أوسع منهما.

السبيل لانشقاق عدد من زعمائها الذين يرفضون التضحية بمصالحهم ومستقبلهم لأجل (الملا عمر). وعلى هذا لم يعد بإمكان هذا الجماعة أن تلعب الدور الرئيس في ما يتعلق بمستقبل أفغانستان إن تولى قيادتها (الملا عمر).



تفكيك الطالبان إلى عدة مجموعات

كانت (جماعة الطالبان) حين تولت السلطة في أفغانستان، مؤلفة من أطياف مختلفة، وهي:

طيف طلاب المدارس الدينية الباكستانية، ومجموعة من المجاهدين الذين كانوا يحاربون ضد روسيا، وبقايا الشيوعيين من البشتون.

إلاَّ أنَّ (البشتون) يعيشون الآن أحلك الظروف بسبب السياسات الأمريكية والباكستانية المتمثلة في:

١ ـ الحملات العسكرية والسياسية والإعلامية الأمريكية على البشتون.

٢ ـ الإجراءات الباكستانية في سياق دعم الخطط الأمريكية.

٣ ـ افتقار البشتون لقيادة موحدة من الأطياف البشتونية المهمة.

٤ ـ نشوء فصائل مختلفة دينية وعلمانية من بين البشتون.

لقد أدَّت هذه العوامل إلى زعزعة مكانة هؤلاء على مسرح السياسة الأفغانية. فيما كان وجود ملوك من (البشتون) على مرِّ التأريخ الأفغاني يشكِّل عاملاً مهماً في توحيدهم وتعزيز مكانتهم في

أفغانستان. إلاَّ أنَّ (جماعة الطالبان) قد أصبحت عاملاً لانهيارهم ولانحسار العلاقات بين أفغانستان وباكستان أيضاً.

تيارات الطالبان:

١ ـ جماعة جيش المسلمين:

تأسست هذه الجماعة على يد شخص يدعى (أكبر آغا) وقد انشقَّت عن (الطالبان) عشية الهجوم الأمريكي على أفغانستان. وألقت السلطات الباكستانية القبض عليه في عام ٢٠٠٤م في مدينة كراتشي، وسلمته للسلطات الأفغانية. وفي أعقاب ذلك أصدر أحد زعماء هذه الجماعة (الملا صابر مؤمن) الذي يدّعي أنَّه التحق بالطالبان ثانية، أصدر فتوى بهدر دم الرئيس الأفغاني (حامد كرزاي) معلناً للشعب الأفغاني بأنَّ كل من يتعاون مع اليهود والنصارى فهو منهم، ووجب هدر دمه[١].

وقد رأى أحد الخبراء في شؤون الطالبان أنَّ (أكبر آغا) كان إنساناً مغروراً ومستبدّاً برأيه. وقام بتأسيس (جماعة جيش المسلمين) بعدما رفضت الطالبان إعطاءه منصباً قيادياً. وأقام علاقات مع الـ(آي. اس. آي) الباكستاني. وبعد سقوط الطالبان كان يقوم بشراء الرهائن الأجانب المخطوفين، ويعلن مسؤوليته عن خطفهم. الأمر الذي أدَّى إلى نشوب خلاف بينه وبين الـ(آي. اس. آي)[٢] حتى ألقى الـ(آي.

---

(١) من مقابلة لـ(الملا صابر مؤمن) مع الإذاعة الناطقة بالبشتونية التابعة للجمهورية الإسلامية الإيرانية في ١٢ كانون الأول ٢٠٠٥م.

(٢) أدلى بذلك (عاشق حسين طوري) مدير الإذاعة البشتونية الإيرانية، وهو من أصل باكستاني.

اس. آي) القبض عليه في (كراتشي) وسلَّمه للأمريكيين، ونقل إلى (سجن بكرام) في أفغانستان[1].

وقال خبير آخر بهذا الشأن أنَّ ثمة تياراً في باكستان يحاول تضخيم جماعات كجماعة جيش المسلمين، ثم بيعهم للولايات المتحدة مقابل الحصول على تنازلات منها[2]. وقد بيع لها (أكبر آغا) وفق هذه الخطة[3]. وإلى ذلك يبدو أنَّ الحكومة الباكستانية ـ ومن خلال بيع عناصر غير ذات أهمية للولايات المتحدة ـ تسعى للإيحاء بأنَّها ناشطة في مجال مكافحة الإرهاب من جهة، وأنَّ على الولايات المتحدة أن تفاوض العناصر الرئيسية في جماعة الطالبان، وتتوصل إلى اتفاق معهم من جهة أُخرى.

٢ ـ جماعة خدَّام الفرقان:

تضم هذه الجماعة عناصر كانت قد انضمت إلى (الطالبان) عندما كانت تتولى السلطة، غير أنَّها لم تكن إطلاقاً من عناصرها الأصلية. وعلى ما يبدو أنَّ هذه الجماعة كانت منذ تأسيس حكومة المجاهدين في أفغانستان ولا زالت تنحى نحو حفظ الوضع على ما

---

(١) اختطفت (جماعة جيش المسلمين) ثلاثة من الموظفين الأجانب الذين كانوا يعملون لحساب أحد المكاتب التابعة للأُمم المتحدة، ثم أخلت سبيلهم في كابول.

(٢) مقابلة (وحيد شردة) المتحدث السابق باسم (حكومة الطالبان) مع الإذاعة البشتونية الإيرانية في ٢٨/١٢/٢٠٠٤م.

(٣) سلم (أكبر آغا) ومعه (الملا عبد الرزاق) و(الملا طه) للولايات المتحدة. وكان (الملا عبد الرزاق) يمتلك مدرسة دينية في (مدينة كويته) الباكستانية، وكان يعتبر من أهم العناصر في جماعة الطالبان. فيما لم يشغل (الملا طه) أي منصب في حكومة الطالبان.

هو عليه الآن لكي تتمكن من أن تنال حصتها في السلطة. ومن هذا المنطلق يتَّضح بأنَّ تغيير الولاء لهذا أو ذاك قد أضحى عملاً بسيطاً وعادياً.

فالفصائل والجماعات توالي وتدعم كل من يتولى السلطة، ولكنَّها سرعان ما تسحب دعمها له عند انهيار سلطته. ويذكر أنَّ (عبد الحكيم مجاهد) أحد زعماء (جماعة خدَّام الفرقان) وبعد عودته من زيارة للولايات المتحدة الأمريكية أطلع (الملا عمر) على أنَّ الهجوم الأمريكي على أفغانستان بات حتمياً، اللَّهمَّ إلاَّ إذا أعاد (الملا عمر) النظر في سياسته. ولكن هذا الأخير رفض اقتراحه، وعند ذاك نشبت الخلافات بينهما[١].

كان الأعضاء الأصليون لـ(جماعة خدَّام الفرقان) من عناصر (جماعة حركة الثورة الإسلامية) التي كان يقودها (المولوي محمد نبي محمدي) وقد ائتلفت الحركة مع (الطالبان) بعد تولي الأخيرة للحكم، ولكنَّها انفصلت عنها فيما بعد. وبعد مرور بضعة أيام على انهيار الطالبان، أعلن (أمين جان مجددي) و(أرسلان رحماني) خلال مؤتمر صحفي عن تأسيس (حزب خدَّام الفرقان)[٢]. والتحق بالحزب كل

---

(١) مقابلة (رحيم الله يوسفزايي) رئيس تحرير صحيفة (news) الصادرة في بيشاور الباكستانية مع الإذاعة البشتونية الإيرانية في ١٥/١٢/٢٠٠٤م.

(٢) يقول الصحفي الباكستاني في (شميم شاهد) أنَّ أسرة (مجددي) كانت قد أسست حزباً مماثلاً في عام ١٩٦٦م وأنَّ هناك صلة قرابة بين (أمين جان مجددي) و(صبغة الله مجددي) الذي شغل لفترة منصب رئيس الجمهورية الأفغانية. وكانت لعناصر الحزب في عهد (الملك ظاهر شاه) ميول صوفية. وكان لهم أنصار وموالون في جنوب شرقي أفغانستان. فيما تأسس (حزب خدَّام الفرقان) لمجابهة دعاة الحداثة آنذاك؛ ولكنَّه لم يقم بأي نشاط بعد الغزو السوفياتي لأفغانستان.

من: (عبد الرحمن أحمد هوتك) مساعد وزير الإعلام والثقافة في حكومة الطالبان، و(عبد الحكيم مجاهد) سفير أفغانستان لدى واشنطن آنذاك. وحاول هؤلاء كسب المعتدلين من عناصر الطالبان، ولكنَّهم لم يفلحوا. وعليه لم يتمكنوا من أداء دور مهم في التطورات على الساحة الأفغانية. وممَّا يبدو أنَّ هؤلاء أعلنوا عن تأسيس الحزب الجديد لأجل تحقيق هدفين هما: ترسيخ مكانتهم، والحصول على الدعم والمساعدات من الأطراف الأجنبية.

وبعد مرور ثلاثة أعوام على سقوط الطالبان زار وفد من (حزب خدَّام الفرقان) مؤلّف من أربعة أعضاء، زاروا (كابول) لإجراء محادثات مع (الرئيس حامد كرزاي) ومسؤولين آخرين في الحكومة. وكان على رأس الوفد (عبد الحكيم مجاهد) الذي أعلن عقب لقائه (الرئيس كرزاي) بأنَّ الحزب يدعو للسلام والاستقرار والديمقراطية والتنمية في أفغانستان. وأكد في الوقت ذاته بأنَّه لم يجر محادثات مع الحكومة بالنيابة عن الطالبان، ولكنَّه لا زال يرفض وجود القوات الأمريكية في بلاده[1].

شغل (عبد الحكيم مجاهد) منصب السفير الأفغاني للطالبان في (إسلام آباد) ثم في (واشنطن). وهو يعتبر رئيساً للجنة السياسية لجماعة خدَّام الفرقان. وقال في حديث لوكالة الأنباء الأفغانية:

«إنَّ السبب الذي أدَّى إلى انهيار الطالبان هو تفرُّد (الملا عمر) وأنانيته، فلم يكن هناك نظام استشاري. ولم يتمكن (الملا عمر) من

---

(١) مقابلة (رحيم الله بوسفزاي) رئيس تحرير صحيفة (news) الباكستانية مع الإذاعة البشتونية الإيرانية في ١٥/١٢/٢٠٠٤م.

إنشاء مؤسسة قانونية في أفغانستان، والتوصل إلى تفاهمات مع الأسرة الدولية».

وأضاف:

«منذ سلَّم (الملا عمر) قندهار لحامد كرزاي، لم نعد نعتبره أميراً للمؤمنين. ولهذا بادرنا إلى الانضواء في نهضة باسم خدَّام الفرقان»[1].

يبدو أنَّ سياسة الحوار مع (جماعة خدام الفرقان) التي تنتهجها الحكومة الأفغانية تسير في اتجاه السياسة الأمريكية. ذلك أنَّ الولايات المتحدة تريد الإيحاء بأنَّ هناك خلافات داخل جماعة الطالبان. وأنَّ ثمة عناصر في الجماعة لم تعد تدعو لمواصلة الحرب، وأنَّها ترجح التعاون مع الحكومة الأفغانية.

وحسب أنصار (الملا عمر) فإنَّ (جماعة خدام الفرقان) ومنذ سقوط الطالبان قد أعلنت استقلاليتها، وهي بذلك ليست جزءاً من (جماعة الطالبان). حتى إنَّ عدداً من أعضائها قد بدأوا بالاتصال مع (حكومة حامد كرزاي) منذ بدايات تأسيسها. وأعلن هؤلاء أنفسهم بأنَّهم لا يجرون المحادثات مع الحكومة نيابة عن (الطالبان)[2].

٣ ـ الطالبان التقليدية:

وهي جماعة الطالبان الأصلية، وتضم عناصر لا زالوا يواصلون

---

(١) جاء ذلك على لسان (يعقوب شرافت) مدير وكالة الأنباء الأفغانية في حديث له مع الإذاعة البشتونية الإيرانية في ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٣م نقلاً عن حديث أدلى به (عبد الحكيم مجاهد) لوكالة الأنباء الأفغانية.

(٢) من مقابلة (المولوي عبد الحي مطمئن) المتحدث والمستشار السياسي والثقافي للطالبان مع الإذاعة البشتونية الإيرانية في ١/ ٤/ ٢٠٠٥م.

أنشطتهم بزعامة (الملا عمر) ولا زال هؤلاء يرفضون التفاوض والتساوم مع الحكومة الأفغانية طالما كانت تخضع البلاد للاحتلال الأمريكي. وأغلبية أعضاء هذه الجماعة هم من الطلبة الشبان الذين تلقوا الدروس والتعليمات في المدارس الدينية. ويدّعي هؤلاء بأنَّ لهم نفوذاً لدى الشارع الأفغاني، ولا يمكن القضاء عليهم باستخدام القوة العسكرية. وقد أعرب المتحدث باسم هذه الجماعة عن الموقف إزاء المساومة أو التفاوض مع الولايات المتحدة قائلاً:

«لقد دعيت الطالبان بطرق مختلفة، وحتى من قبل عناصر بارزة إلى التفاوض. وتلقَّت وعوداً بتقديم تنازلات إليها.. فالولايات المتحدة وحكومة كرزاي كانتا تتصوران في البداية بأنَّ هذه الجماعة قد اضمحلت، ولكنَّهما عندما علمتا بأنَّ الجماعة لا زالت على أشدّها ولم تقهر، بدأتا بحملة إعلامية توحي بأنَّ هناك مفاوضات بينهما وبين الطالبان، لغرض سحب ثقة الناس عنها. وتستخدم الولايات المتحدة والحكومة الأفغانية أساليب خداع مختلفة لزعزعة الطالبان. غير أنَّنا لسنا بصدد اعتلاء السلطة، بل نسعى فقط لنيل الاستقلال والحرية لأفغانستان. ولو كنَّا نطمح للسلطة، لما تخلّينا عنها عندما كانت في يدنا. نحن نناضل من أجل أهداف مقدَّسة. وسنواصل النضال ونرفض المفاوضات والصلح حتى تحقيق أهدافنا»[١].

تعتبر (جماعة الطالبان التقليدية) بأنَّ عليها أن تمرَّ بثلاث مراحل في مواجهة قوى عظمى كالولايات المتحدة الأمريكية:

---

(١) من مقابلة للمولوي (عبد الحي مطمئن) المتحدث باسم الطالبان مع قسم البشتون بإذاعة طهران في ١/٤/٢٠٠٥م.

تبدأ **المرحلة الأولى** بالإيذاء. لأنَّ إيذاء القوات الكبيرة المنتشرة في مناطق واسعة من البلاد، ليس بحاجة إلى إمكانات كبيرة ودعم واسع.

وبعد توسيع العمليات الإيذائية بصورة تدريجية تبدأ **المرحلة الثانية**، وهي: مرحلة المقاومة. وإذا توسعت عمليات المقاومة وتأطرت؛ ازداد أعضاؤها وأنصارها يوماً بعد يوم.

وبعدما تنتظم المقاومة تبدأ **المرحلة الثالثة** وهي: مرحلة الفتح.

وترى (الطالبان) أنَّها الآن في مرحلة مقاومة الأمريكان. وهي تتقدم شيئاً فشيئاً لكي تصل إلى مرحلة المقاومة الجدية[١].

وتعتبر أيضاً بأنَّها تحظى بدعم جماهيري هادىء. ولكنَّها ترفض المشاركة في الانتخابات، وتعتبر الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في أفغانستان كانت انتخابات صورية ورمزية. لأنَّ الشعب أرغم على التصويت فيها من خلال إعطائهم بطاقات التصويت التي كانوا يطالبون بها كل من يراجع المستشفيات وغيرها.

وترى هذه الجماعة بأنَّ أفغانستان بلد محتل، وأنَّ من يتولون قيادة البلاد هم جواسيس لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية. ولذلك فهم سيواصلون النضال حتى تحرير البلاد من الاحتلال وإعادة الاستقلال إليها[٢].

---

(١) من حديث (المولوي عبد الحي مطمئن) المتحدث باسم الطالبان لقسم البشتون بإذاعة طهران في ١/٤/٢٠٠٥م.
(٢) من حديث (المولوي عبد الحي مطمئن) المتحدث باسم الطالبان لقسم البشتون بإذاعة طهران في ١/٤/٢٠٠٥م.

وتجيز هذه الجماعة حتى قتل أفراد (القوات الأفغانية) لاعتقادها بأنَّ الحكومة الحالية غير شرعية، وأنَّ البلاد هي في حالة الحرب، ويمكن في ظلها أن يحدث ما يحدث.

وسياسة (كرزاي) تجاه الطالبان التقليدية تتمثل في زرع الفرقة في صفوفها، وانتزاع حوافزها لمواصلة النضال. ولكن (الرئيس كرزاي) قد دعا هذه الجماعة أكثر من مرة للتفاوض، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وبصورة علنية أو سرية[1]. ولكن يبدو أنَّ (الملا عمر) قد انتبه لسياسة (كرزاي) هذه ورفض دعوته[2].

وقد توصَّلت (جماعة الطالبان التقليدية) إلى نتيجة مفادها أنَّ المفاوضات مع الحكومة الأفغانية في ظل الظروف الراهنة ـ حيث البلاد تحت الاحتلال الأمريكي ـ تدفع لانهيار الحوافز لمواصلة النضال من قبل الأنصار، وبالتالي تسفر عن تفكيك الجماعة. ولذلك فهم يأملون أن تؤدِّي الأجواء الحالية التي تسود المنطقة، إلى زعزعة قوات الاحتلال في العراق وأفغانستان. لأنَّ (الطالبان) في مثل هذه الحال ستتمكن من إعادة مكانتها لدى الرأي العام، وعلى الأقل في المناطق البشتونية.

---

(١) على سبيل المثال أعلنت إذاعة الحرية (liberty) بأفغانستان في ٩ كانون الثاني ٢٠٠٦م بأنَّ الرئيس (حامد كرزاي) دعا (الملا عمر) لإجراء المفاوضات من أجل إنهاء العنف، وترسيخ سياسة التصالح في البلاد أكثر فأكثر.

(٢) بعث (الملا عمر) بفاكس إلى قسم البشتون بالإذاعة الإيرانية في ٢٠٠٦/١/٩م أكد فيه عزمه على مواصلة الجهاد ضد المحتلين. كما صرح (فارس يوسف أحمدي) الذي عرَّف نفسه متحدثاً باسم الطالبان، صرح في ٢٠٠٦/١/٩م أيضاً للصحفيين في (قندهار) بعد تصريحات أدلى بها (كرزاي) بأنَّ سياسة الطالبان إزاء الأمريكان والحكومة الأفغانية لم تتغير إطلاقاً، وأنَّ الجهاد هو خيارها الوحيد ضد الأمريكان. وقال أيضاً: إنَّ الحكومة الأفغانية تطبق البرامج الأمريكية في أفغانستان.

وتبذل (جماعة الطالبان التقليدية) قصارى الجهود من أجل الحؤول دون تشكيل (جماعة طالبان معتدلة). وعليه قامت ـ على سبيل المثال ـ باغتيال (الملا محمد خاكسار) الذي كان يشغل منصب مساعد وزير الداخلية في حكومة الطالبان، وانتقد أداء الطالبان بعد انهيار حكومتها في عام ٢٠٠١م وأقدم على دعم حكومة كرزاي. وكان (خاكسار) قد صرَّح قبل وفاته بأنَّ (قوات الطالبان) هددته بالموت عدة مرَّات[١].

و(الملا أحمد متوكل) الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية في حكومة الطالبان، قد اعتقل أيضاً على يد الجنود الأمريكيين بعد إطاحة الحكومة. إلاَّ أنَّ خبراء الطالبان رأوا بأنَّ (متوكل) هو من سلَّم نفسه للأمريكيين. ولكن الأمريكيين أطلقوا سراحه عشية التحضير للانتخابات البرلمانية ليترشح لإحراز مقعد في البرلمان. ويبدو أنَّ الأمريكيين كانوا يتطلعون إلى تحقيق ثلاثة أهداف من وراء الإفراج عن (متوكل):

أوَّلاً: إرسال رسالة إلى (جماعة الطالبان المعتدلة) مفادها أنَّ (الولايات المتحدة) مستعدة للتعامل والتفاوض معها.

ثانياً: فسح المجال أمام شخصية معروفة مثل (متوكل) المعارض للملا عمر للانشقاق عن (الطالبان التقليدية) والانضمام إلى (حكومة كرزاي) تمهيداً لدقّ الإسفين في هذه الجماعة.

---

(١) قال (فارس يوسف) المتحدث باسم الطالبان في حديث لقسم البشتون بإذاعة طهران في ٢٠٠٦/١/١٤م إنَّ مهاجمين مسلحين كانا يستقلان عجلة نارية اغتالا (محمد خاكسار) اليوم في مدينة قندهار.

ثالثاً: إنَّ الولايات المتحدة تتطلع إلى استقطاب أصدقاء لها من بين البشتون. لأنَّ غالبيتهم يعارضون الإدارة الأمريكية. وبهذا تترسخ مكانة الحكومة الأفغانية في الجبهة الشمالية. لا سيَّما أنَّ الولايات المتحدة تعتبر الجبهة الشمالية على الأغلب موالية لإيران وروسيا، ممَّا يتطلب أن تحصل على موالين أكثر لها من البشتون[1].

على أية حال إنَّ (تيار الطالبان) بقيادة (الملا عمر) يعتبر أنَّ مشاكله تزداد مع استمرار وجود الاحتلال في أفغانستان، وبتبعها يزداد الناس تذمراً منها. ولكن لو استطاعت هذه الجماعة توسيع هجماتها، تكون قد أفلحت في تكريس مكانتها، وتمكنت من تعزيز قواعدها، وثمة عناصر داخل الحكومة الباكستانية وهم من البشتون غالباً، لا زالوا يعملون على تعزيز (الطالبان) في الخفاء.

* * *

(١) قال (رحيم الله يوسف زاي) الصحفي الباكستاني في مقابلة مع قسم البشتون بالإذاعة الإيرانية في ٢٦ تشرين الأول ٢٠٠٤م نقلاً عن المتحدث باسم (حكومة كرزاي) أنَّ (متوكل) بعث برسالة إلى الحكومة أعلن فيها عن استعداده للتعاون معها. غير أنَّ أنصارها نفوا ذلك معلنين أنَّ الأمريكيين كانوا هم من دعوه للتعاون مع الحكومة الأفغانية.

التحديات التي تواجهها أفغانستان عقب انهيار الطالبان

رغم الإطاحة بحكومة الطالبان، لكن هناك ثلاثة عوامل تمهِّد لاستمرار (أفكار الطالبان) في أفغانستان على صعيد المستقبل.

العامل الأول: يتمثل في الثقافة الإسلامية والتقاليد البشتونية التي تظهر تحت عنوان (البشتو نوالي) التي تحظى برصيد ودعم واسع عند القبائل الأفغانية. وهذا المبدأ الثقافي والتقليدي يتناقض تماماً والثقافة التي جاء بها الأمريكان غداة احتلال أفغانستان.

العامل الثاني: يتعلق بالمعتقدات البشتونية، أي عقيدة (الديوبندية) التي تضرب جذورها في المذهب الحنفي من مذاهب السُّنَّة في أفغانستان. وتحاول الطالبان استغلال هذه العقيدة لأجل استمرار بقائها.

العامل الثالث: يتعلق بنزعة مقارعة الأجنبي على الأرض الأفغانية، والتي يتحلَّى بها الشعب الأفغاني منذ أقدم العصور. فخلال القرون الثلاثة الماضية، تصدى الأفغان للبريطانيين والروس الذين غزو بلادهم، وتمكنوا بأبسط ما كانت لديهم من إمكانات من دحر الغزاة وهزيمتهم. وهذه السمة أو النزعة قد بدأت بالتوسع والترسيخ أمام القوات الأمريكية والبريطانية التي

تحتل بلادهم، وهم في القرن الحادي والعشرين. ولذلك يسعى (البشتون) لاستثمار هذه الفرصة لأجل إعادة الانسجام فيما بينهم، وتأطير هذه المعتقدات في تنظيم سياسي وعسكري جديد.

توسع المعارضة للوجود العسكري الأمريكي:

يتوقع أن تزداد التناقضات بين الشعب الأفغاني، لا سيَّما بين المواطنين من قبائل البشتون في شرق أفغانستان وجنوبها وبين القوات الأجنبية هناك.

وتتلخص عوامل المعارضة في ثلاث نقاط:

١ ـ التحديات الثقافية الأمريكية في أفغانستان.

٢ ـ مقارعة الأجنبي سلوك اجتماعي أفغاني غائر الجذور.

٣ ـ أساليب تعامل العسكريين الأمريكيين مع السجناء الأفغان.

فبالنسبة إلى النقطة الأولى ليس ثمة ما يدعو للشك بأنَّ العسكريين الأمريكيين والبريطانيين وحلف شمال الأطلسي يواجهون تحديات ثقافية واجتماعية بسبب مواصلة احتلال أفغانستان. ذلك لأنَّ الجنود الأجانب والشعب الأفغاني المسلم ينتميان إلى حضارتين ذاتي معايير وقيم متباينة. فسلوك الجنود الأمريكان ينسجم مع ثقافة وتقاليد ينتمي إليها المجتمع الأمريكي، وأصبحت جزءاً من سلوكه الاجتماعي. فيما يتمسك الأفغان بقيم وعادات اجتماعية وثقافية خاصة بهم، ويبدون تعصباً شديداً في حفظها. هذا التباين في السلوك وطريقة العيش بين الجنود الأجانب والشعب الأفغاني أدَّى إلى إثارة قضايا عدة في مقدمتها: عدم استيعاب كل طرف لسلوك وتصرفات الطرف الآخر.

والواضح أنَّه عندما لا يستوعب الطرفان تصرُّفات بعضهما البعض الآخر، يستحيل عليهما بناء علاقات وروابط سليمة فيما بينهما. لكن بالطبع إنَّ هذه القضية لا تنطبق على جميع الحالات وعلى الأفغان جميعاً. فهناك شريحة ثقافية من النخبة يتولى بعض أفرادها مناصب في السلطة، وهي على معرفة تماماً بالثقافة الغربية باعتبار أنَّها قضت سنوات طويلة في أمريكا وفي البلدان الأوروبية خلال فترة الحرب والاحتلال والجهاد، وهي لا ترى في سلوك وتصرفات الجنود الأمريكيين وأولئك الذين ينتمون إلى القوات التابعة لحلف شمال الأطلسي أية مشكلة، ولا تعتبر ذلك تهديداً لثقافة المجتمع الأفغاني وتقاليده، لكن المشكلة تكمن في أنَّ هذه الشريحة الاجتماعية غير مؤثرة لأنَّها تشكل أقلية في المجتمع. ثم إنَّها بدليل تعاونها الفاعل مع سلطات الاحتلال، لا تعاني كما تعاني الأغلبية في أفغانستان، ولا تتدخل في مجريات الأحداث إلاَّ من بعيد، وإذا صادف أن أبدت معارضة للوضع الراهن، كانت معارضتها تلك معارضة مثقفين لا تأثير لها، أو أنَّها لا تتعدى إعطاء توجيهات في إطار علم الاجتماع، وهذا ما لا يؤخذ على محمل الجد من جانب العسكريين الأمريكيين.

أما تبعات ذلك فقد تجلَّت في اتساع نطاق التناقضات بين الشعب الأفغاني ـ وعلى وجه الخصوص سكان المناطق القبلية من البشتون في شرق أفغانستان وجنوبها ـ وبين القوات العسكرية الأجنبية. وحقيقة التحديات الثقافية والاجتماعية التي يواجهها الأمريكيون في أفغانستان ويعجزون أساساً عن إدراكها، تكمن في ما توصلوا إليه من استنتاج وهو:

إنَّهم تركوا حياتهم الرغيدة والمريحة في (أمريكا) لكي يقاتلوا

في هذه المنطقة المتخلفة، وليعرضوا حياتهم للخطر من أجل أُناس لا يعرفون حق قدرهم، لا بل يقومون عوضاً عن ذلك بالتعاون سرّاً مع عدو هؤلاء وعدوهم، أي مع: الطالبان والقاعدة.

التحديات الثقافية الحالية بين العسكريين الأمريكيين والأجانب وبين جماهير الشعب الأفغاني، ناجمة عن تباين وجهات نظر الطرفين حيال الدور الذي يلعبانه في هذه الحرب وفي الاحتلال الجديد لأفغانستان، فانطباع الجنود الأمريكيين عن أنفسهم ـ والذي رسَّخه في أذهانهم قادتهم العسكريون والسياسيون ـ هو أنَّهم يساهمون في عمليات إنسانية وتحريرية. عمليات تؤدِّي إلى إنقاذ ملايين الأفغان المستضعفين الذين خسروا كل ما كان لديهم في ظل ظلم (حكومة الطالبان) وجورها.

وفي المقابل تشظى المجتمع الأفغاني بوضوح من الناحيتين الثقافية والاجتماعية. ورغم وجود شريحة اجتماعية معارضة لسلوك الأمريكيين وتصرفاتهم، لكنَّها ترى ضمان مصالحها في استمرار الوضع الراهن. حتى إنَّها اضطرت للدفاع عنه وتبريره. أما الشريحة الأُخرى ـ والتي تضم تقريباً غالبية المجتمع الأفغاني ـ فإنَّها غير راضية عن الوضع الراهن، وهي تطالب بوضع نهاية له.

هؤلاء يرون أنَّ (القوات الأمريكية) ليست منقذتهم من (نظام الطالبان) و(القاعدة) بل هي ذاتها الظالمة الجبَّارة التي جاءت لنسف حياتهم التقليدية والإسلامية التي أنسوا بها على مدى مئات آلاف السنين، ولتجريدهم من هويتهم أيضاً.

إذاً أزمة العسكريين الأمريكيين في أفغانستان هي أزمة ثقافية

واجتماعية قبل أن تكون أزمة عسكرية بسبب المواجهة اليومية مع بقايا الطالبان والقاعدة.

الأزمة هي أنَّ الجماهير الأفغانية المسلمة تعتبر أنَّ سلوك الأمريكيين وتصرفاتهم متناقضة مع الآداب والتقاليد القومية والدينية الأفغانية، وهي ليست مستعدة لتقبلها. أما أزمة الأمريكيين فهي أنَّهم لا يدركون بالضبط لماذا لا يصدّق الأفغان بأنَّهم جاءوا لإنقاذهم، ولماذا لا يتعاونون معهم.

ويبدو أنَّ هذه الظاهرة قد حفَّزت القادة العسكريين الأمريكيين على التفكير في أنَّ أزمتهم في (أفغانستان) لا بدَّ أنَّها ناتجة أو تعود إلى أسباب ثقافية واجتماعية. وعليه فقد بادروا بفتح دورات تربوية لجنودهم قبل إرسالهم إلى أفغانستان أو العراق، لأجل تعليمهم أسلوب التعامل مع الناس هناك وبناء العلاقات معهم. واقع الأمر أنَّها تجربة حديثة للجيش الأمريكي، وتستدعي إعطاءهم دروساً عملية حول طريقة التعامل مع الناس قبل إيفادهم إلى أنحاء أُخرى في العالم.

ولا شك أنَّهم اكتسبوا بعض الخبرات في أفغانستان. ومع ذلك فإنَّ الدورات التربوية قصيرة الأمد لا تساعد على تغيير البنى والمرتكزات الفكرية للجنود الأمريكيين، وذلك بسبب التباين الشاسع بينها وبين الثقافة والتقاليد السائدة في دولة أفغانستان.

الإجراءات الأمنية والتمايز الثقافي:

أساليب ضبط الأمن تشكل بذاتها عاملاً في تفاقم النقيض الثقافي، وهذا ما يلاحظ في العراق وأفغانستان. حيث يقدم العسكريون الأمريكيون على أعمال لا تنسجم مع آداب ومعتقدات

وثقافة الشعبين، لا بل تثير أيضاً استغرابهم من سلوك الجنود الأمريكيين وتصرفاتهم. وانطلاقاً من ذلك يمكن القول إنَّ الأزمة تتعلق بكلا الطرفين. فالعسكريون الأمريكيون وكذلك الشعب الأفغاني المسلم قد أصبحا يعانيان من أزمة عدم تفهم بعضهما. وهنا نكتفي بذكر أسلوبين من أساليب تعامل العسكريين الأمريكيين مع آداب الأفغان وتقاليدهم ومعتقداتهم، ومدى تناقضهما معها:

أ ـ دخول العسكريين الأمريكيين إلى الأماكن الدينية المقدَّسة دون نزع أحذيتهم:

فيما يتعلق بعدم مراعاة العسكريين الأمريكيين لحرمة الأماكن المقدَّسة هناك مفارقات كثيرة للغاية وفي غاية الوضوح بحيث لا تدعو الحاجة إلى توضيحات إضافية. فالعسكريون الأمريكيون عندما يشتبكون مع عناصر الطالبان والقاعدة في منطقة ما، أو يقعون في كمائنهم ثم يدخلون المنطقة، يقومون بتفتيشها كلها تقريباً، ويبحون فيها بدقة عسى أن يكون أحد الهاربين من عناصر الطالبان قد اختفى في زاوية من زواياها. ولم تستثن في ذلك حتى المساجد والأماكن المقدَّسة الأُخرى في القرى الأفغانية. خاصة أنَّهم يحتملون أن يكون أحدهم ممَّن اشتبكوا معهم قد لجأ إلى مثل هذه المناطق. فالضرورات العسكرية من جهة، والقلق من احتمال تعرضهم لهجمات مفاجئة من داخل الأماكن الدينية المقدَّسة، وكذلك عدم تفهمهم لأهمية وحرمة المساجد والأماكن المقدَّسة من جهة أُخرى، تدفع بالعسكريين الأمريكيين إلى تحطيم أبواب هذه الأماكن ودخولها بعنف.

هذا الإجراء هو إجراء مألوف في نظر الأمريكيين، ولهذا فإنَّهم

لا ينتبهون إلى أنَّ الإساءة إلى مكان يحظى باحترام الناس، تثير بشدَّة غضبهم وعدم ارتياحهم من الأمريكان. علماً بأنَّ المساجد في القرى الأفغانية هي عبارة عن غرف عادية لا تختلف من حيث الشكل الظاهر عن سائر البيوت المبنية من الآجر والطين في تلك القرى، ولكن مهما كان فإنَّ الأفغان يقيمون فيها صلواتهم الخمس كل يوم، ويبادرون إلى حل مشاكلهم بمساعدة خطباء هذه المساجد البسيطة التي يجتمعون فيها أيضاً لترتيب وتنظيم أعمالهم الجماعية اليومية. ولهذا فإنَّ للمساجد في القرى دوراً اجتماعياً وثقافياً. بالإضافة إلى أنَّ المساجد من الناحية الدينية هي أماكن مقدَّسة، وأية إساءة إليها تعتبر إساءة للآداب والمعتقدات الدينية للأفغان.

العسكريون الأمريكيون لا علم لهم بهذه المكانة للمسجد عند الأفغان، والحساسية التي تنطوي على انتهاك حرمتها، وإذا كانوا ملمين بها فإلمامهم يبقى محدوداً طبعاً، بينما الضرورات الأمنية تتيح لهم حتى دخول الأماكن المقدَّسة، ولكن الفرصة المتاحة أمامهم في مثل هذه الحالات قصيرة تتطلب السرعة في إنجاز مهماتهم المتمثلة بمداهمة هذه المناطق والأماكن وتفتيشها بسرعة وبدقة بحثاً عن العناصر المسلحة التابعة للطالبان والقاعدة حسب ظنّهم.

وهذه الحالات تتطلب دخول الجنود الأمريكيين المساجد والأماكن الدينية الأُخرى حاملين معهم أسلحتهم ومن دون أن ينزعوا أحذيتهم. وبما أنَّ الأفغان سبق ـ وإن كانوا قد واجهوا مثل هذه الحالات خلال فترة احتلال بلادهم من قبل الروس أو سمعوا عنها على الأقل حيث كان المحتلون الروس أيضاً يسيئون إلى حرمة أماكنهم المقدَّسة ـ لذلك فإنَّ ما يتبادر إلى أذهانهم فوراً هو أنَّ هناك

تشابهاً بين أساليب المحتلين وتصرفاتهم. وعليه فإنَّ من الطبيعي أن لا يميّز الأفغان بين سلوك الجنود الروس الذين كانوا يعتبرونهم شيوعيين، وبين سلوك العسكريين الأمريكيين، لا بل يتصوّرونهم كفاراً على حد سواء.

ب ـ مداهمة الأمريكان لمنازل المواطنين بحثاً عن الطالبان:

وهذا التباين بين سلوك المحتلين الأمريكان وتصرفاتهم وبين المنظومة الثقافية للشعب الأفغاني، يتجسد بوضوح عند مداهمة الأمريكيين لبيوت الناس ومباغتتهم والدخول على النساء دون استئذان وقبل ارتدائهن للحجاب. لأنَّ الجنود والقادة العسكريين الأمريكيين لا يدركون أصلاً لماذا يؤدِّي تفتيش المنازل ـ ظنّاً في اختفاء الهاربين من الطالبان والقاعدة فيها ـ إلى إثارة غضب الأفغان وعدم ارتياحهم إلى هذا الحد.

فهذا الأسلوب في نظر العسكريين الأمريكيين والبريطانيين أمر عادي تماماً، وهو ناجم عن ضرورات ومتطلبات حربية وأمنية لا مناص منها. ذلك لأنَّه سبق وأن تعرَّض الجنود الأمريكيون إلى هجمات من داخل المنازل. وعليه تستدعي الضرورات الأمنية والعسكرية أن يقوم الجنود الأمريكيون بتفتيش كل المنازل بدقة في المناطق والقرى المشتبه بوجود واختفاء عناصر الطالبان فيها. بالإضافة إلى أنَّ لدى الجنود الأمريكيين اعتقاداً راسخاً بأنَّ المواطنين الأفغان يدعمون الطالبان، وربَّما يؤون عناصرها أيضاً.

وحتى لو لم يكن هناك تصور كهذا، فإنَّ الأمريكيين يعتقدون أنَّه من الطبيعي أن يسمح صاحب الدار لعنصر طالبان المسلح الاختباء

حفاظاً على نفسه وعائلته، فهو سيكون مجبراً على إيوائه، إذ يدرك أنَّه إذا لم يستقبله ويؤويه فإنَّه يحتمل أن يواجه الانتقام من جانبه أو من جانب رفاقه. على أية حال، فإنَّ الجنود الأمريكيون يغادرون المكان بعد تفتيشه دون أن يدركوا ما سيحدث بعد ذلك. ولهذا فإنَّ الناس يضطرون إلى إخفاء (عناصر الطالبان) حتى لو كان تعاونهم بهذا الصدد يتم قسراً وتحت التهديد بالسلاح.

والواضح أنَّه عندما يتدخل الأمريكيون انطلاقاً من هذه التصوّرات، ويدخلون قرية يشتبه بوجود (عناصر الطالبان) فيها، أو أنَّهم تلقوا بالفعل معلومات بهذا الخصوص من عملائهم، تراهم يتصرَّفون بعنف، ويداهمون المنازل واحداً تلو الآخر، في الوقت الذي تكون فيه كل المحلات والأزقة وحتى القرية محاصرة من قبل العسكريين الأمريكيين ووحدات من قوة حلف شمال الأطلسي، وبسبب عمليات التفتيش والمداهمات هذه، التي يفتش فيها كل شيء أمام الجميع حتى الأدوات والوسائل الشخصية للنساء والرجال الأفغان الذين لا يقوون على فعل شيء أمام هذه التصرفات الشنيعة والتحقيرية، يضمر الأفغان حقداً وغضباً شديداً على القوات الأمريكية، قد يدفع بهم إلى الاعتقاد بأنَّ (الطالبان) كانت على حق عندما رفضت الانصياع لمثل هذه الممارسات الشنيعة، حتى وإن لم يكونوا قد دعموا الطالبان حتى ذلك الحين.

واللافت أنَّ عمليات التفتيش منزلاً بمنزل قد طالت مناطق معيَّنة مرات عديدة. وهذا هو أحد الأسباب الرئيسة في إثارة سخط الشعب الأفغاني ومعارضته، خاصةً في القرى التي يقطنها البشتون.

وبقليل من الإمعان في هذه الأعمال التي يمارسها الجنود الأمريكيون في أفغانستان يمكن التوصل إلى حقيقة دامغة وهي: أنَّ ما

يجري ناجم عن التباين في ثقافة الطرفين ومعتقداتهم. إذ إنَّ أحدهما في وادٍ، والثاني في وادٍ آخر.

التباين في المنظومة الثقافية والاجتماعية بين الأفغان والقوات العسكرية الأمريكية، لا يتجسد فقط في حالات المداهمات والإساءة إلى الأماكن الدينية المقدَّسة، بل يتوقع أن تكون له تبعات أُخرى وأكثر خطورة وتجذراً على المدى البعيد. وخير دليل على ذلك هي التجارب التاريخية التي مرَّ بها الأفغان خلال الحربين التي نشبت بينهم وبين البريطانيين خلال فترة الاستعمار البريطاني في شبه القارة الهندية.

فمنذ ذلك الوقت وحتى الآن يشكك الأفغان بكل من هو أجنبي، بل نمت لديهم حالة من العداء للأجانب، وضربت جذورها في ثقافتهم وتقاليدهم ومقوماتهم الاجتماعية. والغريب في الأمر أنَّ البريطانيين ـ ورغم ما اكتسبوا من تجارب وخبرات تاريخية في أفغانستان ـ استأنفوا تكرار أخطائهم، وبدأوا بدخول تجربة جديدة، مع أنَّه كان من المفروض أن يستفيدوا من تجاربهم، ويطلعوا عليها أبناء عمومتهم الأمريكان أيضاً.

ولربَّما يكون (البريطانيون) قد توخوا الحذر واليقظة وأناطوا المسؤوليات بالقوات الأمريكية ليختبئوا وراءهم وليتجنبوا قدر المستطاع تبعاتها السلبية.

إنَّ نزعة مقارعة الأجنبي هي أبرز وأقوى معالم السلوك الاجتماعي والأكثر رسوخاً في وجدان المجتمع الأفغاني اليوم.

ويرى بعض الخبراء أنَّ نزعة مقارعة الأجنبي هي سلوك

اجتماعي أشدّ رسوخاً في المجتمع الأفغاني، ويعود تاريخها إلى عهود غابرة.

وسرّ عدم استطاعة المحتلين مواصلة احتلالهم أفغانستان لفترة طويلة يكمن في حقيقة هذه النزعة التي اتخذت طابعاً منتظماً في مختلف الأبعاد.

على أية حال، فالحقيقة التاريخية هي أنَّ الأفغان متمسكون بقوة بتقاليدهم القومية الملتحمة بقيمهم ومعتقداتهم الدينية. ولهذا فإنَّهم يشعرون بالقلق وبعدم الارتياح من إساءة المحتلين لتقاليدهم القومية ومعتقداتهم الدينية. لكن أهمية هذا الموضوع تكمن في النظر إليها من زاوية أُخرى تطل على أفغانستان اليوم. ذلك لأنَّ تبعات القضية لن تبقى محدودة بفترة الاحتلال التي لا بدَّ أن تنتهي في يوم ما.

ويبقى أنَّ ثمة موضوعاً مهماً بهذا الخصوص لم ينل الاهتمام المطلوب حتى الآن، هو: أنَّ هناك شريحة في المجتمع الأفغاني قد تعاونت مع المحتل بأي دليل كان، واستطاعت بذلك أن ترسِّخ موقعها نسبياً في السلطة، لكن السؤال هو: هل تستطيع هاتان القوتان العيش مع بعضهما في هدوء وتسامح بعد زوال الاحتلال مهما طال أمده؟ أم أنَّ الخلافات المتراكمة منذ فترة الاحتلال، ستتفجر في يوم ما، وتدفع بأفغانستان إلى حالة من الفوضى ثانية؟

ليست هناك إجابة واضحة على هذا التساؤل، وعلى مثل هذا الاحتمال المخيف.

ج ـ إحراق جثث المسلمين بدل دفنها:

فيما يخص التباين الثقافي بين الأمريكيين والأفغان، هناك مثل ينطوي على قدر كافٍ من الوضوح بشأن هذا الموضوع، ألا وهو:

إحراق جثث عناصر من (الطالبان) كانوا قد قتلوا على يد القوات الأمريكية. فالأمريكيون اعتبروا هذا العمل طبيعياً للغاية، إلى حد أنَّهم قاموا بإحراق جثتين من تلك الجثث أمام عدسة مصور صحفي أسترالي. لكن عرض هذه الصور على شاشة التلفزيون الأسترالي، آثار موجة من الغضب والمعارضة من قبل المسلمين في أستراليا وثم في أفغانستان. وكانت الاحتجاجات في أفغانستان قد عمَّت العديد من الولايات والمدن والبلدات. وبما أنَّ القادة العسكريين الأمريكيين لم يتفهموا بالضبط لماذا قوبل عملهم هذا بمثل ردود الفعل هذه، حاولوا تبرير سلوك جنودهم مدّعين أنَّ تلك الجثث قد عثر عليها تباعاً وفي وقت متأخر. لذلك تمَّ إحراقها خوفاً من تفشي الأوبئة والأمراض المعدية. ولم تكن لديهم نيَّة للاستهانة بها.

بيد أنَّ الحقيقة هي أنَّ تلك الجثث قد أحرقت فور انتهاء الاشتباكات وأمام عدسة المصور الأسترالي. والصورة تثبت صحة ما حصل. وهذا الحادث ناجم عن قضية أكثر أهمية، والأمريكيون ليسوا على استعداد للاعتراف بها، وهي: أنَّ الأمريكيين ليسوا على إلمام كاف بالتباين بين التقاليد والمعتقدات الدينية للأفغان وبين سلوكهم هم، ولا يعلمون بأنَّه إلى أيّ مدى يعتبر الأفغان إحراق جثث المسلمين إهانة لهم من الناحية الدينية. وأكثر ما يمكن أن تتوفر لدى الجنود الأمريكان من معلومات، فهي عبارة عن تعاليم قد تلقوها أحياناً من القوانين الدولية، فيما لا يولون اهتماماً لعمق مشاعر الشعب الأفغاني المسلم وأحاسيسه، وأغلب الظن أنَّ العسكريين الأمريكيين ليسوا على علم حتى بقوانين (معاهدات جنيف) التي تمنع بموجبها الاستهانة بجثث قتلى العدو.

على أية حال، عندما عرضت صور إحراق الجثتين على شاشة التلفزيون الأسترالي، أرسلت وكالة الأنباء تقارير عديدة من (كابول) حول احتجاجات الأفغان الواسعة التي عبَّرت عن مدى غضبهم وكراهيتهم لهذا العمل الشنيع المتعارض مع معتقداتهم الدينية. وإلى ذلك ندَّد (المولوي فيض عمر) وهو من كبار علماء الدِّين في أفغانستان، ندَّد بشدَّة في خطبة صلاة الجمعة يومذاك بهذا الحادث مطالباً (حكومة كرزاي) بالتدخل لوقف مثل هذه الممارسات.

د ـ أساليب تعامل العسكريين الأمريكيين مع السجناء الأفغان:

رغم أنَّ تعذيب السجناء الأفغان في السجون داخل القواعد الأمريكية قد تحول إلى قضية مألوفة ومستمرة، ورغم الإفصاح عنه ـ ولو بشكل محدود في البلدان الغربية ـ إلاَّ أنَّ ذلك لم يؤدِّ إلى إحداث تغيير في أسلوب تعامل السجَّانين الأمريكيين مع أولئك السجناء، أكثر من ذلك فإنَّ انتهاك حقوق الإنسان في أفغانستان الخاضعة للاحتلال الأمريكي، لم يتوقف عند هذا الحد، ولم يقتصر أيضاً على السجناء الرسميين وحسب. بل هناك أدلة تبرهن على أنَّ القادة العسكريين الأمريكيين قد أنشأوا أيضاً سجوناً ومعتقلات خاصة في كابول. ومع أنَّ هؤلاء القادة نفوا الأنباء التي تسربت عن تلك السجون وعن علاقة الجيش الأمريكي بها وبمن يقومون عليها؛ فقد أماطت الشرطة الأفغانية اللثام عن أحد تلك السجون الخاصة.

وعلى ما يبدو أنَّ النفي الأولي لعلاقة الجيش الأمريكي بهذه السجون كان قد مهَّد السبيل لإحالة المتورطين في هذه القضية إلى المحاكم الأفغانية. وكان الأمريكيون ـ الذين أسسوا تلك السجون

الخاصة ـ يعتقلون عناصر للاشتباه بانتمائهم إلى الطالبان أو القاعدة، ويمارسون بحقهم مختلف أساليب التعذيب الجسدي والنفسي.

وقد اعترف هؤلاء أثناء الاستجواب بأنَّهم ينتمون إلى الجيش الأمريكي. وكان أحدهم يتولى قيادة تلك المجموعة من السجَّانين. وعندما سئل حين استجوابه عن السبب في قيامه بهذا العمل الأحادي الجانب وبدون علم الجيش الأمريكي، ثار غضباً وأكد بصراحة أنَّه كان يتلقى التعليمات مباشرة من وزير الدفاع (دونالد رامسفيلد).

واللافت أنَّ المسؤولين الأفغان لم ينشروا أيّ بيان بخصوص صحة مزاعم أولئك السجانين الأمريكيين الذين كانوا يتولون إدارة تلك السجون الخاصة في كابول. ومع ذلك ليس ثمة ما يدعم الزعم بإقدام عدد من الأمريكيين على تأسيس سجن في هذا الجزء من العالم وبتكاليف شخصية ورغم كل المخاطر التي ربَّما كانوا سيواجهونها في ظل ظروف الحرب السائدة هناك، فيما كانوا يتولّون هم مباشرة أيضاً تسديد النفقات المترتبة عليهم كنفقات إدارة السجن ومرتبات العاملين فيه دون الحصول على دعم مالي من أية جهة. ولهذا لا يصدق أحد الحافز وراء إنشاء سجن خاص في كابول، ومغامرة مجموعة لا علاقة ولا صلة لها بالجهات العسكرية والاستخبارية الأمريكية. لكن بالطبع يحتمل أن يكون القادة العسكريون الأمريكيون على غير علم بمهمات زملائهم الذين كانوا على اتصال مباشر بوزارة الدفاع (البنتاغون).

ولا يستبعد أيضاً أن تكون هناك مجموعة من الضباط المستقلين عن قيادة الجيش الأمريكي في أفغانستان، قد أنيطت بها مهمات خاصة وبشكل مباشر من جانب البنتاغون، بحيث لم يكونوا مضطرين لإبلاغ زملائهم. والجدير ذكره أنَّه كانت هناك حالات مماثلة على

خلفية السياسة العسكرية الأمريكية. فعلى سبيل المثال كانت مجموعات عسكرية سرية تقوم بمهمات خاصة خلال الحرب في فيتنام بدون تنسيق مع قيادة الجيش الأمريكي هناك.

وعليه من الطبيعي أن ينفي قادة الجيش الأمريكي في أفغانستان مهمة تلك العناصر التي أقدمت على تأسيس سجن خاص في كابول. ذلك لأنَّ هؤلاء القادة لم يكونوا على علم بمهمة تلك العناصر، باعتبار أنَّ كافة الإمكانات والتعزيزات كانت ترسل إليهم من البنتاغون مباشرة. ولهذا السبب فإنَّ ادعاءات هؤلاء بخصوص أنَّ مهمتهم كانت سرية ومناطة بهم مباشرة من جانب البنتاغون تبدو أقرب إلى الواقع.

ويدلُّ التقرير الأولي الذي صدر عن القادة الأمريكيين بعد إماطة اللثام عن السجن الخاص في كابول، على أنَّ المسؤولين الأمريكيين في الجهازين السياسي والعسكري في كابول كانوا يحاولون تجنيب أنفسهم هذه الفضيحة. وسبب ترجيح ذلك هو أنَّ هؤلاء كانوا في الواقع على غير علم بمهمة الذين أنشأوا ذلك السجن الخاص.

علماً بأنَّ العسكريين الأمريكيين الذين اعتقلوا على خلفية هذه القضية، لم ينفوا عدم وجود صلة بينهم وبين القادة العسكريين الأمريكيين في أفغانستان، وعلى ما يبدو أنَّ مهمتهم كانت تتمثل في كشف عناصر يشتبه بانضمامهم إلى (تنظيم القاعدة) واعتقالهم، والحصول منهم على معلومات عن مخابىء زعماء القاعدة والطالبان بمن فيهم (ابن لادن) و(الملا عمر).

وكان ثمانية من المعتقلين في ذلك السجن قد أفرج عنهم فيما

بعد جرّاء عمليات الشرطة الأفغانية في كابول، أكدوا أنَّهم سئلوا هناك عن مخابىء زعماء الطالبان والقاعدة.

واللافت أيضاً أنَّ عدداً من المواطنين الأفغان الذين كانوا يتعاونون مع المؤسسين للسجن الخاص في كابول قد اعترفوا بدورهم بأنَّ الأمريكيين كانوا يبحثون عن مخابىء زعماء القاعدة والطالبان.

وبما أنَّ المسؤولين في السلطة القضائية الأفغانية لم ينشروا إلاَّ ما ندر من المعلومات عن ذلك السجن، ظلَّت المهمة الحقيقية لأولئك السجَّانين الأمريكيين محاطة بالغموض. بيد أنَّه تمَّ تأييد وجود مثل هذا السجن، حتى إنَّ إذاعة الـ(بي. بي. سي) بثت تقريراً بهذا الخصوص في السابع من تموز ٢٠٠٥م جاء فيه:

«... قال مسؤولون أفغان إنَّه تمَّ القبض على عدد من الأجانب وعلى مواطنين أفغان بتهمة تأسيسهم سجناً خاصاً. وكان أمريكي واحد على الأقل متورطاً في هذه القضية. وهناك أنباء متضاربة عن عدد المعتقلين وهوياتهم. وفيما تم تأييد اعتقال أمريكي واحد، إلاَّ أنَّ بعض المصادر كشفت النقاب عن اعتقال ثلاثة أمريكيين. ولم يتضح بعد السبب وراء تأسيس سجن خاص من قبل هذه العناصر. وفي الوقت ذاته أقدمت السفارة الأمريكية على إجراء غير عادي تمثَّل في تنصّلها ممَّا قام به المواطنون الأمريكيون»[١].

وبالرغم من أنَّ المعتقلين الأمريكيين المتورطين بإنشاء (سجن خاص) في كابول كانوا قد أكدوا مسؤوليتهم في هذه القضية معتبرين أنَّ ذلك كان جزءاً من المهمة المناطة بهم من قبل وزارة الدفاع

(١) إذاعة الـ(بي. بي. سي) ٧ تموز ٢٠٠٥م.

الأمريكية، إلاً أنَّ السلطات الأفغانية لم تطلع وسائل الإعلام على معلومات موثقة بهذا الصدد. والتغطية على هذه القضية أدَّت إلى إثارة الشكوك من جهة، وإلى تأييد المزاعم التي أطلقها المعتقلون من جهة أُخرى، بأنَّ هؤلاء كانوا في الواقع ينفذون مهمة سرّية للغاية، ولكنَّها لم تتوصل إلى النتائج المرجوة بسبب الظروف الخاصة في كابول والتي أدَّت إلى إماطة اللثام عن تلك المهمة.

ويبقى السؤال هو:

هل مثل هذه المهمة السرية اقتصرت فقط على السجن المكتشف؟

وهل هناك سجون أُخرى لم يتم الكشف عنها؟

الحقيقة هي أنَّه ليس بالمقدور إعطاء حكم منصف بهذا الخصوص طالما لا تتوفر معلومات موثقة. ومع ذلك لا يمكن نفي احتمال أن تكون وزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ(C.I.A) قد أوفدت عناصر تابعة لها للبحث عن زعماء القاعدة والطالبان واصطيادهم بطريقتهم الخاصة سواء في أفغانستان أو حتى في باكستان، دون أن يعلم أحد بمهمتهم هذه.

وإذا كان السجناء في السجون العلنية والرسمية التابعة للجيش الأمريكي يتعرَّضون لأبشع أنواع التعذيب على غرار ما كان متبعاً في القرون الوسطى، فليس هناك شك بأنَّ السجناء في السجون والمعتقلات الخصوصية والسرِّية يتعرَّضون لأشدّ التعذيب، ويعانون من مصائب وظروف غير إنسانية صعبة للغاية. ولا يمكن التكهن بخصوص هذه السجون إلاً بوصفها بأنَّها أسوأ كثيراً من السجون العلنية التابعة للجيش الأمريكي. وبالطبع لا يتوقع أن تطَّلع وسائل الإعلام على مثل

هذه السجون السرِّية لأنَّه لا يعلم أحد أصلاً بوجودها. لكن قضية السجن الخصوصي في كابول هي قضية استثنائية أميط اللثام عنها، ويتوقع أن تكون في أفغانستان سجون سرية أُخرى لا يعلم أحد شيئاً عنها وعن ضحاياها.

هـ ـ الاحتجاجات الشعبية على بقاء الأمريكيين:

لا نقاش بالطبع حول حقيقة أنَّ الشعب الأفغاني يبدي عدم الارتياح والغضب الشديد تجاه سلوك الأمريكيين وتصرفاتهم في أفغانستان.

وهذ ما يتجلَّى بوضوح أكثر في المناطق الجنوبية والشرقية حيث الغالبية القبلية والبشتونية. وذلك لأنَّ الأمريكيين قبل كل شيء يمارسون أساليب أشدّ عنفاً بحق المواطنين العاديين في هذه المناطق، ظناً منهم بأنَّ (البشتون) هم من حماة الطالبان. ولكنَّهم لا يمارسون نفس الأسلوب تجاه المواطنين في المنطقة الشمالية، لاعتقادهم بأنَّ هؤلاء لا يدعمون الطالبان.

ومهما كانت الدلائل فإنَّ ثمة حقيقة لا لبس فيها، وهي: أنَّ الأمريكيين يمارسون أساليب عنيفة بحق القبائل في جنوب أفغانستان وشرقها. الأمر الذي أدّى إلى إثارة الغضب الشديد لدى البشتون. لكن هذا لا يعني بالطبع أنَّ الأمريكيين يقابلون بالترحيب في المناطق الأُخرى من البلاد.

والحقيقة هي أنَّ الشعب الأفغاني يعتبر أنَّ مهمة الأمريكيين قد انتهت بسقوط حكم الطالبان، وعليهم مغادرة البلاد بصورة تدريجية. لكن من الواضح أنَّ الأمريكيين لم يأتوا إلى أفغانستان ليغادروها

بسرعة. وعليه فإنَّ أفغانستان ستظل خاضعة للاحتلال الأمريكي إلى أجل غير مسمى، وقد يتخذ الاحتلال أشكالاً لبقائه هناك، أي أن يتواصل الوجود العسكري الأمريكي هناك بموجب اتفاقيات تسمح بإنشاء قواعد عسكرية أمريكية فوق الأراضي الأفغانية، على غرار اتفاق التعاون الاستراتيجي الذي وقعه كل من الرئيس الأفغاني (حامد كرزاي) ونظيره الأمريكي (جورج بوش). في حين أنَّ الغالبية الأفغانية تعارض إنشاء مثل هذه القواعد واستمرار الوجود الأمريكي في أفغانستان.

وعليه يمكن القول ـ انطلاقاً من تقييم أكثر واقعية ـ أنَّ الوجود الأمريكي في أفغانستان سيتواصل في المستقبل، ولكن بأشكال مختلفة. والسبب هو أنَّ (الولايات المتحدة) لم تحتل أفغانستان لإسقاط طالبان فقط، بل لأجل تحقيق أهداف أبعد من الواقع الأفغاني. ومنها: سعيها ـ إلى جانب حلف شمال الأطلسي ـ لمواصلة وجودها العسكري في بلدان آسيا الوسطى، وتوسيع دائرة نفوذها لتشمل ولاية كشمير الباكستانية، إذ تتطلع إلى إقامة قاعدة عسكرية لها هناك. وهذا ما يعني أنَّ الولايات المتحدة تستعدّ لمواصلة وجودها المديد في أفغانستان وآسيا الوسطى. وعلى هذا ليس من المتوقع أن تنسحب من أفغانستان في المستقبل القريب.

ويعتقد بعض الخبراء أنَّ احتلال أفغانستان هو بداية لمواصلة الوجود الأمريكي الدائم في آسيا الوسطى وجنوب آسيا حتى تتمكن الولايات المتحدة من فرض رقابة مستمرة على الدول الكبرى في هاتين المنطقتين بما فيها: الصين وروسيا والهند وإيران.

وفي ضوء عدم وضوح الآفاق المستقبلية، يشعر أبناء الشعب

الأفغاني بالقلق من استمرار احتلال بلادهم. لهذا يطالبون بالجلاء السريع للقوات الأمريكية.

وإذا كان هذا هو مطلب عام تقريباً، فإنَّ ثمة قضية لا مناص منها هي: أنَّ بعض المسؤولين الأفغان يرون استمرار هذا الوضع ضماناً لاستمرار سلطتهم ومراكزهم ونفوذهم، لكن معارضة الرأي العام الأفغاني لاستمرار الوجود الأمريكي هي معارضة واسعة وجدّية إلى حدٍّ لم يعد معه هؤلاء المسؤولون قادرون على إعلان موقفهم الصريح والواضح بهذا الصدد. سيَّما وأنَّ معارضة الشعب الأفغاني للاحتلال تضرب جذورها في تاريخ هذا البلد.

فالحقيقة التاريخية التي باتت معروفة بالنسبة للشعب الأفغاني أنَّه عندما تدخل قوى أجنبية إلى أفغانستان، فإنَّه يتصدَّى لها هذا الشعب، وتندلع الحرب بين الطرفين. واليوم تحتل (الولايات المتحدة) أفغانستان في ظل ظروف استثنائية وبإذن من (مجلس الأمن الدولي) إلاَّ أنَّ إذن أو قرار مجلس الأمن لا يمكن أن يكون مبرراً لمواصلة احتلال هذا البلد. خاصة أنَّه تمَّ إعادة بناء المؤسسات بشكل تدريجي، وأصبحت البلاد ذات حكومة منتخبة ومجلس وطني، وأنَّ السلطات الثلاث قد تبلورت بشكل نهائي أسوة بالبلدان الأُخرى.

ثم إنَّ ذريعة وجود (الطالبان) و(تنظيم القاعدة) لا تبدو أنَّها على تلك الدرجة من القوة بحيث يمكن معها تبرير مواصلة الاحتلال. وعليه فإنَّ من حق الشعب الأفغاني أن يطالب بوضع نهاية تدريجية لاحتلال بلاده.

ومع ذلك ثمة حقيقة لا بدَّ من أخذها بعين الاعتبار في حسابات

الوضع المستقبلي لأفغانستان ومواصلة الاحتلال وهي: أنَّ بعض أطياف الشعب الأفغاني لا تعتبر الوجود الأمريكي في أفغانستان احتلالاً، وإنَّما تنظر إليه في إطار التعاون والدعم الأمريكي للقضية الأفغانية، ويُشار هنا إلى احتمال تواصل الوجود العسكري الأمريكي من خلال إنشاء قواعد معينة في حال اعتماد الاتفَاقية الاستراتيجية في (المجلس الوطني الأفغاني) وفي ظل ظروف استثنائية، وعلى غرار نموذج كوريا الجنوبية واليابان، بالرغم من أنَّ الأمريكيين يواجهون هناك ومن حين لآخر احتجاجات من قبل شعبي البلدين. بيد أنَّ تلك الاحتجاجات لم تبلغ حتى الآن درجة تضطر الولايات المتحدة إلى إغلاق قواعدها هناك. وهذه الحالة قد تنطبق على أفغانستان أيضاً. لا سيَّما أنَّ (الولايات المتحدة) تمنح عادة امتيازات مالية للدولة المضيفة مقابل مشاريعها العسكرية، وبما أنَّ أفغانستان هي دولة فقيرة، لذلك تأمل (الولايات المتحدة) أن تقنع الشعب الأفغاني من خلال الوسائل الإعلامية والأساليب الدعائية بأنَّ استمرار الوجود العسكري الأمريكي هو لصالحهم أيضاً.

لكن يجب التنويه إلى أنَّ الأفغان ـ واستناداً إلى خلفياتهم التاريخية ـ يعتبرون الوجود العسكري الأجنبي في بلادهم أياً كان شكله ونوعه، على أنَّه احتلال من قبل الأجنبي، ولا يرضون به قطعاً. ومن هذا المنطلق يلاحظ أنَّ أبناء الشعب الأفغاني يبدون عدم الارتياح من استمرار الاحتلال كلَّما سنحت لهم الفرصة لذلك، خاصة عندما تقع حادثة وتسلّط وسائل الإعلام الضوء عليها، فإنَّ هذا الموقف الشعبي يتجلَّى بوضوح.

على سبيل المثال: عندما كان الأمريكيون يشنّون هجمات على

مناطق يحتمل أن تكون عناصر الطالبان منتشرة فيها، ويسفر ذلك عن مقتل الأبرياء من النساء والأطفال، يعرب الأفغان بشكل علني عن غضبهم وعدم ارتياحهم إزاء الحادث، ومن خلال مظاهرات حاشدة يطالب فيها الخطباء بوضوح بوضع نهاية للوجود العسكري الأمريكي، وتسليم الملف الأمني للجيش والشرطة الأفغانية. لكن بما أنَّ أغلبية وسائل الإعلام تخضع للإرادة الأمريكية، لذلك تمتنع عن تغطية تلك التظاهرات المناوئة للقوات الأمريكية، ولهذا قلَّما يطلع الرأي العام العالمي على حقيقة ما يجري هناك.

ومع ذلك ليس هناك ما يدعو للشك في أنَّ الرأي العام المحلي والعالمي والدول الجارة لأفغانستان والدول الإقليمية كلها لا توافق على استمرار الوجود العسكري الأمريكي في أفغانستان، لا بل تطالب أيضاً بالانسحاب السريع للقوات الأمريكية من هناك، وذلك للمساعدة على إعادة السلام والاستقرار إلى ربوع هذه الدولة، وعلى توفير الأرضية اللازمة لإعادة بناء الوضع الاقتصادي والبنى التحتية الأفغانية المدمرة.

والمثال المهم الآخر الذي عبَّر الشعب الأفغاني عن غضبه إزاءه، والذي لم يطلع الرأي العام العالمي عليه إلاَّ في نطاق محدود، هو: إحراق جثتي قتيلين من عناصر الطالبان بيد الجنود الأمريكيين. فهذا الحادث بعد الإفصاح عنه أدَّى إلى إثارة غضب الأفغان وإلى قيامهم بمظاهرات في قندهار. لكن الأمريكيين بالطبع سارعوا إلى تبريره، وحاول الرئيس (حامد كرزاي) امتصاص نقمة الشعب الأفغاني من خلال الاعتذار من الشعب، والتنديد بهذا السلوك الشنيع للجنود الأمريكيين.

ومع ذلك ليس هناك ما يدعو للشك في أنَّ الشعب الأفغاني المسلم يضمر الحقد إزاء هذه الممارسات المشينة التي يقوم بها الأمريكيون. وإذا لم يسمح لهم الوضع بالتعبير عن غضبهم ولو بشكل محدود، فإنَّ ذلك لا يعني بأنَّ الأفغان لا يبدون اهتماماً لهذه الممارسات ويمرُّون عليها مرور الكرام. كما لا شك أنَّ ما يضمره الشعب الأفغاني من غضب دفين تجاه هذا السلوك البشع، سيتفجر في فرصة مناسبة ويخلق مشاكل جدّية للوجود العسكري الأمريكي في أفغانستان.

ومن هنا يتوقع أن يتفاقم الخلاف بين الأفغان والقوات الأمريكية، وأن تتوفر الأرضية اللازمة لإعلان الشعب الأفغاني انزعاجه من الاحتلال، خصوصاً بعد انحسار ذريعة التصدي للطالبان بمرور الزمن، وحينذاك سيتضح إلى أي حد كان الرأي العام الأفغاني ساخطاً على سلوك الأمريكيين المهين تجاههم.

وبينما يظن الجنود الأمريكيون بأنَّهم يشاركون في عمليات إنسانية، ويسعون لإنقاذ الشعب الأفغاني من شرور الإرهاب والتوتر الأمني. تعتبر أغلبية الشعب الأفغاني أنَّ أعمال الأمريكيين وتصرفاتهم متناقضة مع تقاليدهم القومية والدينية، ويرفضون ثقافة الجيش الأمريكي.

هل يمكن إنشاء قواعد عسكرية في أفغانستان؟:

يعتبر الكثير من الأفغان أنَّ مهمة القوات الأمريكية في بلادهم قد انتهت بسقوط الطالبان، وعليها أن تغادرها بموجب خطة متفق عليها. ولكن يبدو أنَّ المسؤولين الأمريكيين ليسوا بصدد جلاء قواتهم، لا بل إنَّهم يعتزمون عقد اتفاقيات تضفي على وجودهم العسكري في أفغانستان طابعاً قانونياً.

وكان الرئيس الأفغاني (حامد كرزاي) قد أبرم اتفاقية للتعاون الاستراتيجي مع الرئيس الأمريكي (جورج بوش) قبل إجراء الانتخابات البرلمانية في أفغانستان. وقد أحيطت الاتفاقية بطابع السرِّية، ولم يكشف عن مضمونها حتى الآن. إلاً أنَّ هدف (الولايات المتحدة) من هذه الاتفاقية، هو إقامة عدة قواعد عسكرية دائمة في أفغانستان. ولكن ينبغي تمرير الاتفاقية على (البرلمان) للمصادقة عليها أسوة بما فعلت كوريا الجنوبية واليابان اللتان تمتلك (الولايات المتحدة) قواعد عسكرية لها فوق أراضيهما. وبما أنَّ أنصار (الرئيس كرزاي) يشكّلون الأقلية في البرلمان أمام الأكثرية من أنصار المجاهدين، لذلك يستبعد أن يصادق (البرلمان) على الاتفاقية الاستراتيجية بين أفغانستان والولايات المتحدة، بل يتوقع أن يطالب نواب البرلمان بأن تقوم الشركات المختلفة الاقتصادية بالاستثمار في أفغانستان المدمرة لأجل إعادة بنائها. بدلاً من الحصول على امتيازات مالية ضئيلة مقابل السماح للولايات المتحدة أو لحلف شمال الأطلسي بإنشاء قواعد عسكرية فوق الأراضي الأفغانية، للانطلاق منها لقصف المناطق الأفغانية وزعزعة الأمن والاستقرار في البلدان الجارة مع أفغانستان.

وكما هو معلوم فإنَّ (الولايات المتحدة) قد أقامت بالفعل قواعد عسكرية لقواتها في مناطق مختلفة من أفغانستان، وعليه لا فرق سواء صادق البرلمان الأفغاني أو لم يصادق على إنشاء مثل هذه القواعد.

أزمة انتشار قوات حلف شمال الأطلسي:

في أعقاب الحرب العالمية الثانية، تحولت (أفغانستان) إلى

إحدى أهم بؤر الخلافات بين القوتين العظميين: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي السابق. وأقدمت الولايات المتحدة ـ وبمساعدة البلدان الأوروبية الغربية ـ على تأسيس حلف شمال الأطلسي (الناتو)[1] بهدف مواجهة توسع نفوذ الاتحاد السوفياتي أو أيّ هجوم محتمل من جانبه.

وبعد انهيار السوفياتي واضمحلال الشيوعية، اعتبر حلف الناتو أنَّ التنظيمات الإسلامية الأُصولية تهديد جاد على أعضائه. وعقب وقوع حوادث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م أعلن أنَّ (أفغانستان) أضحت بؤرة للإرهاب الدولي. فجاءت الحرب عليها، وأطيح بنظام الطالبان هناك، ودخلت قوات حلف الأطلسي القارة الآسيوية ولأول مرة في آب عام ٢٠٠٣م. وبموجب قرار (مجلس الأمن) رقم (١٣٧٨) الصادر في ٢٠ كانون الأول عام ٢٠٠١م تشكلت قوة دولية لضمان الأمن والاستقرار في أفغانستان (إيساف)[2] لا سيَّما في العاصمة كابول وضواحيها بما فيها (مطار بكرام).

وبدأت قوة (إيساف) مهامها كحلقة وصل للتعاون بين أطراف ثلاث هي: الحكومة الأفغانية الانتقالية، ومنظمة الأُمم المتحدة، وقوات التحالف من تسع وعشرين دولة. وغالبية قوة (إيساف) التي قوامها (٥٥٠٠) جندي كانت من الوحدات الكندية والألمانية.

لكن المشاكل التي نجمت عن سوء الإدارة والقيادة في (إيساف)

---

(١) تأسس حلف شمال الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة بموجب معاهدة عقدت في (واشنطن) ووقعت عليها ١٢ دولة من دول المحيط الأطلسي في ٤ نيسان عام ١٩٤٩م.

(٢) International security assistance force (isaf).

دفعت ألمانيا إلى عرض مشروع قرار على (مجلس الأمن) بنقل وظائف ومهام (إيساف) إلى حلف شمال الأطلسي. وصادق المجلس على هذا المشروع، وتمَّ في الحادي عشر من آب عام ٢٠٠٣م وفي مراسم خاصة حضرها وزير الدفاع الألماني، نقل مهام (إيساف) إلى قوة الناتو في كابول.

كما وافق (مجلس الأمن) في ٣ تشرين الأول عام ٢٠٠٣م على توسيع مهمة قوة الناتو إلى أبعد من العاصمة الأفغانية كابول. فبات بمقدورها الانتشار في ثلاث أو خمس ولايات من الولايات الأفغانية.

ولكن (قوة الناتو) في أفغانستان، تواجه مشاكل وأزمات جدية. حيث فشلت في تطبيق خطة نزع سلاح الميليشيات بسبب النزاعات القومية والسياسية في المجتمع الأفغاني، وقلق المسلمين الأفغان من وجود القوات الأجنبية فوق أراضيهم. وبالإضافة إلى ذلك تعاني قوة حلف الأطلسي من صعوبات جمة تتمثل في طول المسافة التي يتم خلالها نقل المعدات اللوجستية من أوروبا إلى أفغانستان؛ وسوء الظروف الصحية؛ ووعورة المناطق الجبلية في أفغانستان. ومن ناحية ثانية فإنَّ الأفغان يضمرون عداءاً آخذاً بالتوسع لقوة حلف الأطلسي بسبب تعاملها العدواني مع القادة المحليين الذين يقود كل واحد منهم مجموعة من العناصر المسلحة.

أفغانستان والمشروع غير الفاعل لنقل الطاقة:

لا زالت (أفغانستان) تحظى بالأهمية لإمكانية نقل النفط والغاز عبر أراضيها من منطقة آسيا الوسطى إلى بحر عمان. وبما أنَّ هذه المنطقة تفتقر إلى الممرات المائية، لذلك لا يتم الاستثمار الكامل فيها

رغم ما فيها من احتياطي ضخم للنفط والغاز لا سيَّما في حوض بحر قزوين. وهناك أربعة طرق لنقل النفط والغاز من هذه المنطقة، وهي:

الأراضي الإيرانية، والأراضي الروسية التي تعارض الولايات المتحدة تصدير النفط والغاز عبرهما لأسباب سياسية، بالإضافة إلى الأراضي الجورجية والتركية حيث تمتد أنابيب النفط من (باكو) عاصمة (جمهورية أذربيجان) إلى ميناء (جيهان) التركي عبر الأراضي الجورجية.

غير أنَّ كميات النفط المصدرة عبر هذه الأنابيب لا زالت محدودة، وهناك خطة لزيادتها. وكانت شركة (بريتش بتروليوم) قد اعتمدت في ١٩/ ٢/ ٢٠٠٠م مشروع خطة لمدّ أنابيب نفط طولها ١٧٥٠ كيلومتراً من منطقة (شاه زينز) الأذربيجانية إلى (باكو) ومنها إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط. وإذا تمَّ الانتهاء من هذا المشروع، وبدأ العمل به بكامل طاقته، ترتفع كميات النفط المصدرة عبر هذه الأنابيب إلى مليون برميل يومياً. ويكلِّف المشروع ثلاثة مليارات دولار، وسيؤدِّي إلى ارتفاع العائدات بمقدار (٣,٥) مليار دولار سنوياً.

والطريق الرابع لتصدير النفط والغاز من منطقة آسيا الوسطى يمرُّ إلى باكستان عبر الأراضي الأفغانية. وقد وضعت شركة (شورون) مشروع خطة لهذا الغرض، ويتضمن مدّ أنابيب بقطر (١,٥) متراً وبطول (١١٧١) كيلومتراً من منطقة (دولت آباد) جنوب شرقي باكستان إلى منطقة (هرات) ومنها إلى (قندهار) الأفغانيتين، ومن ثم إلى (مولتان) وإلى (كويته) وبالتالي إلى (ميناء كراتشي) في باكستان.

طرق المواصلات الأفغانية:

تعاني أفغانستان من عدم وجود طريق يربطها بالمياه الحرة.

وهذا الأمر يعرقل أساساً تحقيق التنمية والازدهار الاقتصادي والتجاري في هذا البلد.

وعندما كانت أفغانستان خاضعة للاحتلال السوفياتي، بادرت (موسكو) إلى شق طريق عبر (جبال سالنك) ليصل بين (كابول) و(امودريا) ثم بينها وبين (موسكو) عبر منطقة آسيا الوسطى.

وفي ظل (حكم الطالبان) كان هناك طريق يربط بين (كابول) و(ميناء كراتشي) الباكستاني، ويمرُّ عبر مضيق (خيبر) و(بيشاور).

وبعد (سقوط الطالبان) توجهت الأنظار نحو طريق يربط بين (كابول) و(ميناء تشابهار) الإيراني كثالث طريق يربط أفغانستان بالمياه الحرة، ويساعد على تبادل السلع والبضائع بين أفغانستان والبلدان الأُخرى.

خط ديوراند: السبب في تأزم العلاقات بين أفغانستان وباكستان:

يرى الكثير من الخبراء الأفغان بأنَّ الاتفاقية الموقعة بين الملك الأفغاني (عبد الرحمن خان) والمسؤول البريطاني (السير هنري مورتيمور) في عام (١٨٩٣م) لرسم (خط ديوراند) الحدودي بين أفغانستان وباكستان، قد ألغيت بعد مائة عام، أي في عام ١٩٩٣. خصوصاً أنَّ القوميين البشتون على جانبي الحدود وخط ديوراند، يرجحون الاتحاد فيما بينهم دون الاهتمام بهذا الخط، بيد أنَّ الحكومة الباكستانية تطالب (حكومة كرزاي) في أفغانستان بالاعتراف بالحدود الدولية بين البلدين المعروفة باسم (خط ديوراند). ولكن (حكومة كرزاي) شأنها شأن الحكومات الأفغانية السابقة، ترفض الاعتراف بهذا الخط كحدود بين البلدين. حتى أنَّ هناك مسؤولين

قوميين في أفغانستان يؤمنون بضرورة العودة إلى الحدود السابقة، وما قبل خط ديوراند، والتي على أساسها يتعين ضمّ بعض المدن الباكستانية مثل: بيشاور وكويته إلى الأراضي الأفغانية. وهناك أيضاً عناصر مثل (عبد الولي خان) الذي يعتبره البعض زعيماً للبشتون يطالب بتأسيس دولة أو إقليم مستقل للبشتون يعرف باسم «بشتونستان» ولكن الدعوة إلى إحياء الحركة البشتونية في ظل الظروف الراهنة حيث تخضع أفغانستان لنير الاحتلال الأمريكي ستضرُّ بالمصالح الباكستانية.

و(خط ديوراند) الحدودي بين أفغانستان وباكستان هو نتاج لوجود الاستعمار البريطاني في أفغانستان يومذاك. ولم يسبق أن اعترفت به أيّ حكومة من الحكومات الأفغانية المتعاقبة، لأنَّ الأفغان يعتبرون أنَّ اتفاقية عام ١٨٩٣م ليست ذات طابع شرعي، لكونها وقعت من قبل الملك الأفغاني (عبد الرحمن خان) تحت وطأة ضغوط بريطانية. حتى أنَّ حكومة الطالبان ـ التي كانت تعتمد على المساعدات العسكرية والمالية من باكستان ـ لم تبد أي استعداد للاعتراف بخط ديوراند الذي يفصل الحدود بين البلدين. ومن هذا المنطلق فإنَّ المطالبة بإقليم بشتونستان وخط ديوراند لا زالا يشكّلان السبب الرئيس في استمرار تأزم العلاقات بين أفغانستان وباكستان. فضلاً عن أنَّ هذه الأزمة قد بدأت بالتفاقم منذ تدخُّل القوى الأجنبية في أفغانستان.

زراعة وتوزيع المخدرات:

كانت عملية زراعة المخدرات وتوزيعها كمصدر من مصادر توفير لقمة العيش للأفغان، وهي تحظى دوماً بدعم الحكومات والقوى المهيمنة على أفغانستان، وإن لم تعلن ذلك بصفة رسمية. وعلى هذا

فإنَّ توزيع المخدرات ونشرها عبر البلدان الجارة ومنها إيران ـ على وجه الخصوص ـ كانت السبب في نشوب الأزمات وحالة عدم الاستقرار في المنطقة.

وحسب إحصاءات الأُمم المتحدة لعام ٢٠٠٢م فإنَّ حوالي ٦٩ أو ٧٩ بالمائة من الأراضي الزراعية الأفغانية، كانت مخصصة لزراعة الأعشاب الأفيونية. وقال الرئيس (حامد كرزاي) في المؤتمر الثاني حول أفغانستان الذي عقد في بون الألمانية:

«إنَّ الحكومة الأفغانية ليست قادرة على مكافحة زراعة المخدرات، لأنَّها توفر لقمة العيش للبشتون»[١].

ومن جهة أُخرى فإنَّ (الولايات المتحدة) و(بريطانيا) اللتين أخذتا على عاتقهما ـ بعد انهيار الطالبان ـ مسؤولية ضبط ومنع زراعة الأعشاب الأفيونية وتهريب المخدرات من أفغانستان إلى الدول الأُخرى، لم تخطوا أية خطوة فاعلة في هذا الاتجاه. بل إنَّ بعض المراقبين والخبراء في الشأن الأفغاني يعتبرون أنَّ تكاليف العمليات السرية للأجهزة الاستخباراتية والتجسسية للعديد من الدول، تسدّد من وراء تهريب المخدرات منذ استولى الشيوعيون على الحكم في أفغانستان خلال فترة (حكم الطالبان) وحتى يومنا هذا، حيث الوجود العسكري المباشر للقوى الغربية في هذا البلد. وتشير التقديرات إلى أنَّ زراعة وانتاج الترياق بعد انهيار الطالبان قد ارتفع ليصل إلى (٣٦٠٠) طن سنوياً[٢].

---

(١) مولوي سيّد رسول، مؤتمر أفغانستان والتطورات المستقبلية، مجلة دراسات آسيا الوسطى والقوقاز الفصلية. العدد ٤٠ (شتاء ٢٠٠٢م) ص٢٤٦.
(٢) صحيفة همشهري، الملحق الدبلوماسي، طهران ١٧/ ٢/ ٢٠٠٣م.

وهناك أيضاً إحصائيات تشير إلى أنَّ النفقات التي تتكبدها (إيران) في مكافحة تهريب المخدرات تبلغ (٥٦١) مليون دولار سنوياً. وهي تنفق لإنشاء (٦٠٠) كيلومتر من الحواجز الترابية، وحفر مئات الكيلومترات من القنوات والخنادق، وإنشاء (١١١٤) ثكنة وأبراج للرصد[١]. علاوة على أنَّ أكثر من ثلاثة آلاف عنصر من عناصر الشرطة الإيرانية قد لقوا مصرعهم أثناء عمليات ملاحقة العصابات المهربة للمخدرات[٢].

والمهربون في (أفغانستان) يستغلّون الأجواء الأمنية والاقتصادية غير المستقرة هناك من أجل توزيع المخدرات في (إيران) وتهريبها عبر أراضيها إلى البلدان الأوروبية، حتى أصبح ذلك عاملاً للتوتر في العلاقات بين إيران وأفغانستان. ويشار إلى أنَّ القوى الأجنبية المرابطة في أفغانستان تستغل هذه الظاهرة لنسف العلاقات بين البلدين. ويحتمل أيضاً أن تستثمر هذه القوى العائدات المستحصلة من تهريب المخدرات لإثارة النزاعات القومية والتوترات على الحدود بين أفغانستان والدول الجارة معها.

تقليص النفوذ الروسي في أفغانستان:

تبدي (روسيا) عدم ارتياحها من احتلال أفغانستان من قبل القوات الأمريكية والبريطانية، ووجود القواعد العسكرية الأمريكية والأطلسية على مقربة من حدودها. ولكن بالطبع فإنَّ (روسيا) قد

(١) حق بناه، جعفر، تهريب المخدرات وتأثيره على أمن الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فصلية الدراسات الاستراتيجية (صيف عام ١٩٩٨م) ص١٥.
(٢) وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية الإيرانية ١٠/٤/٢٠٠٣م.

انتفعت من تفكيك قواعد ومعسكرات التدريب التابعة لتنظيم القاعدة فوق الأراضي الأفغانية. ذلك لأنَّ غالبية الوحدات التي حاربت القوات الروسية في (الشيشان) كانت قد تلقت التدريبات داخل أفغانستان. وهذا ما دفع (الروس) لدعم (الجبهة الشمالية الأفغانية) التي كانت تحارب الطالبان. ومع ذلك فإنَّ لروسيا الآن دوراً منحسراً جداً على صعيد التطورات التي تمرُّ بها أفغانستان. لأنَّ الحكومة الأفغانية الموالية للولايات المتحدة الأمريكية، لا تريد إناطة دور بروسيا. كما إنَّ مجاهدي الجبهة الشمالية التي يمثلها نواب في البرلمان الأفغاني، لا يشعرون بحاجتهم إليها. واللافت في هذا السياق أنَّ الحكومة الروسية ـ وبسبب الأعمال التي قام بها الشيوعيون ـ لا تتمتع بسمعة طيبة في أفغانستان. وطبيعي إذاً أن لا يبدي أي تيار أو فصيل أفغاني الرغبة في التعاون معها. ولكن ما يمكن أن تقوم به (روسيا) والحال هذه، هو أن تبادر بالتعاون مع (إيران) إلى منع (الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي) من إنشاء قواعد عسكرية ثابتة فوق الأراضي الأفغانية، وبدعم استقلال أفغانستان، وضمان سيادتها على أراضيها.

إيران تعارض بناء قواعد عسكرية أجنبية في أفغانستان:

إيران أيضاً كانت راضية عن إزاحة الطالبان عن السلطة، ومع ذلك فإنَّها لا تبدي ارتياحاً إزاء وجود قواعد عسكرية أمريكية على مقربة من حدودها الشرقية. لأنَّه إذا ما توسع العداء الأمريكي لإيران، تزعزع الأمن والاستقرار في محافظاتها الواقعة على الحدود مع أفغانستان، سواء عن طريق العصابات التي تزاول تهريب المخدرات، أو عن طريق التيارات الانفصالية وذات النزعة القومية البلوشية. إذ أنَّه

يحتمل أن تدعو (جبهة تحرير بلوشستان) والتنظيمات القومية البلوشية الأُخرى التي تعتنق المذهب السني، إلى إقامة (بلوشستان الكبرى) بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، بحيث تشتمل على أجزاء من محافظة (سيستان وبلوشستان) الإيرانية وولاية (بلوشستان) الباكستانية. وانطلاقاً من ذلك فإنَّ (إيران) ستواجه حالة عدم الاستقرار على حدودها الشرقية لفترة طويلة، إلاَّ إذا فشلت الولايات المتحدة في بناء قواعد عسكرية مشروعة لها في أفغانستان بسبب رفض البرلمان الأفغاني المصادقة على الاتفاقية الاستراتيجية الموقع عليها بين (بوش) و(كرزاي)[١].

وهناك قاعدة استراتيجية في أفغانستان تستخدمها الولايات المتحدة بالفعل، وهي قاعدة (شيندند) الجوية الواقعة بالقرب من محافظة هرات. وبإمكان الأمريكيين أيضاً القيام بالتنصُّت والرصد عن طريق قواعدها التكتيكية والمعلوماتية على مقربة من الحدود الإيرانية. علماً بأنَّ كلاً من (إيران وروسيا) تعتبران الوجود العسكري الأمريكي في أفغانستان، يناقض مصالحهما القومية والأمنية. ناهيك عن أنَّ ذلك من شأنه أن يخلّ في العلاقات والقواسم الثقافية والدينية والتأريخية المشتركة بين الشعبين الإيراني والأفغاني.

* * *

---

(١) تمَّ التوقيع على هذه الاتفاقية في أيار عام ٢٠٠٥م ويسمح بموجبها لوزارة الدفاع الأمريكية أن تقدم ـ وبحرية ـ على القيام بعمليات عسكرية ونقل القوات ونشرها في أفغانستان إلى أجل غير مسمى. وهذا ما دفع بالحكومة الأوزبكية المدعومة من قبل روسيا إلى مطالبة الولايات المتحدة بجلاء قواتها من أراضيها، واضطرت واشنطن إلى الانسحاب طالما أنَّ وجودها العسكري هناك كان يفتقد صبغة الشرعية.

الخلاصة

يبدو أنَّه من المستحيل ـ في ظل الظروف الدولية والإقليمية الراهنة ـ عودة الطالبان إلى السلطة ثانية. فالولايات المتحدة تعتبر (جماعة الطالبان) بعقائدها الحالية تنظيماً إرهابياً. وكانت البلدان الأوروبية أيضاً قد وصفت أساليب وسلوك الطالبان خلال توليها الحكم مخالفة لحقوق الإنسان. وأكد هؤلاء جميعاً رفضهم لحكومة لا يتم انتخابها بالتصويت في عملية انتخابية.

كما ترفض الدول الجارة أو ذات النفوذ في أفغانستان تشكيل حكومة تتَّصف بما اتَّصفت به حكومة الطالبان.

وحكومة (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) تعارض حكومة الطالبان من الناحية الأيديولوجية بالدرجة الأولى.

من جهتها (روسيا) ترفض إقامة حكومات مماثلة لحكم الطالبان وذات صلة بالحركات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ولا سيَّما في منطقة الشيشان.

حتى الحكومة السعودية ـ ونظراً للخلافات والأفكار الأُصولية بين علمائها من رجال الدِّين ـ لا يمكن لها أن تدعم عودة الطالبان إلى السلطة ثانية.

ولكن يتوقع أن تكون (باكستان) هي البلد الوحيد الذي قد يغير موقفه رأساً على عقب، ويعترف بحكومة مماثلة للطالبان إذا تولت السلطة في باكستان. بيد أنَّ عجلة التأريخ لا تعود إلى الوراء رغم الدعم المحتمل الذي يقدمه عناصر من الحكومة الباكستانية للطالبان سراً أملاً في انتزاع تنازلات من الحكومة الأفغانية، وتوسيع النفوذ الباكستاني في أفغانستان مستقبلاً.

أفكار الطالبان ذات جذور تأريخية بين (البشتون) في أفغانستان. ولكنَّها حينما وضعت على المحك خلال تولي (جماعة الطالبان) السلطة؛ ظهرت مواطن ضعفها وتكشَّفت بواعثها الخلافية، فرفضتها القوميات الأفغانية الأُخرى كالطاجيك والهزارة، ممَّا دفع بالطالبان إلى إشعال فتيل الحرب على المذهب الشيعي ومعتنقيه، ومنهم خصوصاً: الطاجيك والهزارة.

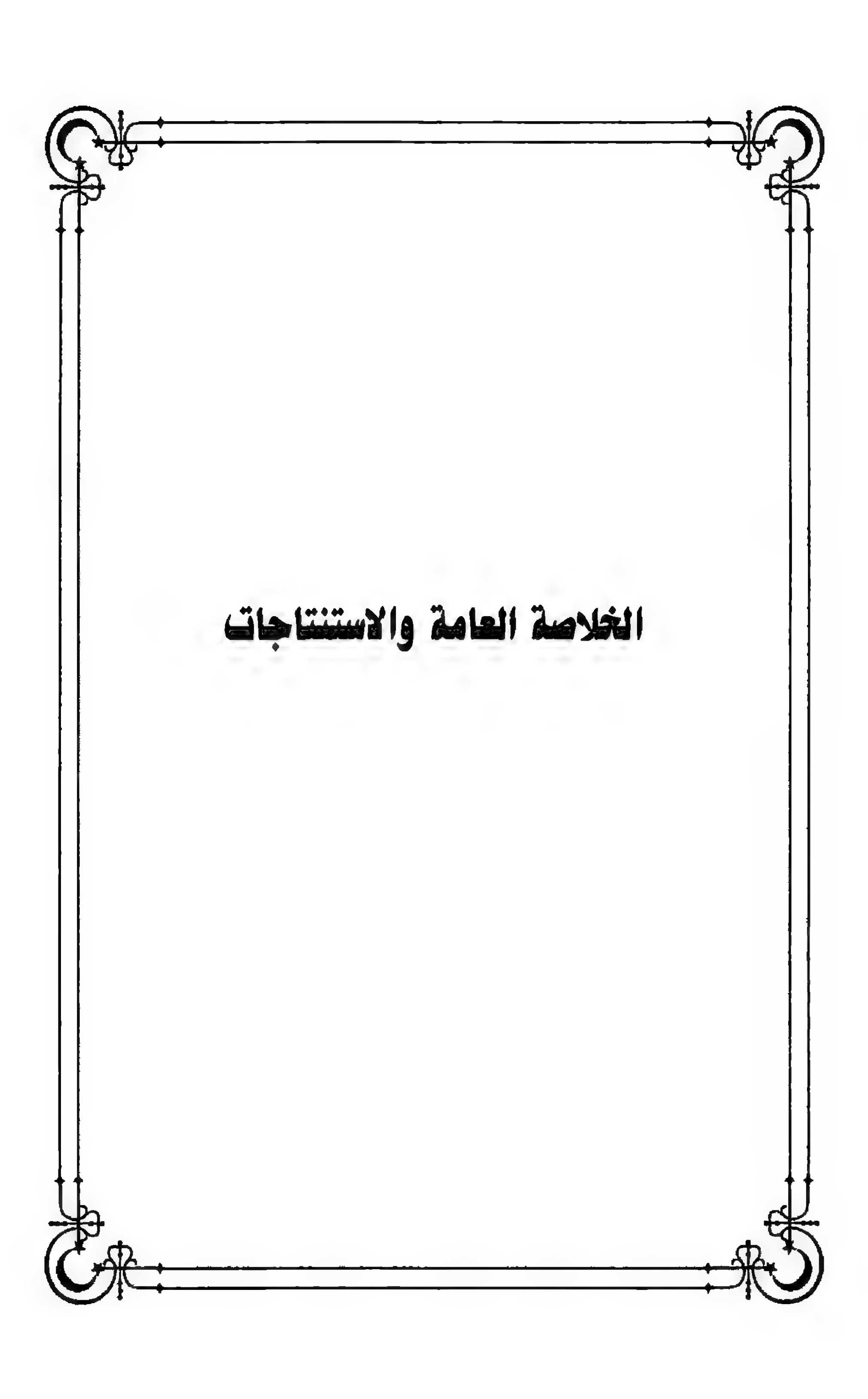
بعد احتلال (أفغانستان) من قبل القوات الأمريكية، ظهرت الخلافات الداخلية بين عناصر الطالبان ذاتها. فانشق عنها عناصر وجماعات. ولكنَّهم لم يتمتعوا بنفوذ وقدرات كافية. وقد سمّي هؤلاء بالطالبان المعتدلين. وعليه اقترحت الحكومة الباكستانية قبولهم واستيعابهم من قبل (حكومة كرزاي) والأمريكيين في أفغانستان. فوافق الرئيس (حامد كرزاي) الذي ينتمي هو أيضاً إلى قومية البشتون. كما وافقت (الولايات المتحدة) على هذا المقترح عسى أن يشكل رادعاً لتولي المجاهدين في الجبهة الشمالية مجمل السلطة في أفغانستان. ولكن بمجرد حصول بضعة عناصر ـ مثل وزير الخارجية في عهد الطالبان (أحمد متوكل) ـ على مقاعد برلمانية، انتفت الحاجة إلى تشكيل تيار باسم (الطالبان المعتدل).

وظلت (جماعة الطالبان التقليدية) التي تقبل بقيادة (الملا عمر) كأقوى تيار سياسي. ولربَّما تستفحل قدراتها بسبب المعارضة الجماهيرية لوجود المحتلين على الأراضي الأفغانية. فالتعامل الذي يتلقاه الشعب الأفغاني من الجنود الأجانب مخالف لعقائدهم وتقاليدهم. ومن جهة أخرى فإنَّ الأمريكيين بدل أن يبادروا لإعادة بناء أفغانستان، عملوا على زيادة السجون والمعتقلات وتعذيب المعتقلين هناك. الأمر الذي بات يشكل تهديداً لاستمرار وجودهم في أفغانستان.

وفي الوقت ذاته انحسرت أهمية هذا البلد كممر لنقل الطاقة من آسيا الوسطى إلى المياه الدافئة في الجنوب. ووضعت المشاريع الخاصة بذلك في زاوية النسيان. ويعتبر عدم إمكان الوصول إلى المياه الحرَّة، السبب الرئيس للأزمة الاقتصادية والتنموية في أفغانستان.

ومن ناحية أُخرى فإنَّ عدم الاعتراف بالحدود الحالية بين هذه الدولة وباكستان يمكن أن يتسبب في إثارة الأزمات بين البلدين. كما إنَّ توسيع مزارع الأعشاب الأفيونية وتهريب المخدرات من أفغانستان سيؤدي إلى زعزعة الأمن والسلامة الاجتماعية في هذه الدولة وإلى زعزعة العلاقات بينها وبين إيران. وفي الوقت ذاته تعارض كل من: إيران وروسيا بناء قواعد عسكرية أمريكية ثابتة في أفغانستان. وإنَّ إيران تعتبر ذلك يؤدِّي إلى زعزعة الأمن والاستقرار عند حدودها الشرقية. ويتوقع أن تزداد التحديات والأزمات الإقليمية جرَّاء الاحتلال الأمريكي لأفغانستان.

* * *



الخلاصة العامة والاستنتاجات

الخلاصة العامة والاستنتاجات

في القرن التاسع عشر الميلادي، تحوَّلت (أفغانستان) إلى دائرة للتنافس بين الأمبراطورية (الروسية القيصرية) و(بريطانيا) بسبب الموقع الجغرافي لهذه الدولة.

وجرَّاء ذلك تحوَّل هذا البلد إلى منطقة حائلة بين تلك القوتين العظميين آنذاك، لكنَّه كان يتعرَّض للغزو والاحتلال كلَّما أحسَّت أي من القوتين بتفوقها على الأُخرى. وكان التنافس بين القوى الكبرى قد أدَّى في القرن العشرين أيضاً إلى توسع المواجهات، وزيادة حدَّة التوتر في هذا البلد.

وخلال الحرب الباردة قام (الاتحاد السوفياتي) بغزو أفغانستان عام ١٩٧٩م الأمر الذي أثار حفيظة البلدان المجاورة والولايات المتحدة الأمريكية، ودفعها إلى تقديم الدعم للفصائل الجهادية التي كانت تحارب ضد الغزاة.

وبعد انسحاب القوات السوفياتية وانهيار الاتحاد السوفياتي؛ انحسرت أهمية أفغانستان في المعادلات الاستراتيجية العالمية، فيما أصبحت ذات أهمية خاصة على صعيد المعادلات الإقليمية. بحيث تحولت إلى مسرح للمنافسات العقائدية والسياسية بين إيران من جهة والمملكة العربية السعودية وباكستان من جهة أُخرى.

حقق الشعب الإيراني النصر في ثورته على حكم الشاه، وأقام نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية وتقلّص جرّاء ذلك نفوذ الولايات المتحدة في منطقة الخليج الفارسي. فرأى الشيعة وبعض الفصائل الجهادية السنيَّة في أفغانستان في الحكم الإيراني نموذجاً يمكن أن يحتذى به في أفغانستان أيضاً.

بالمقابل كانت (المملكة العربية السعودية) تتطلع إلى إقامة حكومة إسلامية في أفغانستان، وقامت بالتعاون مع الحكومة الباكستانية ـ التي كانت بحاجة إلى حفظ هويتها الإسلامية لمواجهة الهند ـ بتربية طلبة المدارس الدينية في أفغانستان لإطلاق شعارات إسلامية أكثر تشدّداً. ونال هذا التوجه الدعم من (أمريكا وبريطانيا) اللتين كانتا تتطلعان إلى الحؤول دون اتساع النفوذ الإيراني والروسي في أفغانستان من خلال بلورة نظام للشعب الأفغاني يكون على نقيض النموذج الإيراني من جهة، وقابلاً للشطب مستقبلاً من جهة أُخرى.

وأدَّى التنافس بين بلدان المنطقة على المسرح الأفغاني إلى توسيع دائرة الحرب الأهلية في أفغانستان التي اندلعت بداية بين الفصائل الجهادية. حيث كانت قوات (أحمد شاه مسعود) و(حكومة رباني) في طرف، وقوات (قلب الدِّين حكمتيار) الذي انتخب رئيساً للوزراء بموجب اتفاق بيشاور في الطرف الآخر. وأدَّت الحرب الأهلية إلى تكبيد الشعب الأفغاني خسائر جسيمة، لا سيَّما بالتجار الذين خسروا مواردهم. الأمر الذي حفَّز أبناء البلد للبحث عن آلية جديدة لضمان الأمن والاستقرار في بلادهم.

وبما أنَّه لم يكن للبشتون تمثيل في (حكومة رباني) وفيما كان (حكمتيار البشتوني) يحارب حكومة رباني التي كان أعضاؤها من

القومية الطاجيكية، رأت وزارة الداخلية الباكستانية وجهاز الاستخبارات العسكرية الباكستانية الفرصة مؤاتية لدفع (جماعة الطالبان) إلى الساحة الأفغانية كممثلة للقومية البشتونية تطالب بإقامة (الإمارة الإسلامية) في كافة أنحاء أفغانستان.

الخطوة الأولى التي خطتها (جماعة الطالبان) تمثلت في نزع سلاح قادة الفصائل الجهادية في جنوب البلاد. وأدَّى ذلك إلى إحلال هدوء نسبي في البلاد. ويشار إلى أنَّ أولئك القادة وضعوا السلاح مقابل بدائل مالية، ما أدَّى إلى توسيع نفوذ الطالبان هناك.

تشكلت (جماعة الطالبان) بمساعدات مالية من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، وبمساعدات عسكرية باكستانية، وبدعم سياسي من الولايات المتحدة وبريطانيا. وأصبحت العقيدة الوهابية السعودية كدعامة للشؤون التربوية للجماعة التي كان أفرادها يتلقون دروسهم في المدارس الدينية بباكستان.

الحقيقة هي أنَّ (أفكار الطالبان) تشكل خليطاً من التعاليم الوهابية والمعتقدات القومية التي ترتكز على مبدأ (البشتون والي) الذي يؤمن به البشتون على جانبي (خط ديوارند) في باكستان وأفغانستان. ولذلك فإنَّ التعصب الديني القومي أصبحا ركيزة تشكلت (الطالبان) على أساسها. غير أنَّ ذلك جعل المجتمع الأفغاني عرضة لضغوط اجتماعية وثقافية هائلة، خصوصاً فيما يتعلق بدور المرأة، ما أدَّى إلى إغلاق مدارس البنات وحرمانهنَّ من مشاهدة البرامج التلفزيونية.

أطلقت (الطالبان) اسم الجهاد على (حرب السلطة) ضد الفصائل الجهادية وحكومة رباني. بيد أنَّ هذه التسمية لم تكن ذات

مبانٍ دينية. ذلك لأنَّ الجهاد يعني حرب المسلمين ضد الكفار، وليس الحرب بين المسلم وأخيه. ولأجل تبرير الموقف كانت (الطالبان) تتهم (حكومة رباني) بأنَّها منحرفة عن الإسلام.

كانت عناصر الطالبان تنخرط في لجان المشرَّدين الأفغان في (بيشاور) و(كويتا) الباكستانيتين وتتلقى التعليمات وفق مبدأ (البشتون والي) إلاَّ أنَّ مبدأ (البشتون والي) يتناقض في بعض الحالات مع قيم الشريعة السمحاء وأحكامها.

بدأ (البشتون والي) يضفي الشرعية على السلطة التقليدية لرئيس القبيلة أو لزعيم الجماعة. في حين يمكن تأمين هذه الشرعية من مصادر أُخرى كعلماء الدِّين أو الشريعة أو مجلس الحل والعقد.

بعد استفحال قدرات (الطالبان) في أفغانستان، قام (تنظيم القاعدة) والعرب الأفغان بدعمها. ويشار إلى أنَّ (تنظيم القاعدة) كان ينال الدعم بداية من (المملكة العربية السعودية) لأنَّ (السعودية) تعتبر نفسها أُمّ القرى للعالم الإسلامي، وتقوم بدعم وتقوية الأحزاب والجماعات الدينية بهدف ترويج عقائدها. لكن قيام (الجمهورية الإسلامية في إيران) أثار التساؤل حول مصداقية كون (السعودية) أُمّ القرى. الأمر الذي دفع بالمملكة العربية السعودية إلى مضاعفة الرهان على سحب البساط من تحت الفصائل الموالية لإيران. وإلى ذلك تحولت (أفغانستان) إلى مسرح لمثل هذه المنافسات لسنوات عديدة.

ومن جهتها تنظر (باكستان) إلى مجريات الأحداث من منطلق المصالح الاستراتيجية والأمنية. وهي تعتبر (أفغانستان) المرتكز الاستراتيجي الأساس لمجابهة عدوها العتيد (الهند). بالإضافة إلى

ذلك إنَّها ترجح إقامة حكومة في أفغانستان تعترف بخط ديوراند كحدود رسمية ودولية بين البلدين. أو أن تقلع ـ على الأقل ـ عن مطلبها التأريخي بضم منطقة البشتون الباكستانية إلى أراضيها.

من ناحية ثانية تتطلع الحكومة الباكستانية إلى مدّ أنابيب النفط والغاز من (آسيا الوسطى) إلى (باكستان) عبر الأراضي الأفغانية، أو أن يتم على الأقل التمهيد لتصدير بضائعها إلى دول آسيا الوسطى عبر الأراضي الأفغانية. لأنَّ ذلك يدرّ عليها أرباحاً اقتصادية. وتقوم باكستان حالياً ـ وبالتعاون مع الصين والولايات المتحدة الأمريكية ـ بالاستثمار في ميناء (كوادر) الواقع على سواحل (بلوشستان) الباكستانية. لكي يتحول ميناء كراتشي وميناء كوادر إلى معبر لتصدير الغاز من (تركمنستان) بواسطة البواخر والشاحنات الدولية، ونقل البضائع عبرهما أيضاً إلى بلدان آسيا الوسطى. وسيخوض الميناءان المنافسة مع مينائي (تشابهار) و(بندر عباس) الإيرانيين.

بعد حادث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م وضعت (الولايات المتحدة) استراتيجية جديدة، استندت من الناحية الإعلامية إلى ركيزتين:

الأولى: الحرب على الإرهاب.

والثانية: الحرب الوقائية.

وانطلاقاً من ذلك شنَّت (الولايات المتحدة) الحرب على (أفغانستان) للقضاء على (تنظيم القاعدة). وكان من المفترض أن تقود الحرب إلى سقوط الطالبان والقضاء عليها أيضاً! ولكن ثمة حقيقة كانت وراء هذه السياسة الإعلامية. فالاستيلاء على أفغانستان ـ وكما مرَّ ـ كان دوماً هدفاً استراتيجياً للقوى العظمى. وعلى هذا غزا الاتحاد السوفياتي

هذا البلد بهدف تحقيق حلمه المتمثل في عبور (مضيق خيبر) والوصول إلى المياه الدافئة. فيما تطلعت (الولايات المتحدة) إلى طريق بري يصل إلى منطقة آسيا الوسطى عبر (سالنكك) و(امو دريا).

تطمح (الولايات المتحدة) ـ من خلال وجودها العسكري في أفغانستان ـ إلى تحقيق عدَّة أهداف مهمة. منها: الاقتراب من الحدود الروسية من خلال إنشاء قواعد عسكرية في أفغانستان وفي كل دول آسيا الوسطى إن أمكن، وفرض سيطرتها الدائمة عليها.

عقب انهيار الاتحاد السوفياتي، أبدى الروس الميل باتجاه الغرب. ولكن سرعان ما تبيَّن لهم استحالة تحقق ما وعدهم به الغربيون. وهكذا بدأت القدرات الروسية بالاضمحلال، وانحسر النفوذ الروسي في العالم. ولكن في ظل حكومة (فلاديمير بوتين) شرعت (روسيا) بإعادة بناء قدراتها. وساعد ارتفاع أسعار النفط في العالم على تعزيز الاقتصاد الروسي لحد لا يُستهان به. ومن وجهة النظر الأمريكية فإنَّ هناك غموضاً يكتنف مستقبل السلطة في (روسيا) بما لا يتناسب والمصالح الأمريكية.

ولذا فإنَّ الهدف من تعزيز الوجود العسكري الأمريكي في أفغانستان وفي بلدان آسيا الوسطى، هو: ضبط ومراقبة التحركات الروسية. كما إنَّ هدف (الولايات المتحدة) من وجودها العسكري في العراق وفي بلدان جنوب الخليج الفارسي هو محاصرة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

فضلاً عن أنَّ أحد أهدافها من وراء احتلال أفغانستان هو: الحد من النفوذ الإيراني هناك. إذ أنَّ (أفغانستان) تقع ضمن دائرة النفوذ

الثقافي والحضاري لإيران، وهي تشكل أيضاً حلقة الوصل بين إيران وبلدان آسيا الوسطى. وإلى ذلك فقد قامت الولايات المتحدة بتضييق الحصار على إيران من خلال وجودها العسكري في المحافظات الأفغانية المتاخمة للحدود الإيرانية، ومن خلال قاعدتها الجوية المهمة في منطقة (شيندند) الأفغانية.

من جهة أُخرى فإنَّ أمريكا تقوم بين الحين والآخر بزعزعة الأمن والاستقرار في شرق إيران حيث معبر المخدرات المهربة من أفغانستان، والنزاعات القومية التي تذكيها عناصر الاستخبارات الأمريكية على يد جماعات من البلوش في منطقة (المثلث الذهبي).

على صعيد آخر لم تأل (الولايات المتحدة) جهداً في مراقبة (الصين) انطلاقاً من الأراضي الأفغانية. لأنَّ (الصين) هي كبرى دول شرق آسيا، وتلعب دوراً فاعلاً على المستوى العالمي بسبب تنامي قدراتها الاقتصادية. وأوشكت أن تتحول من (شريك) إلى (منافس) للولايات المتحدة. وعليه فإنَّ الوجود العسكري الأمريكي على مقربة من حدودها، يدقُّ ناقوس الخطر لها.

كانت (المملكة العربية السعودية) أيضاً تلعب دوراً على مسرح الأحداث في (أفغانستان) بعد أن تولَّت (الطالبان) الحكم هناك. وكانت تنسق سياستها في هذا المنحى مع باكستان. وأهم ما أقدمت عليه كان ترويجها للعقيدة الوهابية عن طريق الطالبان، ومن خلال تقديم المساعدات لإنشاء المدارس الدينية في باكستان التي تخرَّج منها عناصر الطالبان ذاتهم. فكان العلماء الذين تربّوا في تلك المدارس يعتبرون (المملكة العربية السعودية) مركزاً للإسلام والحامية الحقيقية

للمسلمين. وكان أفراد العائلة السعودية المالكة يتمتعون باحترام كبير من لدن الطالبان.

وثمة هدف آخر كانت تتطلع إليه (السعودية) وهو: الحؤول دون تحويل الثورة الإسلامية الإيرانية إلى نموذج يحتذي به المجاهدون من السُّنَّة الأفغان. وعلى هذا الأساس فقد دفعت المساعدات المالية السعودية لبعض الفصائل الجهادية، وشجعت الشبان العرب للانخراط في الجهاد في أفغانستان ممَّا أدَّى إلى ظهور ما يُسمَّى: (العرب الأفغان) وكان الهدف من دعم هذه المجموعة من قبل (المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة وباكستان) أيضاً، تأسيس تيار مجاهد وثوري من الشبان السُّنَّة، والحؤول دون استقطابهم من قبل الثورة الشيعية الإيرانية. لأنَّ (الحكومة السعودية) تدَّعي أنَّها تمثل (الخلافة الإسلامية) ولا تسمح بتحويل (الجمهورية الإسلامية في إيران) إلى نموذج للبلدان الإسلامية الأُخرى.

وكانت (المملكة العربية السعودية) تتابع أهدافاً مشتركة مع الولايات المتحدة الأمريكية في هذا الاتجاه.

خلال فترة الغزو السوفياتي لأفغانستان، كانت (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) تدعم الفصائل الجهادية هناك، وقد استمر هذا الدعم حتى أثناء الحرب التي فرضها العراق على إيران، وفي ذات الوقت استقبلت إيران أكثر من مليوني لاجىء أفغاني، وخلال الفترة التي استولت فيها الطالبان على السلطة في أفغانستان، تعرَّضت المصالح القومية والأمنية الإيرانية إلى تحدّيات نجمت عن العقائد الحزبية والمذهبية الطالبانية المناهضة للثورة الإسلامية الإيرانية ولمبادئها الفقهية في إدارة دفة الحكم.

بالإضافة إلى توسيع مزارع الخشخاش والترياق في أفغانستان، وتهريب المخدرات عبر الأراضي الإيرانية، ما أدّى إلى زعزعة الأمن والاستقرار في حدود إيران الشرقية. أضف إلى ذلك عدم رغبة اللاجئين الأفغان في العودة إلى بلادهم في ظل حكم الطالبان.

بعد سقوط الطالبان أيضاً لم يهدأ القلق الإيراني، لأنَّ (الولايات المتحدة) أقدمت على إنشاء قواعد عسكرية واستخباراتية بالقرب من الحدود الإيرانية، الأمر الذي بات يشكِّل تحدّياً وتهديداً للأمن القومي الإيراني.

ظهور الطالبان كان مفاجئاً وسقوطها أيضاً كان مفاجئاً رغم أنَّ لأفكارها جذوراً في التطورات التأريخية التي مرَّت بهذا البلد.

بعدما انتصر (المجاهدون الأفغان) على الجيش الأحمر السوفياتي، أخفقوا في إقامة حكومة مطلوبة. لأنَّه كانت هناك منافسة شديدة بين (أحمد شاه مسعود) و(حكمتيار) على نيل أكبر حصة في السلطة. وأدَّى التدخل العسكري الباكستاني في أفغانستان إلى تذكية نار الحرب والنزاع على السلطة هناك، إلى حدٍّ تحولت فيه العاصمة (كابول) إلى ساحة حرب بين الفصائل الجهادية ذاتها. وعليه لم يفلح المجاهدون في إقامة نموذج لحكومة إسلامية بسبب عدم التوزيع العادل للمناصب بين القوميات والمذاهب المختلفة. كما لم تتمكن الحكومة من توفير الأمن والاستقرار للمواطنين، الأمر الذي حوَّل (حلاوة النصر) على الغزاة إلى (مرارة) عانى منها الشعب الأفغاني على مدىٰ عدة سنوات.

من ناحية أُخرى لم تكن (الولايات المتحدة) راغبة في نجاح المجاهدين، لذلك أقدمت على بثّ الفرقة وتوسيع الهوة بين الفصائل

الجهادية بواسطة جهاز الاستخبارات العسكرية الباكستانية. وهذا ما أدَّى إلى فسح المجال أمام ظهور (الطالبان) التي تمكنت بسهولة من الاستيلاء على المناطق البشتونية وعلى غيرها من المناطق الأفغانية سواء بالحرب أو من خلال شراء ذمم زعماء القبائل هناك. ولم تتمكن (الفصائل الجهادية) من فرض سيطرتها على أكثر من عشرة بالمائة من المناطق الأفغانية حيث أقامت حكومة في المنفى.

أنشأت (الطالبان) نوعاً جديداً للحكومة الإسلامية في إطار (الإمارة الإسلامية) حظيت بدعم كبير في البداية من قبل الأفغان، لأنَّها استطاعت إلى حدٍّ كبير توفير الأمن والاستقرار لهم. بيد أنَّ تصرفات الطالبان غير العقلائية مع النساء والرجال ووسائل الإعلام، ووضعهم قوانين مشددة وتعجيزية أدَّى إلى إثارة غضب الشعب.

لم تحظ (حكومة الطالبان) بتأييد ودعم كافة القبائل والأحزاب البشتونية. فقد رفضها (حكمتيار) أحد زعماء البشتون منذ البداية وحتى سقوطها. كما إنَّها واجهت المعارضة من قبل (الطاجيك) و(الأوزبك) و(الهزارة) لأسباب عديدة. منها: أنَّ عقيدة الطالبان كانت خليطاً من مبدأ (البشتون والي) والمذهب الوهابي. وكانت هذه العقيدة على درجة عالية من الشِّدَّة والصرامة بحيث ضاق منها الشعب الأفغاني.

بعد حادث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م وضع الرئيس الأمريكي استراتيجية جديدة على أساس ما يُسمَّى بمكافحة الإرهاب والحرب الوقائية على الدول الداعمة للإرهاب. وقد غيَّر أيضاً سياسته تجاه أفغانستان، وشنَّ الحرب عليها بذريعة القبض على (أسامة بن لادن).

رفضت (الطالبان) في البداية تسليم (بن لادن) للولايات المتحدة،

ولكنَّها قررت فيما بعد التفاوض معها بهذا الخصوص، إلاَّ أنَّ ذلك جاء في وقت متأخر لأنَّ (الولايات المتحدة) كانت قد أتمت استعداداتها لشنّ الحرب على أفغانستان، وامتثالاً للسياسة الأمريكية تراجعت المملكة العربية السعودية وباكستان أيضاً عن سياستهما وموقفهما تجاه الطالبان. وظلت (الطالبان) و(تنظيم القاعدة) وحيدين، فيما واصلت إيران وروسيا اتصالاتهما مع الحكومة الأفغانية في المنفى برئاسة (رباني).

لم تتمكن (حكومة الطالبان) من الصمود أمام الضربات الجوية الأمريكية. فاضطر زعماؤها وزعماء القاعدة إلى الهرب من (قندهار) إلى منطقة (باجور) المتاخمة للأراضي الباكستانية، وكانوا يحلمون بالعودة إلى السلطة ثانية. فجماعة الطالبان تؤمن بأنَّ (الأمريكيين) سيفشلون في أفغانستان كما فشل (الروس) من قبلهم. ومن هذا المنطلق يخوض أنصار زعيم الطالبان (الملا عمر) المواجهة مع حكومة (حامد كرزاي) والقوات الأجنبية في أفغانستان، يدعمهم في ذلك بالطبع تيار من المسؤولين في جهاز الأمن الباكستاني، بالإضافة إلى الأحزاب الدينية السنيَّة في باكستان.

يؤكد (زعماء الطالبان) الموالية للملا عمر استمرارهم في الجهاد ضد الأمريكان. لأنَّ تيار (الطالبان المعتدل) الذين يقاومون ويتفاوضون مع الإدارة الأمريكية وحكومة كرزاي، لم يتمكنوا من إقناع أولئك الزعماء المتشدّدين بالعودة عن موقفهم. ويراهن هؤلاء أيضاً على المنافسات والصراعات القومية والعرقية لاستقطاب مناصرين أكثر من بين القبائل البشتونية.

شهدت أفغانستان ست عهود خلال الأعوام الخمسين الماضية وكانت كالآتي:

١ ـ حكومة محمد ظاهر شاه الملكية.

٢ ـ حكومة داود خان اليسارية القومية.

٣ ـ الحكومة الماركسية التي اشتملت على حكومات: نور محمد طرقي، حفيظ الله أمين، ببرك كارمل، الدكتور نجيب الله.

٤ ـ حكومة المجاهدين الإسلامية.

٥ ـ إمارة الطالبان الإسلامية.

٦ ـ حكومة كرزاي الإسلامية الديمقراطية.

من الصعب التكُّهن بالتطورات المستقبلية لأفغانستان. لأنَّ اللاعبين المحليين والأجانب على المسرح الأفغاني يتطلعون إلى أهداف خاصة ومتناقضة، وعليه فإنَّ تاريخ أفغانستان الحديث كان ولا يزال يشهد تطورات سريعة ومفاجئة. فما عدا (حكومة المجاهدين) التي لم تكن موالية لأية جهة خارجية، فإنَّ الحكومات الأُخرى قد تشكلت أثناء احتلال أفغانستان أو كانت خاضعة لنفوذ القوى العظمى. وبصورة عامة فإنَّ الحكومات الأفغانية كانت تتأثر بشكل أو بآخر بالقضايا الدولية. فعندما شعر الاتحاد السوفياتي السابق بتفوق قدراته، خضعت أفغانستان لنفوذه أو أبدت كامل الموالاة له.

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، تمكن المجاهدون الأفغان من تشكيل حكومة مستقلة نسبياً لفترة قصيرة بالتأثر بإيران. وعندما رأت الولايات المتحدة نفسها القوَّة العظمى الوحيدة في العالم، تشكلت (حكومة الطالبان) بدعم من البلدان الموالية لها. وثمَّ تأسست (حكومة كرزاي) أثناء احتلال أفغانستان.

وإذا سار النظام الآحادي القطب في العالم نحو الاضمحلال في المستقبل، وأصيبت (الولايات المتحدة) كقوَّة عظمى بالضعف والانهيار، سيؤثر ذلك بشكل مباشر على تشكيل نوع الحكومة الجديدة في أفغانستان.

عندما احتلت أفغانستان من قبل الأمبراطورية البريطانية، ثمَّ من قبل الاتحاد السوفياتي السابق؛ انضم الأفغان بمختلف أعراقهم ومذاهبهم في الجهاد ضد الغزاة. ولكن يبدو في ظل نموذج الاحتلال الثالث أي الاحتلال الأمريكي، فإنَّ الأجواء تختلف عمَّا كانت عليه يومذاك، فغالبية الشعب الأفغاني قد أعربوا عن ارتياحهم لسقوط الطالبان بيد الأمريكان، وهذه الغالبية أيضاً تشعر وكأنَّها منخرطة في الحكومة الجديدة. ومن جهتها تعتبر قوى الاحتلال بأنَّها هاجمت أفغانستان بترخيص من (مجلس الأمن الدولي) وأنَّها ليست هي وحدها التي تعمل على ضمان الأمن والاستقرار في هذا البلد، بل ثمة قوات أُخرى تعاونها في هذا الاتجاه ومنها: قوَّة حفظ السلام الدولية، وقوات حلف شمال الأطلسي. بيد أنَّ إعلان (الطالبان) عن الجهاد ضد المحتلين، قد قوبل بتبرير شرعي من قبل قلَّة من قبائل البشتون. وعليه يجب أن ننتظر ما إذا كانت أحزاب وقبائل أُخرى من غير البشتون والموالين للملا عمر ستلتحق هي الأُخرى بالمعارضين للاحتلال أم لا. والواضح أنَّ المحتلين لن ينسحبوا من (أفغانستان) إلاَّ إذا كانت هناك معارضة قوية تكبدهم خسائر يومية، وتلحق الأذى بهم بحيث تجعل ثمن بقائهم في هذا البلد باهظاً جداً.

* * *

المصادر

الكتب:

١ ـ بهلوان، جنكيز **«أفغانستان تحت حكم المجاهدين وحتى مجيء الطالبان»** دار قطرة (طهران: ١٩٩٨م).

٢ ـ فرهنك، مير محمد صديق **«أفغانستان في الخمسة قرون الأخيرة»** دار آريانا (بيشاور باكستان: ١٩٨٨م).

٣ ـ دوا اوليويه **«أفغانستان والإسلام السياسي الأصولي»** دار الروضة الرضوية (مشهد: ١٩٩٠م).

٤ ـ دراني سلطان محمد بن موسى **«التاريخ السلطاني»** دار محمدي (بومباي: ١٢٩٨هـ.ق).

٥ ـ فرهنك، مير محمد حسين **«علم الاجتماع وانتروبولوجيا الشيعة في أفغانستان»** مؤسسة الإمام الخميني للتعليم والتحقيق (قم: ١٣٨٠هـ.ق).

٦ ـ واك محمد انعام **«الأفغانية»** واك فونديشن، ترجمة محمد وحيد منش (١٩٩٨م).

٧ ـ دانش بختياري، قاسم «**جذور الأزمة وطريق التنمية السياسية**» مؤسسة نور للبحوث والنشر (١٩٩٦م).

٨ ـ مجده، وحيد «**أفغانستان خمس سنوات تحت حكم الطالبان**» (كابول: ٢٠٠٢م) دار ميوند.

٩ ـ ديفيز، انطوني «**تشكيل حركة الطالبان كقوَّة عسكرية**» (**أفغانستان والطالبان والسياسات العالمية**).

١٠ ـ ديفيز، انطوني «**الطالبان والسياسات العالمية**» (**تشكيل حركة الطالبان كقوَّة عسكرية**) ترجمة عبد الغفار محقق (مشهد: ١٩٩٨م).

١١ ـ ديه كو كوردوز «**من الزحف حتى السقوط. أفغانستان وراء الكواليس**» ترجمة إسلام شفائي دار المهدي العالمية (طهران: ٢٠٠٠م).

١٢ ـ ديه كو كوردوز، سليك اس هاريون «**أفغانستان وراء الكواليس**» ترجمة أسد الله شفائي دار المهدي العالمية (طهران: ٢٠٠٠م).

١٣ ـ سيلك اسن هاريسون «**الفرصة الضائعة، أفغانستان وراء الكواليس**» ترجمة أسد الله شفائي دار المهدي العالمية (٢٠٠٠م).

١٤ ـ عصمت اللهي، محمد هاشم وآخرون «**التطور السريع لحركة الطالبان**» منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية، دار الهدى (طهران: ١٩٩٩م).

١٥ ـ رشيد، أحمد «**الطالبان، الإسلام، النفط، واللعبة الكبرى**» ترجمة أسد الله شفائي دار دانش هستي (طهران: ٢٠٠٠م).

١ ـ رشيد أحمد «**باكستان وطالبان**» (**أفغانستان والطالبان والسياسات العالمية**) ترجمة عبد الغفار محقق، دار ترانه (مشهد: ١٩٩٩م).

١ ـ رشيد، أحمد «**الطالبان والمرأة والتجارة والمافيا وقضية النفط الكبرى في آسيا الوسطى**» دار بقعة، ترجمة نجلة خنذق (طهران: ٢٠٠٢م).

١ ـ أنصاري، خواجه بشير أحمد «**أفغانستان في حريق النفط**» دار ميوند (كابول: ٢٠٠٤م).

١ ـ سجادي، سيِّد عبد القيُّوم «**علم الاجتماع السياسي في أفغانستان القومية والمذهب والحكومة**» مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية في قم (قم: ٢٠٠١م).

٢ ـ عبد القيُّوم، فردوس «**أسامة بن لادن والأحداث**» دار مفاخر، كابول، الطبعة الأولى.

٢ ـ مسجد جامعي، زهراء «**نظرة في تاريخ الوهابية**» دار قرير دانش، الطبعة الأولى (طهران: ٢٠٠١م).

٢ ـ دوبري، نانسي هاج «**النساء الأفغانيات تحت حكم الطالبان**» (**أفغانستان والطالبان والسياسات العالمية**) ترجمة: عبد الغفار محقق (مشهد: ١٩٩٩م).

٢٢ ـ فيروز أفضلي، شاهين «**الاعتداء الأمريكي على أفغانستان**» دار آذينة كل مهر (طهران: ٢٠٠٣م).

٢٤ ـ أنصاري، خواجه بشير أحمد «**أفغانستان في حريق النفط**» دار ميوند (كابول: ٢٠٠٣م).

٢٥ ـ متوكل، مولوي وكيل أحمد «**أفغانستان وطالبان**» دار ميوند (كابول: ٢٠٠٥م).

٢٦ ـ أنديشمند، محمد إكرام «**سنوات العدوان والمقاومة**» دار بيمان (كابول: ٢٠٠٤).

٢٧ ـ على أصغر فقيهي «**الوهابيون**» دار صبا، الطبعة الثالثة (طهران: ١٩٨٧م).

٢٨ ـ أبو الفضل بسنديدة «**الوهابية وانتشارها في شبه القارة الهندية**» رسالة جامعية (طهران: ١٩٩٥م).

٢٩ ـ مطهري، الشهيد مرتضى «**مسألة الحجاب**» ترجمة جعفر صادق الخليلي (طهران: ١٤٠٧هـ.ق).

٣٠ ـ عظيمي، محمد طاهر «**أفغانستان وعلة آلامها**».

٣١ ـ غراياق زندي، داوود «**بروز ظاهرة الطالبان وتأثيرها على أمن الجمهورية الإسلامية الإيرانية**» كلية قيادة أركان قوات الحرس، معاونية الدراسات، مركز الحرس للطباعة (طهران: ٢٠٠١م).

٣٢ ـ دانش، محمد قاسم «**جذور الأزمة في أفغانستان وطريق التوسعة السياسية**» توزيع مركز دعم أفغانستان (١٩٩٦م).

٣٣ ـ مركز الدراسات الثقافية الدولية «**قصة الطالبان السريعة**» دار الهدى (طهران: ١٩٩٩م).

المجلات والصحف والمقالات:

٣٤ ـ رضواني بامياني «**مؤشرات الفكر الديني للطالبان**» مجلة نداء عاشوراء (كابول).

٣٥ ـ علي نسيم فر **«الهجوم الأمريكي على أفغانستان من وجهة نظر القانون الدولي»** العدد ١٥٣، مركز الدراسات السياسية والدولية.

٣٦ ـ حق بناه، جعفر **«تهريب المخدرات وتأثيره على أمن الجمهورية الإسلامية الإيرانية»** فصلية الدراسات الاستراتيجية (صيف عام ١٩٩٨م).

٣٧ ـ سيد سليم شاه زاد **«كيف استأنف طالبان هجماتهم؟»** صحيفة لوموند دبلوماتيك الفرنسية.

٣٨ ـ **مجلة نداء المرأة**، كابول.

٣٩ ـ **مجلة عهد التضحية**، كابول.

٤٠ ـ **مجلة نداء الاستقلال**، كابول.

٤١ ـ **مجلة صراط**، كابول.

٤٢ ـ **مجلة الوحدة**، كابول.

٤٣ ـ **مجلة المعلومات السياسية والاقتصادية**، طبعة طهران.

٤٤ ـ **صحيفة اطلاعات** طباعة طهران.

٤٥ ـ **مجلة دراسات آسيا الوسطى والقوقاز الفصلية.**

٤٦ ـ **صحيفة همشهري**، الملحق الدبلوماسي، طهران.

٤٧ ـ **صحيفة «نيوز»** الناطقة باللغة الإنجليزية.

باقي المصادر:

٤٨ ـ إذاعة الشريعة.

٤٩ ـ قناة الـ«سي. أن. أن».

٥٠ ـ وكالة الأنباء الفرنسية.

٥١ ـ وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية في إيران «إيرنا».

٥٢ ـ قسم البشتون بإذاعة طهران.

* * *

Books:

53 - Maley winiam fundamentalism reborn?
Afqhanistan and the Taliban british 1998.

54 - Hafizhllah ewad new world roder or disorder:
armed streggle in Afghanistan and united states foriegh policg ohjects central asian survey 1999.

55 - marden peter «the Taliban»:
war religion and the new order in Afghanistan 2 books 1988.

56 - Meyssan Thierry
«pentagete» carnot pahlishing Ita bedgord row London w sir 4 js 2002.

57 - Michal choserdovesky
«waund» globalization.

58 - Musharraf parwis
«intheline of fire» simon shoshter newxork.

Magazines and news agencies:

59 - Newsweek magazin.

60 - Time magazine.

61 - New york time.

62 - The Washington post.

63 - Lemonde Diplomatic.

64 - Financial Times.

65 - AFP.

66 - BBC.

Websites:

67 - WWW. Conflits. ORG.

68 - WWW. Ipcs. ORG.

* * *

الفهرس

الفصل الأول
العوامل الداخلية لظهور حركة الطالبان

الفصل الثاني
الأسباب الخارجية لظهور حركة الطالبان

الفصل الثالث
فترة حكم الطالبان

الفصل الرابع
الأسباب الداخلية لسقوط حركة الطالبان

الفصل الخامس
الأسباب الخارجية لسقوط الطالبان

الفصل السادس

مصير الطالبان والآفاق المستقبلية لأفغانستان

الخلاصة العامة والاستنتاجات